الثقافة الإسلامية

إعداد

د. علي عمر بادحدح

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

د. محمد أحمد باجابر

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

مراجعة

د. هاني أحمد عبد الشكور

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

د. محمد عبد الله حلواني

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

د. عادل عبد القادر قوته

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الملك عبد العزيز

دار حافظ

للنشر والتوزيع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بادحدح، علي بن عمر
الثقافة الاسلامية. / علي بن عمر بادحدح، محمد بن احمد
باجابر — جدة، ١٤٢٥هـ
٣٨٧ص : ٢٤سم
ردمك:٨-٣٣-٦٥٤-٩٩٦٠
١ – الثقافة الاسلامية باجابر، أ. محمد بن احمد (مؤلف مشارك)
ب. العنوان
ديوي ٢١٤ ١٤٢٥/٤٩٥١
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٤٩٥١
ردمك: ٨-٣٣-٦٥٤-٩٩٦٠

دار حافظ للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية
الإدارة: جدة ـ حي الجامعة ـ شارع عبدالله السليمان ـ أمام كلية الهندسة ـ هاتف: ٦٨٧٠٥٨٢ ـ فاكس: ٦٨٩٥٣٩٢
المركز الرئيسي: شارع عبدالله السليمان ـ أمام كلية الهندسة ـ هاتف: ٦٨٠٢٨٨٤
فرع (٢): شارع الجامعة ـ أمام دوار الجامعة ـ هاتف: ٦٨٧١٤٠٠
فرع (٣): السليمانية ـ شارع عبدالقدوس الأنصاري ـ بجوار بوابة الجامعة الشمالية
www.darhafiz.com
darhafiz@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

فإن الثقافة تشكل أساساً جوهرياً في تكوين الفرد، وسمة مميزة في كيان الأمة، وعالم اليوم يعج بثقافات متعددة ومتنوعة، ولكل منها أصولها الأساسية، وخصائصها الذاتية، ومع دخول العالم في عصر ثورة المعلومات، وتقنيات الاتصالات، ووسائل الإعلام عابرة القارات، صار العالم ـ كما يقال ـ قرية كونية صغيرة، يسمع من في أقصى الشرق ما جرى في أقصى الغرب، ويتأثر من في أقصى الجنوب بالأحداث التي تقع في أقصى الشمال، فسهل التعرف على الثقافات، وزاد الاحتكاك والاختلاط فيما بينها، وسعت كل ثقافة لتسخير قواها المادية والمعنوية لترويج مضامينها، ونشر مفاهيمها، وإبراز قيمها، وإقرار نظمها، ومن ثم وجد التحدي والتنافس في هذا المضمار.

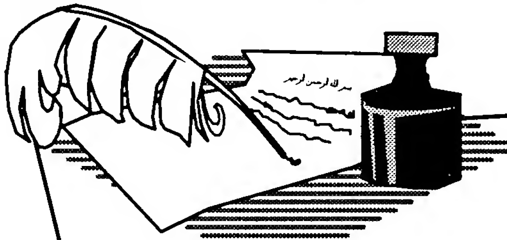
إن الثقافة تعد قضية كبرى في عصر العولمة، إذ أن الدول والأمم تجعل الثقافة مضموناً مهماً وأساسياً في العولمة الاقتصادية والإعلامية والسياسية، ومن هنا كانت الثقافة حاضرة في الاتفاقات الاقتصادية، وروحاً ومضموناً للرسالة الإعلامية، ورؤية استراتيجية في الممارسات السياسية، والواقع يشهد أن هناك ثقافات طغت وهيمنت، وأخرى ضعفت وانحسرت.

والأمة الإسلامية لها رصيد هائل من ثقافتها الأصيلة المتميزة بأصول ثابتة، وخصائص رائعة، ورصيد كبير، وتنوع مذهل، وامتداد عريض، فهي ثقافة الإيمان والتوحيد، والقيم والمبادئ، والعلم والحضارة، واليوم يحتاج أبناء الإسلام ـ في هذا الخضم ـ أن يرتبطوا بثقافتهم وينهلوا من معينها، وينطلقوا في رحابها الواسعة، وأن يجددوا ثراء عطائها الإنساني، وتاريخ منجزها الحضاري، وروعة سمتها الأخلاقي، والمدخل إلى ذلك هو معرفتهم وتحصيلهم لمفهوم

الثقافة الإسلامية وخصائصها ومميزاتها ومضامينها العامة.

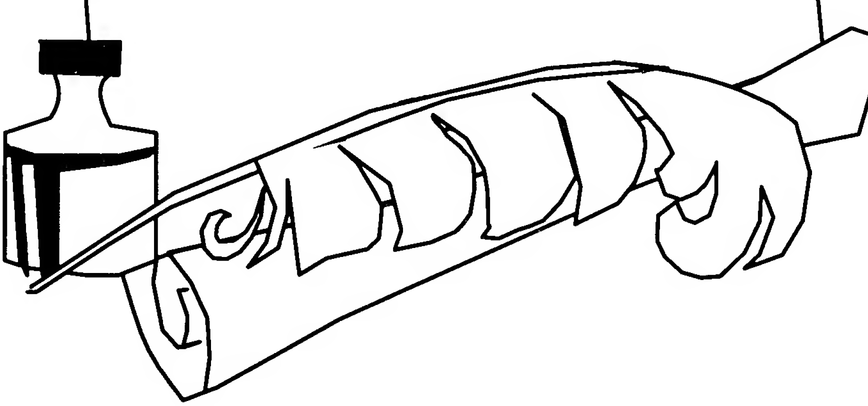
والمستوى الأول من مادة الثقافة الإسلامية يعرّف الطلاب بذلك من خلال ثلاثة أقسام، أولها: عن الثقافة الإسلامية، وثانيها: عن العقيدة الإسلامية، وثالثها: عن العبادة في الإسلام، وقد جعلنا المادة مركزة المضمون، وواضحة الأسلوب، وواقعية الطرح، وحرصنا أن يكون هذا المستوى أساساً ومنطلقاً لما بعده، كما حرصنا على حسن الترتيب والتبويب، واجتهدنا في حسن الإخراج والتنظيم، وأكملنا الفائدة بالأسئلة المتنوعة في ختام كل وحدة، والله نسأل أن يجعل عملنا لوجهه خالصاً، ولطلابنا نافعاً والحمد لله رب العالمين.

● ● ●



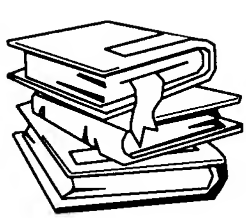
القسم الأول
الثقافة الإسلامية

- الوحدة الأولى: مفهوم الثقافة الإسلامية.
- الوحدة الثانية: مصادر الثقافة الإسلامية.
- الوحدة الثالثة: خصائص الثقافة الإسلامية.
- الوحدة الرابعة: أهمية الثقافة الإسلامية وآثارها.
- الوحدة الخامسة: علاقة الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى.



الوحدة الأولى

مفهوم الثقافة الإسلامية



الوحدة الأولى

مفهوم الثقافة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

إن ثقافة الأمة هي عنوان هويتها ومصدر إلهامها، ورائد تميزها، ومرشدها في مسيرتها.

ولا شك أن إدراك مفهوم الثقافة بجميع أبعاده مدخل مهم لاستيعاب أهميتها، وتفهم خصائصها، وتحديد علاقاتها المتعددة.

وكم يحتاج بنو الإسلام في عالم يموج بأنواع من الغزو الثقافي أن يعتزُّوا بثقافة الطهر والإيمان، وأن ينهلوا من معين الحضارة والإبداع، وأن يصلوا حاضرهم بماضيهم، وأن يثبتوا جدارة أمتهم بالريادة في عالم اليوم، كما تحققت في عالم الأمس، وإن طريق رفعة هذه الأمة يمر ولا بد بالانتماء إلى الإسلام ثقافة وحضارة.

فهيّا أيها الدارس العزيز لنقف على أول الطريق، ونخطو الخطوة التي تتبعها خطوات؛ فبين يديك تحديد واضح لمفهوم الثقافة الإسلامية، يرسم حدودها ويضبط علاقتها بغيرها من المفاهيم والمصطلحات.

فابدأ على بركة الله... والله معك.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تحدد المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الثقافة.

٢ ـ تبرز مفهوم الثقافة الإسلامية، وتوضح نطاقه.

٣ ـ تدرك العلاقات المختلفة بين مصطلح الثقافة وما يقاربه من مصطلحات.

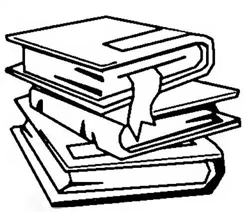
٤ ـ تتعرف على الموقف من التفريق بين مصطلحي الثقافة والحضارة.

● ● ●

الوحدة الأولى

مفهوم الثقافة الإسلامية

- المعنى اللغوي والاصطلاحي.
- مفهوم الثقافة الإسلامية.
- العلاقات بين مصطلح الثقافة وما يقاربه من مصطلحات.
- الموقف من التفريق بين مصطلحي الثقافة والحضارة.



الوحدة الأولى

مفهوم الثقافة الإسلامية

إن معرفة معنى الثقافة وفهم دلالتها يعد مدخلاً أولياً مهماً لاستيعاب أهمية الثقافة ومعرفة دورها، وقبل ذلك إدراك حقيقتها ومعرفة خصائصها.

المعنى اللغوي للثقافة:

الأصل الثلاثي لكلمة ثقافة: (ثَقِفَ)، وهو عند العرب على معان واستعمالات منها:

- (ثَقِفَ الشيء ثقفاً حَذَقَه، ورجل ثَقْفٌ: حاذقٌ فَهِمٌ، وثَقِفَ: صار حاذِقاً فطناً.

- ويقال: رجلٌ ثَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به، ويقال: ثَقِفَ الشيءَ والمراد سرعةُ التَّعلمِ.

- ويقولون: ثَقِفَه في موضع كذا: أَخَذَهُ أو ظَفَرَ به أو أَدْرَكَهُ)[1]، وفي القرآن الكريم: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١]، ثَقِفْتُمُوهم: «أي: ظفرتم بهم مغلوبين»[2].

وهذه المعاني قريبة من بعضها البعض، فالحذق والفطنة طريق إلى سرعة التعلم، وبه يكون الضبط لما يتعلمه، والظفر به وإدراكه.

ومن جهة أخرى نرى معاجم اللغة تدلنا على نوعين من الاستعمال لهذه الكلمة:

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (ث ق ف) (١٩/٩)، تاج العروس للزبيدي (١٠٢/١٢ ـ ١٠٣).

(٢) تفسير ابن عطية (ص٤٦٥).

الأول: الاستعمال المادي المحسوس، وأصله: «الثِّقَاف: وهي حديدة يُقَوَّم بها الشيء المعوج، وفي وصف عائشة رضي الله عنها لأبيها: أقام أَوَدَه بثِقَافِه، تريد أنه سوى عَوَجَ المسلمين، ومنه قولهم: تثقيف الرماح: أي تسويتها وتقويم اعوجاجها»(١).

الثاني: الاستعمال المعنوي غير المحسوس: وأصله متصل بما سبق عن الحذق والتعلم كقولهم: تثقيف العقول: أي تعليمها، ومن استعمالاته: التثقيف، بمعنى: التأديب والتهذيب، ويقال: هل تهذبت وتثقفت إلا على يديك؟(٢)، «وثَقَّفَ الإنسانَ: أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه»(٣).

وأما اللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية والألمانية) فإنها تعبر عن الثقافة بلفظة (Culture) وهي لفظة معناها اللغوي الأولي هو الزراعة والاستنبات.

واستعملت هذه الكلمة بمعناها المجازي بإضافتها إلى العقل (Culture Mentis) أي: فلاحة العقل والمراد تنميته، وقد صارت الكلمة تدلّ على المكاسب العقلية والأدبية والذوقية(٤).

المعنى الاصطلاحي للثقافة:

الثقافة مصطلح كثير التعاريف، وقد اختلفت وجهات نظر العلماء والمفكرين في تعريفه فهناك من وسع دلالته ليشمل جوانب تفاعلات الإنسان وحركة المجتمع في مجالات الحياة المختلفة بانطلاق من نظرات وتصورات وقيم وآداب تخص مجتمعاً دون آخر، وبعضهم خص الثقافة ببعض تلك الجوانب دون بعضها الآخر، وربما قَصَرَها بعضهم على الجوانب المعنوية دون الحسيّة.

وهنا نعرض لتعريفات بعض المفكرين المعاصرين من المسلمين وغير المسلمين:

- **تعريف مالك بن نبي**: الثقافة هي مجموعة من الصفات الخُلُقية، والقيم

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (ث ق ف) (٩/٢٠)، تاج العروس للزبيدي (١٢/١٠٢ - ١٠٣).

(٢) تاج العروس للزبيدي (١٢/١٠٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٩٨).

(٤) انظر لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب (ص٢٨ - ٢٩).

الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح ـ لا شعورياً ـ العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه[1].

ـ **تعريف إدوارد تيلور**: الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد، والفن، والأخلاق، والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع[2].

ولمزيد من التوضيح نورد تعريفات بعض المعاجم الحديثة والمؤسسات العلمية ومنها:

ـ **تعريف المعجم الوسيط**: الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[3].

ـ **تعريف المعجم الفلسفي**: الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الأفراد أو في المجتمع، وتشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يسهم فيها الفرد في مجتمعه.

ـ **تعريف منظمة اليونسكو**: الثقافة هي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه، وهي تشمل الفنون والآداب، وطرائق الحياة والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات.

خلاصة مفهوم الثقافة:

نلاحظ في جميع التعريفات السابقة أمرين هما:

الأول: أن المعنى الاصطلاحي واسع الدلالة.

الثاني: أن صلة المعنى الاصطلاحي باللغوي محصورة في معنى التعلم والحذق، والتهذيب والتأديب.

وإذا أمعنّا النظر في سعة دلالة ومفهوم الثقافة في التعريفات الاصطلاحية

---

(١) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي (ص١٧).
(٢) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم (ص٤).
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٩٨).

نجدها ترتبط بالفرد كما ترتبط بالمجتمع والأمة، وأنها تشتمل على العلوم والمعارف كما تشتمل على القيم والمبادئ، ويمكننا أن نستنبط من هذه التعريفات الأسس التالية لمفهوم الثقافة:

- الثقافة تصوغ شخصية الفرد، وتشكل هوية الأمة.
- أساس الثقافة هو القيم والمبادئ المنبثقة عن العقيدة والفكر.
- الثقافة تغذي في الفرد روح الانتماء، وتذكي في الأمة دافع العطاء.
- الثقافة روح تفاعلية تنقل القيم والمبادئ من الفكر إلى العمل.
- الثقافة إجمالاً تشتمل على الجوانب المعنوية (المبادئ والأفكار والقيم...) والمادية (الفنون والآداب والمبتكرات ...).

(التعريف الاصطلاحي المختار للثقافة الإسلامية):

الثقافة الإسلامية هي: جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف، والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام.

فهذا التعريف يحقق الشمول في الجوانب المعنوية الفكرية، والمادية العلمية، كما يعكس صلة وأثر الثقافة في الفرد والأمة، ويجعل ذلك كله وفق الأسس والضوابط الإسلامية، فتكون الثقافة الإسلامية حينئذ مشتركة مع غيرها في عموم تفاعلات الحياة للفرد والمجتمع، ومميزة عن غيرها بخصوصية تربط كل تلك التفاعلات بالإسلام انطلاقاً منه، والتزاماً به، ورجوعاً إليه.

ونستطيع أن نلمح صلة الإسلام خصوصاً والدين عموماً في بناء الثقافة العام الشامل، فعلى سبيل المثال نجد أن الحياة الاجتماعية تتسم بالترابط الأسري في تربية الأبناء وبر الآباء وصلة الجيران، وحجاب المرأة والبعد عن الاختلاط، وتلك هي الصبغة الاجتماعية المعبرة عن الثقافة الإسلامية، بينما نجد أن الثقافة الغربية ليس فيها مثل ذلك الترابط الأسري والصلة الاجتماعية والستر والحشمة، وذلك سمت ظاهر فيها، والأديب عندما يؤلف الرواية فإنه يعكس فيها ثقافته، فإن كانت إسلامية رأيته يجتنب وصف العورات، وإثارة الشهوات، وعرض الشبهات، وإن عرج على شيء من ذلك ذكره في معرض

النقد وبيان الخلل، وغيره ربما يذكر ذلك ويصفه دون حرج بل يعرضه عرض المقر به والمرغب فيه ويعكس من خلاله ما يراه في واقع بيئته ومجتمعه، ومثل ذلك يقال عن الفنان الذي يرسم، والشاعر الذي ينظم، والعامل الذي يصنع، والعالم الذي يبحث، والمعلم الذي يربي، فإن كلّاً من هؤلاء تظهر بصمات ثقافته على عمله وإنتاجه، ذلك أن الثقافة تدخل في نسيج الحياة، وفي تفاعل الإنسان، ومن هنا جعلنا تعريف الثقافة الإسلامية يتناول جوانب الحياة المختلفة في ضوء الأسس والضوابط الإسلامية للفرد والمجتمع.

الثقافة والمصطلحات المقاربة:

استكمالاً لتوضيح مفهوم الثقافة نورد بعض المصطلحات القريبة منها، ونذكر معانيها، والفرق بينها وبين الثقافة، ونقتصر هنا على: العلم والحضارة.

العلم والثقافة:

تعريف العلم لغة: العلم نقيض الجهل، وعَلِمَ بالشيء: شعر به، يقال: ما علمت بخبر قدومه أي: ما شعرت، ويقولون علم الأمر وتعلّمه: أتقنه[1].

تعريف العلم اصطلاحاً: والتعريف المختصر المتعلق بأنواع العلوم المختلفة هو أن العلم: هو المسائل المضبوطة بجهة واحدة.

فعلم اللغة هو العلم المختص بالمسائل المرتبطة بالكلمة وبنيتها الصرفية وأحوالها الإعرابية، وعلم الفيزياء هو العلم المختص بالمسائل المرتبطة بالظواهر الطبيعية كالصوت والضوء ونحوها.

الفرق بين الثقافة والعلم:

ومما سبق يمكن توضيح الفرق بين الثقافة والعلم فيما يلي:

١ ـ الثقافة أشمل من العلم: فالثقافة ليست مرتبطة بجهة واحدة كالعلوم

(١) مادة (ع ل م) لسان العرب، لابن منظور (١٢/٤١٦ ـ ٤٢٢) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/١٠٩).

المتخصصة المختلفة، كما أن الثقافة تشتمل على أمور فكرية وعاطفية، وأخرى سلوكية وأخلاقية.

٢ ـ الثقافة خصوصية مميزة لأمة معينة، والعلم مشترك عام بين الأمم: فالعلم إرث إنساني مشترك في جانب العلوم المادية فهي قائمة على التجربة ونتائجها واحدة، ولا تتأثر ـ في الجملة ـ بالفكر والعاطفة، فالماء مكون من الأوكسجين والهيدروجين وتلك الحقيقة واحدة في الشرق والغرب وعند أهل الملل والنحل جميعاً.

الحضارة والثقافة:

تعريف الحضارة:

الحضارة مصطلح أشد قرباً إلى الثقافة من العلم، وأكثر تداخلاً معها، وكثيراً ما يستخدم أحد المصطلحين (الثقافة، الحضارة) للتعبير عن الآخر.

تعريف الحضارة لغة: الإقامة في الحضر، والحضر والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا من الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم فيها قرار[١].

تعريف الحضارة اصطلاحاً: هناك تباين كبير، واختلاف واسع، وتعريفات شتى، للمعنى الاصطلاحي للحضارة، وهنا نعرض لبعض هذه التعريفات التي تتناول جوانب مختلفة، ومنها:

تعريف ابن خلدون: الحضارة هي تفنن في الترف، وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله[٢].

فها هنا نجد التعريف يحصر الحضارة في الجوانب المادية من الصنائع والمباني ونحوها، ويربطها بتوفير وسائل أفضل في أساليب العيش والحياة.

---

(١) مادة (ح ض ر) في المصباح المنير، للفيومي (ص٧٦) ولسان العرب لابن منظور (١٩٧/٤).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص١٧٢)

تعريف د. محمد محمد حسين: الحضارة هي كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلاً وخُلُقاً، مادة وروحاً، دنيا وديناً[1].

وهنا نلحظ توسعاً في دلالة الحضارة يشتمل على الجوانب المعنوية كالدين والخلق، ويتناول نشاطات الحياة المختلفة مادية وفكرية.

تعريف ول ديورانت: الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة انتاجه الثقافي بعناصر أربعة:

(١) الموارد الاقتصادية (٢) النظم السياسية (٣) العقائد الخلقية (٥) متابعة العلوم والفنون[2].

تعريف كلود بالماس: الحضارة هي تربية الضمير واستعمال الثقافة والعقل في البحث عن الأفضل[3].

وفي كلا التعريفين نلحظ أن هؤلاء المفكرين الغربيين نظروا إلى الحضارة بشقيها المادي والمعنوي، الإنساني والعمراني.

الفرق بين الثقافة والحضارة:

مما سبق من التعريفات يتضح التقارب والتداخل بين مصطلحي الثقافة والحضارة لدى كثير من المعاصرين، ومع ذلك فيمكن القول أن هناك اتجاهين في بيان الصلة بينهما:

الاتجاه الأول: اتجاه التوافق والترادف:

وهو يرى أن المصطلحين متوافقان ومترادفان، وأن أحدهما يعبر عن الآخر، وأنه لا إشكال في استخدام أحدهما للدلالة على معنى الآخر، وسبب ذلك أن الحضارة مشتملة ـ عندهم ـ على الفكر والعاطفة والسلوك فأشبهت

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، د. توفيق الواعي (ص٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص٢٥).

(٣) المصدر السابق (ص٢٨).

الثقافة من هذا الوجه، ومع ذلك فإن هذا الاتجاه يفرق بين المصطلحين إذا اجتمعا في سياق واحد، فيجعل الثقافة تعبر عن الأمور المعنوية، والحضارة تدل على الجوانب المادية، ويرى أن الثقافة جزء من الحضارة، وهي تمثل الجانب المعنوي ونظام القيم في الحضارة.

يقول (هينتيجتون): «الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما، والحضارة هي ثقافة على نطاق أوسع، وكلاهما يضم المعايير والقيم، والمؤسسات، وطرائق التفكير، التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما»[1].

الاتجاه الثاني: التغاير والتفريق:

وهو يرى أن المصطلحين متغايران ولكل منهما دلالته الخاصة به، وهذا الاتجاه يلحظ أن أصل كلمة الثقافة اللغوي مرتبط بالتهذيب والتأديب، وهو عماد تعريفها، كما أن مصطلح الثقافة غلب ارتباطه بالفكر والسلوك، ومصطلح الحضارة غلبت عليه الصلة بالإنتاج والعلوم والعمران، وبالتالي فالثقافة مختصة بالمعنويات والحضارة بالماديات ولا تداخل بينهما.

ولتوضيح هذا الفرق نسوق هذه الكلمات للرئيس (علي عزت بيجوفتش) حيث يقول:

الحضارة استمرار للتقدم التقني (المادي)، والثقافة استمرار للتقدم الإنساني.

الحضارة تقدم في الوسائل، والثقافة تقدم مستمر للذات والاختيار.

العلم والتكنولوجيا والمدن والدول كلها تنتمي للحضارة.

الدين والقيم والفكر والأدب هي مكونات الثقافة[2].

• • •

(١) صراع الحضارات (ص٩٦).

(٢) الإسلام بين الشرق والغرب (ص٩٤ ـ ٩٦).

خلاصة الوحدة الأولى

فهم مدلول الثقافة مدخل أساسي لمعرفة الثقافة وما يتصل بها من خصائص ومصادر وعلاقات.

ـ تعريف الثقافة:

استعملت المعاجم اللغوية كلمة الثقافة بنوعين من الاستعمال:

الأول: ماديٌّ محسوس، وأصله الثِّقاف وهي حديدة يقوّم بها الشيء المعوجّ.

الثاني: معنوي غير محسوس، وأصله يتصل بالحذق والتعلُّم، كقولهم: تثقيف العقول.

أما في الاصطلاح: فإن الثقافة مصطلح له تعاريف كثيرة.

والتعريف الاصطلاحي المختار للثقافة الإسلامية هو:

جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والعوائد، والأعراف والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات، التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام.

من المصطلحات القريبة من مصطلح الثقافة:

أ ـ العلم: ويعرف اصطلاحًا بأنه: هو المسائل المضبوطة بجهة واحدة.

ب ـ الحضارة: وتعرف اصطلاحًا بأنها: كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخُلُقاً، مادة وروحًا، دنيا وديناً.

ـ هناك اتجاهان في بيان الصلة بين الثقافة والحضارة:

ـ الاتجاه الأول: يرى أن المصطلحين مترادفان، وأن كلاهما يعبر عن الآخر، وأنه لا إشكال في استخدام أحدهما للدلالة على معنى الآخر.

الاتجاه الثاني: يرى أن المصطلحين متغايران ولكل منهما دلالته الخاصة، وهو اتجاه يلحظ أن أصل كلمة الثقافة اللغوي مرتبط بالتهذيب والتأديب، وأنها مختصة بالمعنويات دون الحسيات.

أسئلة على الوحدة الأولى

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ تشكل الثقافة أساسًا جوهريًا في حياة الفرد دون المجتمع.

٢ ـ تتميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بالرصيد الثقافي الموصول بالإيمان والأخلاق.

٣ ـ في ظل العولمة الثقافية فإنه ليس من الضروري أن ترتبط الأمة بموروثها الثقافي العقدي.

٤ ـ عند بيان معنى الثقافة راعت معاجم اللغة النظر إلى الجانب الماديّ المحسوس دون غيره من الجوانب.

٥ ـ الثقافة من المنظور الاصطلاحي ذات معايير متعددة.

٦ ـ الثقافة تشتمل على العلوم والمعارف دون القيم والمبادئ.

٧ ـ الثقافة مشترك عام بين الأمم وليست لها خصوصية مميزة لأمة عن أخرى.

٨ ـ يعتبر مصطلح العلم أشدّ قربًا للثقافة من مصطلح الحضارة.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد.

١ ـ حينما تناولت معاجم اللغة مصطلح الثقافة تناولته من حيث:

أ ـ الاستعمال المادي المحسوس.

ب ـ الاستعمال المعنوي غير المحسوس.

ج ـ كلاهما.

٢ ـ مصطلح الثقافة من حيث المعنى الاصطلاحي:
أ ـ مصطلح كثير التعريفات اختلفت حوله وجهة نظر المفكّرين والعلماء.
ب ـ مصطلح له تعريف واحد عند جميع المفكرين والعلماء.
ج ـ مصطلح ليست له صلة بالمعنى اللغوي.
٣ ـ الثقافة من حيث مفهومها:
أ ـ لها ارتباط بالفرد دون المجتمع والأمة.
ب ـ ترتبط بالأمة والمجتمع فقط.
ج ـ كلاهما.
٤ ـ تعتبر الثقافة:
أ ـ ذات خصوصية مميزة لكل أمة عن غيرها.
ب ـ مشترك عام بين الأمم ولا خصوصية فيها.
٥ ـ الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها، وهذا هو تعريف:
أ ـ المعجم الوسيط.
ب ـ المعجم الفلسفي.
ج ـ منظمة اليونسكو.
٦ ـ يعتبر مصطلح الحضارة:
أ ـ أشد قربًا إلى الثقافة من العلم.
ب ـ أبعد عن الثقافة من العلم.
ج ـ كل من الحضارة والعلم مستويان في قرب الصلة بالثقافة.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ عرف الثقافة لغة واصطلاحاً مع بيان معنى كل من: الاستعمال المادي المحسوس والاستعمال المعنويّ غير المحسوس الذي تبنّته المعاجم اللغوية.

٢ ـ اذكر التعريف الاصطلاحي المختار للثقافة الإسلامية مع بيان كيف يحقق هذا التعريف الشمول في الجوانب المعنوية الفكرية والمادية العلمية للثقافة.

٣ ـ ميِّز الفرق بين مصطلحي العلم والثقافة.

٤ ـ ناقش تعريف ابن خلدون للحضارة من الناحية الاصطلاحية وما هي المآخذ عليه.

٥ ـ هناك اتجاهان للصلة بين الحضارة والثقافة اذكرهما.

٦ ـ «الحضارة استمرار للتقدم التقني المادي، والثقافة استمرار للتقدم الإنساني» من قائل هذه العبارة؟ وأي أتجاهات الصلة بين الثقافة والحضارة يمثله هذا القول؟

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإيجاز النشاط التعليمي التالي:

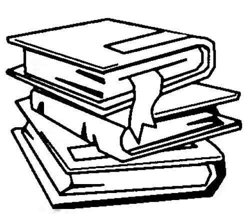
١ ـ اجمع أكبر قدر ممكن من التعريفات الاصطلاحية لكل من الثقافة والحضارة، ثم ادرس المعاني المشتركة بين هذه التعريفات، واستخلص من ذلك حقائق مفهوم الثقافة والحضارة والصلة بينها.

٢ ـ حاول توضيح الصلة بين الثقافة والأدب من خلال أمثلة تطبيقية مختارة من بعض القصص والقصائد والكتب الأدبية.

● ● ●

الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية



الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

إذا كانت الثقافة الإسلامية واسعة الدلالة الجوانب الحياة المختلفة فإن مصادرها ستكون واسعة الثراء، متنوعة الموارد والمناهل، تنطلق جميعًا من الوحي الرباني، وتفيء إليه.

فمن أين يستمد المسلم عقيدته وشريعته إلا من كتاب ربه تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فهما الأصلان العظيمان، وعنهما تتفرع علوم الإسلام، وتتفجر ينابيع حكمته، وتتلألأ أنوار هدايته.

وفي الفقه الإسلامي سعة عظيمة، وأصالة عريقة، وقوة منهجية، ومرونة واقعية، وذلك كله من رصيد الثقافة الإسلامية.

وفي لغة القرآن الكريم وآدابها معين ثقافة لا ينضب، ومورد أصالة لا ينفد، وكتاب أدب لا يُملّ.

وفي التاريخ الإسلامي سجلُّ مسيرة الأمة، ومرصدٌ لمواطن القوة ومراكز الإبداع والإشعاع الثقافي، وبرهان طهر الثقافة الإسلامية ونزاهتها عما تلطخت به الثقافات التي عاصرتها من طغيان وقهر.

عزيزي الدارس هلمَّ لتتعرف على مصادر الثقافة الإسلامية لترى أنها مصادر العزة، ومنابع الرحمة، وعصمة الأصول، وطهارة التطبيقات عبر مختلف العصور وتعاقب الدول.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تذكر دور القرآن الكريم في الثقافة الإسلامية، باعتباره المصدر الأول من مصادر الثقافة الإسلامية.

٢ ـ توضح أهمية السنة النبوية وقيمتها باعتبارها المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية.

٣ ـ تعدِّد أهم السمات التي جعلت الفقه الإسلامي بفروعه المختلفة أحد أهم المصادر الأساسية للثقافة الإسلامية.

٤ ـ تصنف الجوانب الرئيسة للتاريخ الإسلامي التي تجعل منه أحد المصادر للثقافة الإسلامية.

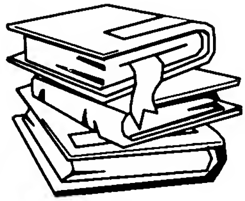
٥ ـ تستنتج كيف تسهم اللغة العربية وآدابها في إثراء الثقافة الإسلامية.

● ● ●

الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية

- المصدر الأول: القرآن الكريم.
- المصدر الثاني: السنة النبوية.
- المصدر الثالث: الفقه الإسلامي.
- المصدر الرابع: التاريخ الإسلامي.



الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية

الثقافة ـ كما مر بنا ـ بحر لا ساحل له، وعطاؤها الفكري رحب واسع، ومادتها نتاج تراكم تاريخي ممتد لأزمان طويلة، ومكوناتها ذات تنوع وتشعب كبير، ومن ثم فإن الحديث عن مصادرها ينصرف إلى الأصول الجامعة، والأطر العامة التي ترجع إليها أو تستمد منها، أو تسترشد بها، أو تعتمد عليها، أو تترجم عنها، وأما ما وراء ذلك فمصادر شتى لا يمكن حصرها فضلاً عن الإحاطة بها.

ومن ناحية أخرى فإن المصادر ـ بالوصف الذي سبق ذكره ـ تشكل الأسس الكبرى والقواعد العظمى للثقافة من حيث آفاق الفكر، وميادين العطاء، ومجالات التفاعل، إضافة إلى أطر المنهج، ومعالم القدوة، ورصيد التجربة، وتلك المصادر تعد علامة فارقة بين ثقافات وأخرى، وسمة مميزة لأي ثقافة عن غيرها من الثقافات.

وحديثنا عن مصادر الثقافة الإسلامية سينحصر في خمسة مصادر هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والفقه الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية وآدابها، وهذه المصادر تخص الثقافة الإسلامية بشكل أساسي، وهذا بيان موجز لهذه المصادر.

المصدر الأول: القرآن الكريم:

الحديث عن القرآن الكريم لا يتسع له هذا المقام، ولذا نوجز في البداية أبرز خصائص القرآن ذات الأثر المهم في كونه مصدراً للثقافة ونلخصها فيما يلي:

١ ـ **القرآن الكريم محفوظ من التغيير والتحريف**: ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهذا يمثل للثقافة الإسلامية أصالة متميزة في ثبات أطرها ومنطلقاتها العامة المحفوظة في آيات القرآن دون تحريف بالزيادة أو النقصان.

٢ ـ **القرآن الكريم شامل لجوانب الحياة المختلفة**: ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، **قال السعدي**: «﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع؛ ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه»[١]، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، **قال القرطبي**: «أي ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يُتَلقى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فأجمل في هذه الآية وآية النحل ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً»[٢]، ولا شك أن هذا الشمول والكمال يعد مكسباً وميزة للثقافة الإسلامية في سعة ميادين موضوعاتها ورحابة مجالات عطائها.

٣ ـ **التوازن والانسجام في الخطاب القرآني**: فالقرآن الكريم جمع بين خطاب العقل والعاطفة: وشواهد ذلك في القرآن كثيرة ومنها: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝٢١﴾ [العنكبوت: ٢٠ ـ ٢١]، فنحن نرى الآية تدعو العقل إلى التفكر والتدبر ثم نجد خطاب العاطفة في شأن العذاب والرحمة والتذكير بالمآل الأخير بين يدي الله جل وعلا، وجمع

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٢٠).

(٢) تفسير القرطبي (١/١١٨٥ ـ ١١٨٦).

القرآن كذلك بين رعاية الجسد وغذاء الروح ولذلك أمثلة كثيرة منها في الرعاية الصحية الغذائية قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، ونجد أمثلة كثيرة كذلك لزكاة النفس وانشراح الصدر كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وكذلك جاء التوازن في علاقة المسلم بين الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفي ضوء ما سبق ندرك أن القرآن كمصدر أول للثقافة الإسلامية يعتبر رافداً حيوياً زاخراً يمدُّها بزاد عظيم، إذ أن الحفظ والثبات يشكل أصول المنهج الذي لا تتجاذبه آراء العقول البشرية، ولا أهواء النفوس الإنسانية، ولا يتقلب مع تقلبات الزمان، ولا يتغير بتأثيرات المكان، ولا يتبدل بالعوائد والأعراف الاجتماعية، ويبقى مع كل ذلك صافياً عذباً لا تشوبه شائبة، ويظل ثريًّا متدفقاً لا توقفه العوارض والعوائق، وفي تلك الأصول والاعتقاد الصحيح في الله ﷻ، والتصور الكامل عن الكون والإنسان، والامتداد العظيم الذي لا يقتصر على الدنيا بل يؤمن بالأخرى، فضلاً عن منهجية تحرير العقل من قيود التقليد وأوهام الخرافة، إضافة إلى ما فيه غذاء الروح وسكن النفس من علاقة العبودية لله مع كمال الحب، وعظمة الخشية، وغير ذلك مما يرسم مسار الثقافة الإسلامية، بأفق واسع، وغايات سامية، ومجالات متنوعة، ويطلق طاقات أبنائها الفكرية، والنفسية والبدنية في توافق وانسجام.

أما الشمولية فهي التي تدل على اشتمال القرآن على الأصول الجامعة والنظم الضابطة في جوانب الحياة المختلفة؛ ففي النظام الاقتصادي نقف على آيات كثيرة منها: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفي النظام

السياسي نقرأ أصوله في الحكم في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وفي العدل في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وفي الطاعة والانضباط في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، والشورى في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وغير ذلك من الآيات الكريمات، وأما النظام الأخلاقي فنجد له ذكراً حافلاً في مواطن شتى من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وتتويج ذلك كله بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وإن جئنا إلى النظام الاجتماعي فثمة آيات في الحثّ على الزواج كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وأخرى في العلاقة بين الزوجين: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، وآيات كثيرة في تفاصيل أحكام الطلاق والميراث، وهكذا نرى رحابة العطاء القرآني الذي تستند إليه الثقافة الإسلامية.

والخطاب القرآني المتنوع بما فيه من إقامة الحجج العقلية، وذكر الأدلة الكونية، ولفت النظر إلى الأقيسة الواقعية، إضافة إلى دعوته إلى طهارة القلب وزكاة النفس، وسموّ الروح، كل ذلك رصيد للثقافة الإسلامية في منهجيتها، ولغة خطابها، وقدرتها على التعامل مع الإنسان بما يرضيه ويؤثر فيه.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

ونصدّر حديثنا عن السنة ببعض خصائصها المهمة في هذا الموضوع ونختار منها ما يلي:

١ - **السنة في مجملها وحي إلهي**: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وذلك يعكس ذات المعاني والدلالات التي ذكرت في حفظ القرآن، إذ السنة وحي، وهي محفوظة في الجملة بحفظ الله، إذ من تمام حفظ الكتاب حفظ ما يشرحه ويبينه، وقد قيض الله للسنة أئمة من علماء الأمة حفظوا متونها، ونقدوا رواتها، وميزوا الصحيح والضعيف.

٢ ـ السنة تفسير للقرآن الكريم وشرح لمعانيه: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وبيان الرسول ﷺ كان أبلغ بيان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، واشتمل على الشرح والتفسير، وذكر القصص، وضرب الأمثال، بتنوع الوسائل القولية والعملية، فالسنة جسر موصل إلى التعلق بالقرآن، والتدبر في معانيه، والعمل بأحكامه، والتحلي بآدابه، والدعوة إلى منهاجه.

٣ ـ السنة تجسيد المنهج الرباني في صورة عملية حية: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ أوجزت فقالت: «كان خلقه القرآن»[(١)]، ولا شك أن هذه مزية كبرى، فكثيرة هي المبادئ النظرية التي لا وجود لها يصدقها في الحياة الواقعية، وكثيرة هي الأفكار المثالية التي لا تدعمها أمثلة تطبيقية، أما السنة والسيرة النبوية فهما أصدق ترجمان، وأبلغ بيان عن حقائق القرآن، ومُثله فينتظم المثال والواقع، والمنهج والعمل في تجانس وتكامل لا نظير له.

والسنة من ثم تعد مصدراً عظيماً للثقافة الإسلامية، بمادتها الحديثية الشاملة لتربية الفرد، وتنظيم المجتمع، وبناء الإنسان، وتشييد العمران، فضلاً عن ما تضمنته من وسطية الفكر، وعدالة الحكم، وإنسانية التعامل، وإن الثقافة الإسلامية تتميز بذلك عن غيرها، إذ إن ثقافة تجد النموذج التطبيقي الأمثل في الجوانب الحياتية المختلفة ممثلاً في شخص واحد جديرة بأن تفتخر وتعتز، وأن تستفيد وتفيد، ذلك أن المصطفى ﷺ كان الحاكم العادل، والقاضي النزيه، والزوج المحب، والأب المربي، والصديق الوفي، والسياسي المحنك، والعسكري الشجاع، والتاجر الأمين.

المصدر الثالث: الفقه الإسلامي:

الفقه الإسلامي له مادة ضخمة، فهو من جهة يشتمل على العبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصية، والجنايات وغيرها، ومن جهة أخرى يشتمل في كل ذلك على مذاهب الأئمة ذوي الاجتهاد في سائر الأبواب، ومن جهة ثالثة

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٣٤٦٠).

فيه الأحكام وأدلتها وشواهدها، والاستنباط وأصوله وطرائقه، والترجيح وقواعده وعوارضه، ويضاف إلى ذلك تناول الفقه لمستجدات المسائل بالبحث فيها والحكم عليها، ومن هنا جاءت الموسوعات الفقهية الكبرى المشهورة كشرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي، والاستذكار لابن عبدالبر، والمجموع شرح المهذب للنووي الشافعي، والمغني شرح مختصر الخرقي لابن قدامة المقدسي، وغير ذلك كثير لا يكاد يحصى.

إن هذه الثروة العظيمة لا نظير لها في تراث الأمم والثقافات الأخرى في الجملة ولعل أبرز السمات التي يشار إليها في الفقه الإسلامي في هذا المقام:

١ ـ **إبراز محاسن الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان**: وذلك من خلال السعة والشمول، والدقة والإحكام، والتزام المنهجية العلمية، والربط بالمقاصد الكلية.

٢ ـ **إبراز الثراء العلمي ومزية الجمع بين صفتي الثبات المانع من التميع، والاجتهاد المانع من الجمود والتخلف**: وذلك ظاهر في المرجعية العليا للكتاب والسنة، وثبات الأحكام القطعية سيما في العبادات وكبائر المحرمات، فكثير من ذلك من الثوابت التي دلت عليها الآيات والأحاديث النبوية، والإجماع المعتبر في العصور المختلفة، وأما ساحة الاجتهاد والتجديد فهي واسعة ومتنوعة فيها ثراء عظيم، وقد شهد القاصي والداني بأصالة وسعة الفقه الإسلامي وقلَّ في الأمم والثقافات وجود مثل هذا الرصيد العلمي بضخامته وتميزه وروعته.

المصدر الرابع: التاريخ الإسلامي:

إن التاريخ حركة الحياة، وتفاعل الأحياء، وهو سجل الرصد لحركة البشر على امتداد الزمن، ويمكننا أن ننظر إلى التاريخ الإسلامي كمصدر للثقافة الإسلامية من جوانب متنوعة منها:

١ ـ **التاريخ تجسيد لمسيرة الأمة وبيان لمدى ارتباطها بمنهجها**: فالتاريخ الإسلامي يمثل مسيرة الأمة الإسلامية في عصورها النموذجية في عهد النبوة والخلافة الراشدة كما نوّه بذلك المصطفى ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء**

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٠٠).

الراشدين المهديين من بعدي»[1]، وكذلك في عموم القرون المفضلة التي ورد في شأنها الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حيث قال: «**خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[2]، والمسيرة تشتمل على رسم لمسار الأمة في التزامها وقربها من المنهج الأمثل في الكتاب والسنة، أو بعدها عنه ومخالفتها له، ويظهر التاريخ سنة الله الماضية في النصر والعز والتمكين لمن أطاعه ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، كما يوضح سنة الله كذلك فيمن خالف وابتعد ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، ويتجلى ذلك في فترات الإصلاح والمراجعة في امتداد التاريخ الإسلامي كفترة عمر بن عبدالعزيز في العهد الأموي، ونور الدين زنكي في العهد المملوكي وغيرها.

٢ ـ **التاريخ رصد للمنجزات الحضارية والمسيرة العلمية**: ففي صفحات التاريخ سير العلماء وعطاؤهم العلمي في المجالات المختلفة فنقف ـ على سبيل المثال ـ على ابن النفيس وحديثه في الطب والدورة الدموية، ونمر على الخوارزمي ومنجزه الرياضي في علم الجبر، ونعرج على ابن الهيثم وعطائه في الفيزياء، وابن خلدون وتأسيسه لعلم الاجتماع، وهكذا في صفحات مشرقة في حواضر العالم الإسلامي في المشرق كبغداد وخوارزم وغيرها إضافة إلى السجل الحضاري الحافل للدولة الإسلامية في الأندلس وما وصلت إليه من تطور علمي كان الأبرز من نوعه في ذلك الزمان ويدل على ذلك الرصيد العلمي الهائل من الكتب المخطوطة والمطبوعة في شتى العلوم.

٣ ـ **التاريخ تسجيل لتفاعل الأمة مع الأمم الأخرى وثقافتها وحضارتها**: ففي التاريخ الإسلامي فتوحاتٌ عظيمة دخل فيها الإسلام إلى كثير من أقطار المعمورة، وتعامل مع حضارات كالحضارة الفارسية والرومانية واليونانية، والتاريخ يبين هذا التفاعل الحضاري الذي استوعبت فيه الثقافة الإسلامية المنجز الحضاري المادي، والميراث العلمي المعرفي، فأخذت النافع، واجتنبت الضار، وزادت على ما أخذت، وتوسعت فيما عَلِمت، وأروع من ذلك أنها

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: فضائل الصحابة ﷺ برقم (٣٣٧٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: فضل الصحابة برقم (٤٥٩٩).

أضافت لتلك الأمم الشعوب والثقافات علومها ومعارفها، وقبل ذلك قيمها ومبادئها، وانتصرت منهجياً وفكرياً مثلما انتصرت مادياً وعسكرياً، بل إن انتصارها الثقافي والحضاري كان دائماً أبلغ وأوسع فَثَمَّةَ بلاد وشعوب دخلها الإسلام من غير معارك وفتوحات، وإنما فتحت بالعقيدة والأخلاق والقدوة الحسنة، بل إن الذين انتصروا عسكرياً على المسلمين كالتتار استطاعت ثقافة الإسلام أن تنتصر عليهم بسمو مبادئها وقيمها وقوة حجتها ودلائلها، فدخلوا في الإسلام وصاروا جنداً له ينافحون عنه بعد أن كانوا محاربين له، وأثبت التاريخ التطور الذي استفاده المسلمون من الثقافات والحضارات الأخرى منذ عهد مبكر كما فعل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم دوّن الدواوين، ونظم أجهزة الدولة مستفيداً من تجارب الأمم الأخرى.

٤ ـ التاريخ مجال خصب لمعرفة الدروس والعبر والإفادة منها في الحاضر والمستقبل: فالتاريخ الإسلامي كانت فيه فترات قوة وانتشار، ورقي وازدهار، كما شهد كذلك فترات ضعف وانحسار، وفي بعض البلاد فترات سقوط وانهيار وكل ذلك مجال للاتعاظ والاعتبار، وهذا منهج قرآني للمسلم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وفي صفحات التاريخ دروس وعبر، وتجارب وفوائد، وأمة لا تقرأ تاريخها لا تعرف حاضرها ولا تتهيأ لمستقبلها:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر ضاع قوم ليس يدرون الخبر

وهكذا نجد التاريخ منبعاً متدفقاً في بحر الثقافة الإسلامية.

المصدر الخامس: اللغة العربية وآدابها:

إن من أبرز سمات اللغة العربية التي تكشف عن ثراء عطائها كمصدر للثقافة الإسلامية ما يلي:

١ ـ اللغة العربية لغة القرآن والسنة، وهي اللغة المشتركة بين الشعوب الإسلامية المختلفة: استوعب الإسلام شعوباً كثيرة، ودخل بلاداً عديدة، ودانت به جموع غفيرة لها لغات وثقافات مختلفة، ومن ثم كانت اللغة العربية ـ بما لها

من ارتباط بالدين في القرآن والسنة وفرائض العبادات ـ اللغة التي يحرص على تعلمها كل مسلم بل ربما كل من في ديار الإسلام حتى من غير المسلمين، ذلك أنها لغة التواصل والتفاهم عبر الرقعة الواسعة للبلاد الإسلامية المترامية الأطراف، ولقد كان شغف تعلم اللغة العربية لدى عامة المسلمين عظيماً، وكان إتقانها شرفاً كبيراً، ومن ثم برع فيها وصار من أعلامها وعلمائها من ليسوا عرباً في الأصل، وحسبنا في ذلك سيبويه النحوي الشهير إذ هو فارسي.

٢ ـ ثبات أصول وقواعد اللغة العربية وآدابها من خلال حفظ القرآن الكريم: وهذه المزية جعلت اللغة ثابتة في أصولها مع تجدد عطائها، وتنوع آدابها، فالثبات يشمل أصول اللغة صرفاً ونحواً، وبنية الكلمة ودلالتها المعجمية، وتراكيبها الإفرادية والجمعية، وأحوالها الإعرابية والاشتقاق يستوعب التسمية لمستجدات المخترعات، وهذا يكاد لا يوجد في اللغات الأخرى فتجددها وتطورها يغير في أصولها وبنيتها، فلغة شكسبير الإنجليزية لا يكاد يعرفها الإنجليز في هذا العصر.

٣ ـ استئثار اللغة العربية بالنصيب الأكبر من تدوين التاريخ والأدب والعلوم الإسلامية: لا شك أن المؤلفات في العلوم الإسلامية كتبت بلغات متعددة كالفارسية والأردية لكن اللغة العربية كان لها الحصة الكبرى، والمكتبات العالمية تشهد بذلك إذ تضم مئات الآلاف من المخطوطات العربية في شتى فنون العلم، وذلك جعل اللغة العربية مزية كمصدر للثقافة الإسلامية باعتبارها الوعاء الذي دون نتاجها، وحفظ آدابها، وسجل تاريخها.

● ● ●

خلاصة الوحدة الثانية

- الثقافة من حيث البحث عن مصادرها لها أطر عامّة وأصول جامعة ترجع إليها وتستمد منها، وتتمثل مصادر الثقافة الإسلامية في خمسة مصادر هي:

(القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والفقه الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية وآدابها).

من خصائص القرآن الكريم التي جعلته مصدرًا مهمًّا من مصادر الثقافة:

١ - أنه محفوظ من التغيير والتحريف؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

٢ - أنه شامل لجوانب الحياة المختلفة؛ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٣ - التوازن والانسجام في خطابه بين خطاب العقل والعاطفة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٠].

- من خصائص السنة:

١ - أنها في مجملها وحي إلهيّ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣].

٢ - أنها مفسّرة للقرآن وشارحة لمعانيه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

٣ - أنها مجسِّدة للمنهج الرباني في صورة عمليه حية؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- تعتبر السنة بمادتها الحديثية مصدرًا عظيمًا من مصادر الثقافة الإسلامية بما تشتمل عليه من منهج صالح لتربية الفرد، وتنظيم المجتمع، وبناء الإنسان، وتشييد العمران.

ـ يعتبر الفقه الإسلامي من الروافد الأصلية للثقافة الإسلامية بما يشتمل عليه من مادة علمية ضخمة، تتناول العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية وغيرها، إلى جانب ما يشتمل عليه من مذاهب الأئمة المجتهدين.

ـ من سمات الفقه الإسلامي:

١ ـ إبرازه محاسن الشريعة الإسلامية وتأكيد صلاحيتها لكل زمان ومكان.

٢ ـ إبراز الثراء العلمي ومزية الجمع بين الثبات المانع من التميع، والاجتهاد المانع من الجمود والتخلف.

ـ يعتبر التاريخ الإسلامي مصدرًا من مصادر الثقافة من جوانب متنوعة منها:

١ ـ أنه يجسِّد مسيرة الأمة ويبين مدى ارتباطها بمنهجها.

٢ ـ يعتبر مرصدًا للمنجزات الحضارية والمسيرة العلمية، وفي صفحاته سير للعلماء وعطائهم العلمي في المجالات المختلفة.

٣ ـ أنه تسجيل لتفاعل الأمة مع الأمم الأخرى وثقافتها وحضارتها.

٤ ـ أنه مجال خصب لمعرفة الدروس والعبر والإفادة منها في الحاضر والمستقبل.

ـ من سمات اللغة العربية وآدابها:

من أبرز سمات اللغة العربية التي تكشف عن ثرائها كمصدر للثقافة الإسلامية:

١ ـ أنها لغة القرآن والسنة، والتي دخلت بالإسلام بلادًا كثيرة، واستوعبت شعوبًا كبيرة.

٢ ـ أنها لغة ذات أصول وقواعد ثابتة، حيث هي لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله تعالى بحفظه على مدى الزمان.

٣ ـ حيازتها النصيب الأكبر من تدوين التاريخ والأدب وغيرهما من العلوم.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ تعتبر مادة الثقافة نتاج تراكم تاريخي ممتد لأزمنة طويلة.

٢ ـ ينحصر الحديث عن مصادر الثقافة الإسلامية في مصدرين هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٤ ـ اهتم القرآن الكريم في أسلوبه بخطاب العقل دون العاطفة.

٥ ـ يعتبر القرآن الكريم رافدًا أصيلاً من روافد الثقافة الإسلامية.

٦ ـ اهتم القرآن الكريم بالجانب التعبُّدي فقط في حياة الإنسان دون أن يتطرق لجوانب معيشة الإنسان وكيفية إدارتها.

٧ ـ العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة علاقة تفسير وبيان.

٨ ـ السنة تجسد المنهج الرباني في صورة عملية تطبيقية حيّة.

٩ ـ يعتبر الفقه الإسلامي مصدرًا مهمًّا من مصادر الثقافة الإسلامية.

١٠ ـ هناك علاقة قوية بين ثبات أصول وقواعد اللغة العربية وبين كونها لغة القرآن الذي تكفل الله تعالى بحفظه.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ تتمثل مصادر الثقافة الإسلامية المذكورة في المقرر في:

أ ـ مصدرين.

ب ـ ثلاثة مصادر.

ج ـ خمسة مصادر.

٢ ـ ثبات القرآن الكريم وحفظه من التغير:

أ ـ يمثل للثقافة الإسلامية ميزة مهمة في ثباتها.

ب ـ لا علاقة له بأصالة وتميُّز الثقافة الإسلامية.

ج ـ يدل على الجمود والتقليد لمن سبق.

٣ ـ اهتم القرآن الكريم في خطابه:

أ ـ بالجانب العقلي.

ب ـ بالجانب العاطفي.

ج ـ كلاهما.

٤ ـ حقيقة السنّة أنها:

أ ـ وحيٌ من الله تعالى.

ب ـ اجتهادات خاصة منقولة عن الرسول ﷺ.

٥ ـ من صفات السنّة:

أ ـ أنها مفسِّرة ومبينة للقرآن الكريم.

ب ـ ليست هناك علاقة بينها وبين القرآن الكريم.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ في ضوء دراستك اذكر مصادر الثقافة الإسلامية مستنبطًا العلاقة بينها.

٢ ـ تحدث عن الخصائص التي جعلت القرآن الكريم مصدرًا مهماً من مصادر الثقافة الإسلامية.

٣ ـ ما هي خصائص السنة كمصدر من مصادر الثقافة الإسلامية ورافد من روافدها؟

٤ ـ تحدث عن إبراز الثراء العلمي ومزية الجمع بين الثبات والاجتهاد كسمة من سمات الفقه الإسلامي التي جعلته مصدرًا أساسيًا من مصادر الفقه الإسلامي.

٥ ـ «إن التاريخ حركة الحياة وتفاعل الأحياء وسجل الرصد لحركة البشر على امتداد الزمن»، في ضوء العبارة السابقة ناقش كيف يمكن اعتبار التاريخ رافدًا من روافد الثقافة الإسلامية.

٦ ـ تحدث عن ثبات أصول وقواعد اللغة العربية كسمة من السمات التي جعلتها مصدرًا من مصادر الثقافة الإسلامية.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي :

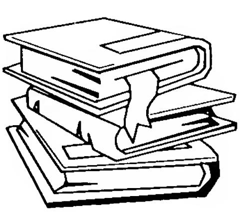
١ ـ حاول أن تستنبط أكبر قدر ممكن من المزايا والسمات التي تعود على الثقافة الإسلامية من كون أبرز مصادرها هما : القرآن والسنة.

٢ ـ ناقش مع زملائك مدى صلة الفقه الإسلامي بالثقافة الإسلامية وكونه مصدراً من مصادرها.

● ● ●

الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية



الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

من البدهي أن لكل ثقافة خصائصها ولا يصعب عليك عزيزي الدارس أن تدرك خصائص الثقافة الإسلامية بعد أن وعيت مفهومها، واطّلعت على مصادرها. وهذه الخصائص تنفرد بها الثقافة الإسلامية عما سواها.

فربانيتها تجعل اليقين والثبات سمتًا لها، وتسكب في قلب أبنائها طمأنينة ورضاً، وقوة وحياءً، واتساقًا مع الفطرة واتفاقًا مع الفكر، واستثمارًا لطاقة الإبداع، وكفاية في العمل والإنتاج.

وشموليتها تنتظم مناحي الحياة جميعًا بتوازن محكم يقيم أمر الدنيا، ويحفظ شأن الآخرة، ويضمن التكامل والتعاضد والنظام.

وواقعيتها وإيجابيتها تجعل تطبيقاتها حقيقية سهلة، متصوّرة وعملية، ترعى الفروق الفردية، وتدفع باتجاه المثل الأعلى، وتهب أبناءها أملاً وتعطيهم هدفًا وعملاً، وتدعوهم إلى عمق الإدراك، وجودة العمل، والحرص على التعاون والتناصر، وابتغاء وجه الله تعالى أولاً وآخرًا.

مرة أخرى - عزيزي الدارس - أنت على موعد مع خصائص التميز، وعلامات السموّ والرقي في الثقافة الإسلامية فاقرأ وانتفع واستمتع.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تعرّف ماهية الربانية ومميزاتها باعتبارها أحد خصائص الثقافة الإسلامية.

٢ ـ تذكر بعض آثار الربانية في الثقافة الإسلامية.

٣ ـ تبين معنى الشمولية وجوانبها في الثقافة الإسلامية.

٤ ـ تعدد بعض مزايا الشمولية في الثقافة الإسلامية.

٥ ـ تحدد بعض عناصر وآثار خاصيّة الواقعية في الثقافة الإسلامية.

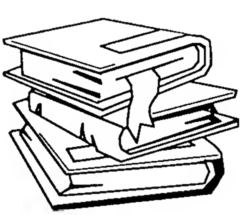
٦ ـ تستنتج بعض صور الإيجابية وآثارها في الثقافة الإسلامية.

● ● ●

الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية

- الربانية: ومميزاتها وآثارها.
- الشمولية: وجوانبها ومزاياها.
- الواقعية: عناصرها وآثارها.
- الإيجابية: صورها وآثارها.



الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية

الخصائص جمع خصيصة، والخصيصة هي: الصفة التي تميز الشيء وتحدده[1]، وأصلها اللغوي: الإفراد دون الغير، فيقال خصه بكذا: أي أفرده به وحده دون سواه[2]، وحديثنا عن خصائص الثقافة الإسلامية معناه إذاً ذكر الصفات المميزة لها عن غيرها مما انفردت به ولم يشاركها فيه سواها، وسنذكرها هنا أربع خصائص أساسية مع إيجاز القول في كل منها:

أولاً: الربانية:

الثقافة الإسلامية ربانية المصدر: ومعنى ذلك: أن أصولها ومبادئها في الجوانب المختلفة وحي من الله تعالى في القرآن والسنة.

وإيضاح ذلك ـ ما سبقت الإشارة إليه ـ في مصادر الثقافة إذ إن الكتاب والسنة ـ وهما وحي من الله ـ المصدران الأساسيان للثقافة الإسلامية.

مميزات الربانية:

تكتسب الثقافة الإسلامية من الربانية مزايا عديدة منها:

١ ـ **اليقين الجازم والصدق المطلق**: ومعنى ذلك أن الأصول والمبادئ والمفاهيم والسلوكيات التي مصدرها القرآن والسنة، اليقين حاصل بأنها صواب لا خطأ، وخير لا شر، ونفع لا ضر؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٢٣٧).

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (٧/٢٤).

٢ ـ **الثبات في الأصول والمعيارية في التقييم**: وهذه مزية مهمة، إذ أن ما ليس له أصل ثابت، يتعرض لتغيير يتناول أصوله وأسسه، ومع مرور الزمان يتحول الأمر إلى صورة أخرى مختلفة كلياً، تكاد لا تمت لأصلها بصلة، وثمة مؤثرات كثيرة تهب رياحها فتقلع ما لا أصل له من جذوره، فهناك الأفكار والشبهات، وهناك الغرائز والشهوات، وهناك الضغط والهيمنة، وهناك الاحتكاك والمداخلة.

وهذا مثال لذلك في شأن اجتماعي ظاهر وهو لباس المرأة، فإن عدم وجود ثبات في الأصول لثقافة العصر الحديث جعل مقاييس هذا اللباس تتغير فيها معاني الستر والحشمة زمناً بعد زمن حتى صارت ورقة التوت التي لا تستر سوى السوأتين نوعاً من الستر والحشمة، وإليك مزيداً من الإيضاح بلسان رجل من أهل الحضارة المعاصرة نفسها وهو طبيب فرنسي حيث يقول: «لا بد من التزام المرأة بلباس موحد على مدى الأزمان، لا تتغير مواصفات الحشمة فيه وإن تغيرت نوعيته، فاللباس المحتشم للمرأة في العصور الوسطى هو نفسه لباس الوقحات في العصور القديمة، ولباس المرأة المحتشمة اليوم هو نفسه لباس العاهرات في القرون الوسطى» وظل يصف التغير الاجتماعي التدريجي عبر العصور من الستر إلى التهتك حتى قال: «وهكذا حتى أصبحت الشريفات اليوم. . . . يلبسن ما كانت تلبسه العاهرات في الأزمان الماضية»[١].

بينما لباس المرأة في الإسلام له مواصفات أساسية محددة في تشريع الحجاب وصفته لا تتغير، وإن تغير نوع اللباس أو لونه أو طرازه ومهما كان التغيير فالمواصفات ينبغي أن تكون متحققة.

وإن الثقافة الإسلامية بثبات أصولها تحافظ على الثوابت الأساسية فلا يعتريها التغيير مهما اختلفت الأحوال، وذلك يضبط آثار التغير ويبين حدوده ويمنع من التفلّت والسير على مقتضيات الأهواء والآراء، ومهما كان اختلاف الواقع عن الأصل الثابت فالمسلم مشدود إلى ثقافته الثابتة ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ومهما تعددت المسالك والطرق فالثبات هو المنجي ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) من أجل تحرير حقيقي للمرأة، لمحمد رشيد العويد (ص١٥٠).

٣ ـ **قوة العنصر الروحي وتأثيره الإيجابي في العلم والعمل**: إن الربانية تغرس في القلب مراقبة الله والحياء منه، وهي تربط المخلوق بخالقه ﷻ ومن ثم تجعله يعيش، وغايته رضا الله، وهمُّه اجتناب سخط الله، وهو يوقن بعلم الله المحيط الشامل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥] وهو مجتهد في ذلك تحققاً بالإيمان واتصافاً بالتقوى واستجابة لنداء الرحمن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وهذه مزية مهمة في العصر الحاضر الذي طغت فيه المادية وكادت أن تطمس المعاني الإيمانية والروحية، بل وحتى الإنسانية والخلقية فإن هذا العصر كما يقول مالك بن نبي: «صار العصر عصر كمٍّ يخضع الضمير فيه للنزعة الكمية كما صار عصر النسبية الأخلاقية فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة»[(١)].

آثار الربانية:

١ ـ **موافقة الفطرة وتلبية احتياجاتها الغريزية**: يقول ابن تيمية: «فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه»[(٢)]، إن الربانية هي تحقيق التطابق والتوحد بين الفطرة التي أودعها الله في المخلوق، وبين العقيدة التي ارتضاها الله له، فكل ذلك من الله وما لم يكن ذلك كذلك فسدت الفطرة وشقيت، ومع هذه السمات الروحية القلبية فإن الربانية هي التي أنكرت الرهبانية وأباحت متع الدنيا التي لا حرمة فيها: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢].

٢ ـ **رشد العقل وإطلاق طاقاته الإبداعية**: العقل له في الإسلام مكانته العظيمة، وهو مناط التكليف، والربانية تكفلت بهداية الإنسان في كل شأن من شؤون الاعتقاد، فالعقيدة في الله ووحدانيته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية، د. عبد الكريم عثمان (ص٨٧ ـ ٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٩٤).

وأمور الغيب كلها جاء بها الوحي في الكتاب والسنة، وكُفيت العقول من الاستقلال بها بل من التفكير فيها، بل ونُهيت عن الخوض فيها إذ ذلك خارج عن قدرتها من جهة وموجب لحيرتها وزيغها من جهة أخرى، فحفظت الربانية طاقة العقل من أن تبدد فيما لا مجال لها فيه، وأطلقت قدرات العقل في ميادين الحياة الرحبة للتفكير والإبداع في استخراج خيرات الأرض وعمرانها، وتنظيم شؤونها، والاجتهاد في الاستنباط من الكتاب والسنة، وبذلك يسلم العقل من الانحراف، وتستثمر قدرته في المجالات الرحبة النافعة.

٣ ـ **سكينة النفس وشحذ قوتها المعنوية**: إن الإيمان طمأنينة في القلب، وسكينة في النفس، والربانية هي أصل ذلك، فالمؤمن مرتبط بالله بحسب ما هداه إليه بما أوحاه إلى رسوله في القرآن والسنة، ومن هنا يفيض عليه الإيمان كل المشاعر القلبية والنفسية الإيجابية، يقول ابن القيم: «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيرانُ حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضا بأمره، ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً»[(١)].

٤ ـ **رقابة الذات وكفاءة العمل**: إن الربانية تكون في النفس الرقابة الذاتية خوفاً من الله والتماساً لرضاه، فإتقان العمل والإخلاص فيه وابتغاء الأجر والثواب منه كلها دوافع وآثار من الربانية الإيمانية، ومن المعلوم: «إن الثقة الكاملة بين الإنسان وما يجب عليه من العمل والسلوك لا بد أن تكون منبثقة من يقين الإنسان بصحة ما يجب عليه وحب صادق له ورغبة قوية فيه وحرص تام وسعادة في أدائه ولكن هذه العناصر والبواعث لا يمكن أن تتحقق للإنسان بعمل الدفع الخارجي بل لا بد لها من العقيدة تمزجها جميعاً مزجاً رائعاً بكيان الإنسان الداخلي وشعوره الوجداني»[(٢)].

(١) الفوائد.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر الخطيب (ص: ٦٦).

ثانياً: الشمولية:

الثقافة الإسلامية ثقافة شمولية غير جزئية: ومعنى ذلك: (أن أصولها وموضوعاتها شاملة للإنسان وتصوراته وتفاعلاته المختلفة مع الحياة).

جوانب الشمولية:

١ ـ شمولية الاعتقاد والتصور عن الكون والإنسان، والخلق والخالق، والحياة الدنيا والحياة الآخرة: وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فالشمولية منتظمة للعقيدة والشريعة، والإيمان والعمل، والروحانية والمادية، فلا اقتصار على جانب دون آخر، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

٢ ـ شمولية الحكم والتشريع في جميع جوانب النشاط الإنساني من اقتصاد وسياسة واجتماع وغير ذلك: والقرآن والسنة فيهما تشريعات عامة وكثير من التشريعات التفصيلية في تلك الجوانب الحياتية المختلفة كما مرّ بنا من قبل.

٣ ـ شمولية الخطاب والتبليغ لجميع الأمم وكل الأجناس وسائر الشعوب في شتى البقاع: وهذه الشمولية هي عالمية الثقافة الإسلامية كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وكما قال تعالى على لسان رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ذلك أن ما في الثقافة الإسلامية من المعاني الإنسانية، والقيم الخلقية، والمناهج العقلية جميعها تشتمل على ما يصلح للبشر جميعاً حتى وإن لم يكونوا مسلمين.

مزايا الشمولية:

١ ـ **التوازن**: رغم سعة هذه الشمولية وانتظامها لكل ما يتصل بالإنسان روحاً وعقلاً وجسداً، وكل ما يتصل بالكون ابتداء وانتهاء، وكل ما يتصل بالحياة في شؤونها المختلفة إلا أن ذلك يتم في توازن يراعي تلك الجوانب جميعها بحيث لا يطغى جانب على جانب، ولا يبرز عنصر على حساب عناصر أخرى، ولعل من أجلى ما يوضح ذلك قصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء ﷺ، حيث آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فجاء سلمان إلى أبي الدرداء فصنع له

طعاماً فقال: كُلْ، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فَصَليَا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[(1)]، فلا هضم لحق على حساب حق آخر، بل إعطاء كل ذي حق حقه، وكثير من الثقافات المعاصرة أغرقت في المادية على حساب الروحانية، وقدست الجسد على أنقاض النفس، وغير ذلك من صور الخلل والاختلال.

٢ ـ **التكامل**: إن التوازن ربما يتضمن التكامل، وإنما أفردنا هذه المزية لتوضيح أن وجود العناصر المختلفة يتم بتكامل لا تآكل، وتعاضد لا تناقض، فتطبيق نظام في مجال معين لا يعود بأثر سلبي على نظام أو تشريع آخر، فعلى سبيل المثال نجد أن أحكام الاقتصاد والمعاملات المالية لا تتسبب في ضعف البناء الأخلاقي أو التماسك الاجتماعي، كما يحصل في النظام الرأسمالي الذي يهدف إلى الربح، ويعظم قيمة ومكانة المال ولو على حساب الأخلاق، فنجد الاحتكار والمتاجرة بالأعراض والجنس وغير ذلك مما يحقق الأرباح وإن حطّم الأخلاق، وبالجملة فإن التشريعات البشرية تهدف إلى تحقيق النجاح في نظام معين وتعجز عن منع حدوث الخلل في جوانب أخرى.

ثالثاً: الواقعية:

الثقافة الإسلامية واقعية: ومعنى ذلك: (أنها تتعامل مع الحقائق لا الخيالات، وتراعي طبيعة الإنسان وواقع الحياة).

وتوضيحاً لهذا المعنى نذكر عناصر الواقعية على النحو التالي:

عناصر الواقعية:

١ ـ قيام العقائد والتصورات على الحقائق المطلقة ونبذ الخرافات

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، برقم (١٨٣٢).

والأوهام، والاستدلال بالكون والموجودات على وجود الخالق وعظمة صفاته، فليس هناك خيال وأساطير، ولا وجود للتخرصات والأباطيل، بل حقائق واضحة مدعومة بالدليل.

٢ ـ التكاليف العملية متناسبة مع طاقة الإنسان وإمكانياته، وطبيعته وفطرته: وذلك مقرر في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، قال ابن كثير: «أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم» وبيّن أن الله تعالى: «لا يعذب إلا بما يملك الشخص دَفْعَه، فأما ما لا يمكن دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان»(١)، وهذا ما نص عليه حديث الرسول ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**»(٢).

٣ ـ مراعاة اختلاف الأحوال والظروف في التيسير بالنسبة للتكاليف الشرعية، وهذه ظاهرة في أحوال كثيرة، فحالة المرض لها أحكام كما قال ﷺ: «**صل قائماً؛ فإن لم تستطع فقاعداً؛ فإن لم تستطع فعلى جنب**»(٣)، والله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وفي السفر تقصر الصلاة ويباح الفطر للصائم، والنسيان يَعرِض للإنسان في بعض الأحوال، والخطأ يحصل من غير قصد، والإكراه قد يقع عليه في بعض الظروف وذلك مما راعاه الشارع الحكيم كما أخبر الرسول الكريم ﷺ: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(٤).

٤ ـ إقرار التفاوت الفطري في مراحل الإنسان العمرية، ونوعه من ذكر وأنثى: فالصغير غير مكلف قال ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ**

(١) تفسير ابن كثير (ص ٣٤٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب: إذا قال لامرأته وهو مكره هذه أختي فلا شيء عليه برقم (٤٨٦٤)، ورواه مسلم في باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (١٨٢).

(٣) رواه البخاري في أبواب تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب. وقال عطاء: إن لم يقدر أن يتحول إلى القبلة صلى حيث كان وجهه، برقم (١٠٥٠).

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، برقم (٢٠٣٥).

وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل»[(١)]، والقواعد من النساء قال تعالى في شأنهن: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]، وللنساء في الجملة بعض الأحكام تخصهن دون الرجال، كترك الصلاة عند الحيض، وعدم وجوب الجمعة والجماعات والجهاد وغير ذلك، كما أباح لهن ـ مراعاة لطبيعتهن في حب الزينة ـ لُبس الذهب والحرير، وهكذا.

٥ ـ مراعاة الطبيعة الفطرية البشرية وتشريع التوبة والكفارات فالإنسان قد تطرأ عليه الغفلة، وتغلبه الشهوة، ويستزلّه الشيطان فهو بشر غير معصوم، والواقعية تقتضي الإقرار بذلك كما قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[(٢)]، ومن هنا جاء تشريع التوبة والدعوة الربانية إليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وبيّن رسول الله ﷺ سعتها: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(٣)]، وكذلك جاء تشريع الكفارات عند وقوع الأخطاء ككفارة اليمين: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩]، وغيرها من الكفارات المكفّرة للسيئات.

آثار الواقعية:

١ ـ استثمار الطاقة الإنسانية للوصول إلى المثالية الممكنة: فالترغيب في العمل الصالح والحث على المسارعة إلى الخيرات من أساسيات التوجيه القرآني كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكذلك الدعوة إلى الأمثل والأفضل وذكر المراتب الأسمى والأعلى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢﴾ [فاطر: ٣٢]، فالواقعية لا تعني الاستسلام للضعف، ولا الركون إلى الخمول، ولا إيثار الأدنى، فهي وإن كانت لا تدعو

(١) رواه الترمذي في كتاب الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، برقم (١٣٤٣).

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ٤٩ برقم (٢٤٢٣).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، برقم (٣٤٦٠).

إلى مثالية خيالية لكنها تحث على الكمال الممكن والتنافس في الخير: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[(١)].

٢ ـ عدم اليأس والقنوط والقدرة على استئناف الإيجابية: فالواقعية في معرفة طبيعة الإنسان تجعله يدرك أن وقوعه في الخطأ ليس هو النهاية، وأن التفريط يمكن تداركه، ولا مجال لليأس فذلك لا يتفق مع الإيمان والثقافة المستمدة منه بل كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وكما وجه المصطفى ﷺ المؤمن بقوله: «**استعن بالله ولا تعجز**»[(٢)]، ومهما كان الأمر فرحمة الله الواسعة ومغفرته العظيمة تفتح أبواب الأمل، وتحرك عجلة العمل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، وإذا كان: «**الإسلام يجب ما قبله**»[(٣)]، كما أخبر المصطفى ﷺ فما دون ذلك أيسر.

٣ ـ الإنصاف والتوازن في الحكم على الأشخاص والمواقف: فمن أخطأ لا نزدريه ولا نحتقره، ولا نؤيسه من رحمة الله، ولا نسد في وجهه الأبواب؛ بل نرحمه ونشفق عليه، ونمد اليد لإعانته، وذلك لأن الواقعية ـ كما أوضحناها سابقاً ـ تدعو إلى ذلك، ومنها نعلم أن الإنسان ليس معصوماً، فكما أن لكل جواد كبوة، ، فإن لكل إنسان عثرة، والمرء يوزن بحسناته وسيئاته، ولا ينبغي أن يكون الخطأ اليسير سبباً لنسيان الصواب الأكثر، بل الأمر كما قال الذهبي: «إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه وتحريه للحق واتسع علمه وذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يُغفر له زلله، ولا نضلله ولا نطرحه وننسى محاسنه، نعم لا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[(٤)]، وهذا ما فعله النبي

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: الدين يسر برقم (٢٨). ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٥٠٣٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٤٨١٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم (١٧١٠٩).

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥/٢٧١).

ﷺ مع حاطب بن أبي بلتعة عندما أراد إخبار قريش بعزم النبي ﷺ على فتح مكة، وكشف الله لرسوله ﷺ ذلك عن طريق الوحي، وبعد أن اعتذر حاطب وقال: «يا رسول الله لا تعجل عليَّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرًا ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1].

٤ ـ بناء العقلية الواقعية: التي تعتني بمعرفة الحقائق وتحليلها للوصول إلى النتائج مع المرونة اللازمة للتعامل واستيعاب المتغيرات والمستجدات الطارئة، فالواقعية تمنع من النمطية والاستمرار في الأمر وإن بدا خطؤه أو ظهر أن غيره أمثل منه، بل إن النبي ﷺ برر بعض ما رجع عنه بعلة معرفة الواقع كما قال: «**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً**»[2]، وهو ﷺ الذي استجاب لاقتراح سلمان الفارسي وأمر بحفر الخندق عندما تجمع الأحزاب لحربه.

رابعاً: الإيجابية:

الثقافة الإسلامية إيجابية: ومعنى ذلك أنها: (تحرك طاقة الإنسان وتدعو إلى البذل والعمل لتحقيق حاجاته ونفع البشرية).

صور الإيجابية:

١ ـ عدم اقتصار التصورات والتشريعات على حدود الذات: فالقرآن والسنة ومنهج الإسلام لا يلغي الفردية ولكنه يخرج المسلم من الفردية المفرطة ليجعله إيجابياً في إطار المجموع، فهو فرد من أمة، والخطاب القرآني كان معظمه بصيغة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: الجاسوس، برقم (٢٧٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب: جواز الغيلة، وهي وطء المرضع وكراهة العزل، برقم (٢٦١٣).

الجمع قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والرسالة الإسلامية التي يحملها كل فرد ليست مقصورة على مسؤولية الفرد عن ذاته، وإن كانت هذه هي الدائرة الأولى كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، وكما قال ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»(١)، لكن بعد هذه الدائرة دائرة ثانية في المسؤولية نحو الأهل كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»(٢)، وبعد ذلك أيضاً دائرة ثالثة أوسع وأشمل وهي دائرة المجتمع ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(٣)، فليس في الثقافة الإسلامية «أنا والطوفان من بعدي» وليس هناك سلبية تدعو إلى الانكفاء على الذات والبعد عن الشأن العام وأحوال المجتمع وأوضاع الأمة.

٢ ـ **تقديم الصورة العملية المثلى لتطبيق المنهج الإسلامي**: ويتجسد ذلك جليّاً في السيرة النبوية العطرة، إذ الرسول القدوة المثلى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] وكانت سيرته ترجمة للقرآن، وذلك يدفع إلى الاقتداء به والحرص على متابعته لا سيما وقد حث على ذلك بقوله: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(٤).

٣ ـ **تكريم الإنسان**: ذلك أن الثقافة الإسلامية تقوم على تكريم الإنسان؛

---

(١) رواه البخاري، في كتاب التوحيد، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم (٦٩٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٤٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، برقم (٧٠).

(٤) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم (٢٦٠٠).

قال تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]، والكون مسخّر لهذا الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، والثقافة الإسلامية وهي تحمل هذه المفاهيم تدعو إلى الإيجابية في كل ما من شأنه رفعة الإنسان وتكريمه، وحفظ حقوقه، ودفع الأذى، ومنع الظلم عنه، بوصفه إنساناً، كما تحث على عمران الكون وإعمار الحياة.

٤ ـ **جعل الأمة الإسلامية أمة الوسط الشاهدة على الأمم**: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وتلك تبعة كبيرة ومسؤولية عظيمة تدفع الأمة بمجموعها إلى أن تضطلع بدورها، وتحمل رسالتها، وتؤدي دورها حتى تكون في مستوى هذه الصفة وفي ذلك إيجابية كبيرة.

٥ ـ **الدعوة إلى الإخلاص والتجرد في العمل**: ابتغاء وجه الله، مع الكفاءة والإحسان في الأداء ابتغاء أجر الله، فالثقافة الإسلامية تدعو إلى العمل: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] وتحث على الإخلاص: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١]، وتدعو إلى الاحتراف وحسن الأداء والعمل؛ قال ﷺ: «**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود** عليه السلام **كان يأكل من عمل يده**»[1]، وذلك كله يجعل المسلم يعمل وهو يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه، ويحسن في العمل طلباً لما عند الله، ويصدق في تعامله، ويخلص في عمله، ويسعى لما هو خير وأبقى.

آثار الإيجابية:

إن هذه الإيجابية لها آثار في النفس والفكر والعمل ومنها:

١ ـ **الإدراك العميق لقيمة المسلم وضخامة مسؤوليته ودوره في الحياة**: وهذا ظاهر مما سبق ذكره، فالمسلم له مكانته الجليلة ورسالته العظيمة، وقد أدرك أسلافنا ذلك كما في جواب ربعي بن عامر رضي الله عنه عند سأله رستم قائد الفرس قائلاً: ما الذي جاء بكم؟، فقال: جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، برقم (١٩٣٠).

إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

٢ ـ **العمل الدائب في عمارة الكون**: إيجابية الثقافة تدعو إلى العمل الدنيوي بآفاقه الرحبة ومجالاته المتنوعة، وتَعدُّه ـ مع النية الخالصة ـ ضرباً من العبادة، وهو جزء من أداء الرسالة، فالمسلمون لا يكتفون بتلاوة القرآن في المساجد، وخطابة الجمع على المنابر، وسجود الصلوات في المحاريب، ودعاء الخشوع في الأسحار، وإنفاق الأموال والقربات، وصوم الفرض والنفل، وأداء الحج والعمرة، بل هم مع كل ذلك أرباب الصفق في الأسواق، وأصحاب الإنتاج في المصانع، وأهل التجارب في المعامل، وعمال الزراعة في الحقول، ومهندسو المعمار في المباني، ورواد البحث في الفضاء، وغير ذلك من صور وميادين عمارة الكون، وتاريخهم يشهد أنهم أبدعوا في العلوم والعمران، والمدنية والحضارة، ولا ينبغي لهم اليوم أن يتخلفوا عن ذلك، بل يجب عليهم مضاعفة الجهد لسد الفجوة الكبيرة في تقصيرهم وتأخرهم عن ركب التقدم المدني.

٣ ـ **الاجتهاد في الدعوة إلى الله**: إن إيجابية الثقافة وهي تبرز محاسن الإسلام في جميع الجوانب، وتظهر أنه شفاء لأدواء القلوب، وعلاج لأمراض النفوس، وتنظيم لشؤون الحياة، وضبط لعلاقات الناس، إنها بذلك وغيره تجعل أمر نشر هذه المحاسن، ورفع راية الخير، وإشعال أنوار الهداية، أمراً في غاية الأهمية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الغي إلى الرشد، ومن الضلال إلى الهدى.

٤ ـ **تحقيق التعاون والتكافل بين المسلمين**: إن الإيجابية وهي تدفع نحو العمل تؤكد أن الأقربين أولى بالمعروف، وأن أخوة الإيمان والإسلام هم أول من تمتد إليهم اليد بالخير المعنوي والمادي، وقد دعاهم الله بذلك في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ورسولهم ﷺ شبههم بقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١) وقال كذلك: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد**

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، برقم (٥٥٥٢).

بعضه بعضاً وشبك أصابعه»[1].

٥ ـ **السعي الحثيث لتحقيق القوة والعزة للمسلمين**: إن الإيجابية تذكي العزة في النفوس ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وتدفع وترفع كل ما يصيب العزائم بالخور ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩]، كما تجعل القوة ـ بمعناها الواسع ـ مطلباً مهماً ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والمصطفى ﷺ يقول: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»[2]، والمسلمون اليوم في أمسّ الحاجة إلى أن يتداركوا أوضاعهم، ويصححوا مسارهم، ويستعيدوا مكانتهم ويتخلوْا عن الضعف، ويرفضوا الذل.

● ● ●

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: تعاون المؤمنين مع بعضهم البعض، برقم (٥٥٦٧)، ورواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم برقم (٤٦٨٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم (٤٨١٦).

خلاصة الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية تعني: ذكر الصفات المميزة لها عن غيرها مما انفردت به ولم يشاركها فيه سواها.

- هناك خصائص أساسية للثقافة الإسلامية هي:

١ - الربانية. ٢ - الشمولية. ٣ - الواقعية. ٤ - الإيجابية.

تكتسب الثقافة الإسلامية من الربانية مزايا عديدة منها:

١ - اليقين الجازم والصدق المطلق؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦].

٢ - الثبات في الأصول والمعيارية في التقييم، فمهما كان اختلاف الواقع عن الأصل الثابت فالمسلم مشدود إلى ثقافته الثابتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الأنعام: ٥٧].

٣ - قوة جانب الروح وتأثيره في العلم والعمل، بحيث يرتبط المخلوق بخالقه سبحانه وتعالى، ويعيش وغايته الحصول على رضاه واجتناب سخطه، مع إيقانه بأن علم الله تعالى محيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥].

- تتمثل آثار الربانية فيما يلي:

١ - موافقة الفطرة وتلبية احتياجاتها: فالربانية هي التي أنكرت الرهبانية وأباحت متع الدنيا التي لا حرمة فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

٢ - ترشيد العقل وإطلاق طاقاته الإبداعية؛ قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٠].

٣ ـ سكينة النفس وشحذ قوتها المعنوية: فالمؤمن مرتبط بالله بحسب ما هداه الله إليه بما أوحاه إلى رسوله ﷺ في القرآن والسنة.

٤ ـ رقابة الذات وكفاءة العمل: وذلك بما تزرعه في نفس الإنسان من رقابة ذاتية خوفًا من الله ﷻ.

ـ تتمثل جوانب الشمولية كخاصية من خصائص الثقافة الإسلامية فيما يلي:

١ ـ شمولية الاعتقاد والتصور عن الكون والإنسان والخلق والخالق والحياة الدنيا والحياة الآخرة.

٢ ـ شمولية الحكم والتشريع في جميع جوانب النشاط الإنساني.

٣ ـ شمولية الخطاب والتبليغ لجميع الأمم وكل الأجناس.

ـ تتمثل مزايا الشمولية فيما يأتي:

١ ـ التوازن: فلا هضم لحق على حساب حقٍّ آخر، بل يُعطى كل ذي حق حقه، وذلك ما يميز ثقافة الإسلام عن غيرها من الثقافات المعاصرة التي أغرقت في المادية على حساب جانب الروح، وقدست الجسد على أنقاض الجسد.

٢ ـ التكامل: ويتجلّى ذلك في مراعاة الجانب الأخلاقي إلى جوار الجانب المادي فلا تطغى المادة على الأخلاق كما يحدث في الثقافات الرأسمالية التي تهدف إلى الربح دون مراعاة أي جانب آخر.

ـ عناصر الواقعية كأحد خصائص الثقافة الإسلامية:

١ ـ قيام العقائد على الحقائق ونبذ الخرافات والأوهام، فليس هناك خيال أو أساطير بل حقائق واضحة مدعومة بالدليل.

٢ ـ التناسب بين التكاليف وطاقات الإنسان وإمكانياته.

٣ ـ مراعاة اختلاف الأحوال وتغير الظروف.

٤ ـ الاعتراف والإقرار بالتفاوت في التكليف حسب مراحل الإنسان العمرية.

٥ ـ مراعاة الطبيعة البشرية، وأن الإنسان خلق ضعيفًا، وتشريع التوبة والكفارات.

ـ آثار الواقعية:

١ ـ استثمار الطاقة الإنسانية للوصول إلى المثالية الممكنة.

٢ ـ عدم اليأس والقنوط ومعرفة أن الوقوع في الخطأ ليس هو النهاية.

٣ ـ الإنصاف وتحرِّي العدل والتوازن في الحكم على المواقف والأشخاص.

٤ ـ بناء العقلية الواقعية التي تعتني بمعرفة الحقائق وتحليلها للوصول إلى النتائج.

ـ صور الإيجابية كأحد خصائص الثقافة الإسلامية:

١ ـ عدم اقتصار التصورات والتشريعات على حدود الذات.

٢ ـ تقديم الصورة العملية المثلى لتطبيق المنهج الإسلامي.

٣ ـ تكريم الإنسان والعناية بخصائصه.

٤ ـ جعل أمة الإسلام أمة وسطًا مكرمة بالشهادة على الأمم؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ـ آثار الإيجابية:

١ ـ إدراك قيمه المسلم وضخامة مسؤوليته ودوره في الحياة.

٢ ـ العمل الدؤوب لعمارة الكون.

٣ ـ الاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

٤ ـ تحقيق التعاون والتكافل بين المسلمين.

٥ ـ السعي لتحقيق قوة المسلمين وعزتهم.

أسئلة على الوحدة الثالثة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ تتمثل الخصائص الأساسية للثقافة الإسلامية في أربع خصائص.

٢ ـ الثقافة الإسلامية ربانية المصدر واقعية الأهداف.

٣ ـ من مميزات الشمولية الثبات في الأصول والمعياريّة في التقييم.

٤ ـ من آثار الربانية: قوة العنصر الروحي وتأثيره الإيجابي في العلم والعمل.

٥ ـ من مميزات الربانية موافقة الفطرة وتلبية احتياجاتها الغريزية.

٦ ـ رشد العقل وإطلاق طاقاته الإبداعية من عناصر الواقعية.

٧ ـ الثقافة الإسلامية ثقافة شمولية غير جزئية.

٨ ـ من مزايا الشمولية في الثقافة الإسلامية شمولية الخطاب والتبليغ لجميع الأمم.

٩ ـ يعتبر التوازن أحد مزايا الشمولية في الثقافة الإسلامية.

١٠ ـ مراعاة اختلاف الأحوال والظروف في التيسير بالنسبة للتكاليف الشرعية يعد من صور الإيجابية.

١١ ـ من عناصر الواقعية: إقرار التفاوت الفطري في مراحل الإنسان العمرية ونوعه من ذكر وأنثى.

١٢ ـ من آثار الإيجابية عدم اليأس والقنوط والقدرة على الاستئناف الإيجابي للحياة.

١٣ ـ من آثار الواقعية عدم اقتصار التصورات والتشريعات على حدود الذات.

١٤ ـ من آثار الإيجابية العمل الدائب في عمارة الكون.

١٥ ـ من صور الشمولية تحقيق التعاون والتكافل بين المسلمين.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ تتمثل خصائص الثقافة الإسلامية الأساسية في:

أ ـ ثلاث خصائص.

ب ـ أربع خصائص.

ج ـ خمس خصائص.

٢ ـ تكتسب الثقافة الإسلامية من الربانية:

أ ـ اليقين الجازم والصدق المطلق.

ب ـ الثبات في الأصول والمعيارية في التقييم.

ج ـ كلاهما.

٣ ـ الثقافة الإسلامية:

أ ـ ثقافة شمولية غير جزئية.

ب ـ ثقافة جزئية غير شمولية.

ج ـ شمولية في جوانب وجزئية في أخرى.

٤ ـ «موافقة الفطرة وتلبية احتياجاتها الغريزية» من مميزات:

أ ـ الربانية.

ب ـ الشمولية.

ج ـ الإيجابية.

٥ ـ «تطبيق نظام في مجال معين لا يعود بأثر سلبي على نظام أو تشريع آخر» وهذا يدل على:

أ ـ التوازن.

ب ـ التعارض.

ج ـ التكامل.

٦ ـ من عناصر الواقعية في الثقافة الإسلامية:

أ ـ مخاطبة الكل بخطاب واحد وطبقاً لمنظور واحد.

ب ـ إقرار التفاوت في مراحل الإنسان العمرية المختلفة.

ج ـ كلاهما.

٧ ـ معنى إيجابية الثقافة الإسلامية أنها:

أ ـ تحرك طاقة الإنسان وتدعو إلى البذل والعمل.

ب ـ تخاطب الجانب التعبديّ فقط في حياة الإنسان.

ج ـ تتعامل مع الحقائق لا الخيالات.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ حدد الخصائص التي تميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الأخرى؟

٢ ـ «الثقافة الإسلامية ربانية المصدر». وضح ذلك مدللاً على ما تقول.

٣ ـ تحدث عن مميزات الربانية كأحد خصائص الثقافة الإسلامية.

٤ ـ «الثقافة الإسلامية ثقافة شمولية غير جزئية»

في ضوء العبارة السابقة اذكر ـ مع التوضيح ـ جوانب شمولية الثقافة الإسلامية.

٦ ـ اشرح عناصر الواقعية كأحد خصائص الثقافة الإسلامية.

٧ ـ ما هي صور الإيجابية التي تراها في خطاب الشرع التكليفي؟ قارن بين هذه الصور والصور السلبية في الثقافات الأخرى المادية.

٨ ـ للإيجابية ـ كأحد خصائص الثقافة الإسلامية ـ آثار في النفس والفكر والعمل. اذكر هذه الآثار.

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة نقترح عليك إنجاز النشاط التعليمي التالي:

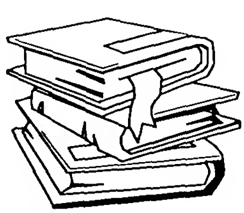
١ ـ اكتب بحثًا تتناول فيه بإيجاز الخصائص الأساسية للثقافة الإسلامية مع بيان مميزات تلك الخصائص من حيث التطبيق العملي في الواقع.

٢ ـ أدر ـ مع زملائك ـ ندوة حول الواقعية في الثقافة الإسلامية، متناولاً جوانبها، وآثارها، وعناصرها.

● ● ●

الوحدة الرابعة

أهمية الثقافة الإسلامية



الوحدة الرابعة

أهمية الثقافة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

أيها الدارس العزيز. . . إن دراسة الثقافة والانتماء إليها فرديًّا وجماعيًّا يعني الانتماء إلى الهوية، والاستمساك بالمرجعية، والتشبث بالأصول والمقومات المنهجية لأي أمة ولأي مجتمع.

والثقافة الإسلامية كما تقوم أصولها ومصادرها على الصبغة الربانية فإنها تربط الشعوب المسلمة عبر التاريخ برباط متين من أخوة الإيمان، والاعتزاز الحضاري بالإسلام ومنجزات المسلمين، ومن ثم تنشئ قدرة عملية على التفاعل الواقعي الإيجابي مع الحياة، فهمًا وتعلمًا ثم استيعابًا وتطويرًا، ومن ثَمَّ امتلاكًا للأسباب وإبداعًا خلّاقًا تستأنف به المسيرة التاريخية العظيمة للحضارة الإسلامية.

عزيزي الدارس في هذه الوحدة ستكتمل قناعتك بأهمية دراسة الثقافة الإسلامية، وحتمية العناية بها والتوجه نحوها، والتوجيه العام من خلالها.

فإلى عناصر أهمية الثقافة الإسلامية. . .

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس : يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن :

١ ـ تبين دور الثقافة الإسلامية وفائدتها في بناء هوية الأمة ومقوماتها.

٢ ـ تتتبع العمق والارتباط التاريخي للثقافة الإسلامية مبينًا أثره فيها.

٣ ـ تشرح كيف تكون الثقافة الإسلامية وسيلة للاعتزاز والانتماء الحضاري.

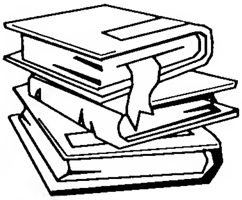
٤ ـ توضح دور الثقافة الإسلامية في تمكين المسلم من التفاعل مع الواقع.

● ● ●

الوحدة الرابعة

أهمية الثقافة الإسلامية وآثارها

- أولاً: التميز في الهوية والمقومات.
- ثانياً: العمق والارتباط التاريخي.
- ثالثاً: الاعتزاز والانتماء الحضاري.
- رابعًا: القدرة على التفاعل مع الواقع المعاصر.



الوحدة الرابعة

أهمية الثقافة الإسلامية

إن ذكر دلالة ومفهوم الثقافة الإسلامية، ومعرفة مصادرها الثرية، والوقوف على خصائصها المتميزة، كل ذلك لا شك يشكل تصوراً واضحاً وإيجابياً عن الثقافة الإسلامية، ومن خلال ذلك نستشعر بشكل عام مدى أهميتها وفائدتها، ولذا كان من المناسب أن نكمل التعريف بالثقافة الإسلامية بإيراد شيء من التفصيل في فائدتها، ويمكن أن نشير إلى عدة فوائد منها:

١ ـ التميز في الهوية والمقومات:

إن أبرز فوائد الثقافة ـ بشكل عام ـ أنها تمثل جملة الخصائص الفكرية والسلوكية والعلمية والمدنية لمجتمع ما، فالثقافة هي لُبُّ هوية الأمم، وأعظم مقومات المجتمعات، ومن هنا نرى الأمم وهي تنسب إلى جذورها الثقافية، ونرى لكل ثقافة عاصمة ودولة تعتبر محور رحاها ومركز إشعاعها وموطن رعايتها، فهناك الثقافة الإنجلوسكسونية في بريطانيا، والثقافة الفرانكفونية في فرنسا، والثقافة الكونفوشية في الصين، وهكذا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدين هو العنصر الجوهري في الثقافات، وهو ـ في الجملة ـ المكون الأساسي في هوية الشعوب، يقول الشاعر الفيلسوف (إليوت): «إن القوة الرئيسة في خلق ثقافة مشتركة بين شعوب لكل منها ثقافتها المتميزة هي الدين»[(١)]، وزاد المعنى إيضاحاً بقوله: «في المسيحية نمت فنوننا، وفي المسيحية تأصلت ـ إلى عهد قريب ـ قوانين أوروبا وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي... إذا ذهبت المسيحية فستذهب كل

(١) الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر، د. سارة عبد المحسن بن جلوي (ص ٢٤ ـ ٢٥).

ثقافتنا»[١]، وها هو (هنري لاوست) يوضح الصلة الوطيدة بين الثقافة والهوية حيث يقول: «إن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خُلُقي لأمّة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منها عقلية خاصة لتلك الأمة تمتاز عن سواها»[٢]، «والدين هو أهم عامل بين العوامل الموضوعية التي تعرّف الحضارات. . . والحضارات الرئيسة في التاريخ الإنساني كانت دائماً متوحدة ومتطابقة مع ديانات العالم الكبرى وبدرجة كبيرة، والناس المشتركون في العرق واللغة ويختلفون في الدين قد يذبحون بعضهم البعض»[٣].

والثقافة بمفهومها الشامل هي الإطار العام لطبيعة الحياة الاجتماعية فكل ثقافة لها ـ في الجملة ـ نسق خاص في حياتها الاجتماعية، في شكل العلاقة بين الرجل والمرأة، والصلة بين الأجيال، والروابط بين أفراد المجتمع ونحو ذلك، فاليابانيون لهم نمط اجتماعي خاص بثقافتهم وبيئتهم، والثقافة الغربية لها نمط اجتماعي مغاير، فاليابانيون محافظون على كيان الأسرة وامتدادها ولها عندهم مكانة ومهابة، والغربيون ضعفت عندهم رابطة الأسرة الأولية، أما الأسرة الممتدة أو الواسعة فتكاد أن تتلاشى، وكذلك نجد عند الهنود نمطاً اجتماعياً ثالثاً، وعند الأفارقة رابعاً، وهكذا.

والثقافة ـ إضافة إلى ما سبق ـ هي المنطلق والقاعدة الأساسية لحركة الأمة الحضارية ومسيرتها المدنية ونهضتها العلمية، فالثقافة التي لا تعارض العلم بل تحث عليه، ولا تمنع التمدن بل تدعو إليه، تكون حركة أبنائها ومسيرة مجتمعاتها مختلفة عن غيرها ممن ليس في ثقافتهم مثل ذلك الفكر بل عكسه.

ونخلص إلى القول أن الثقافة هي العامل الأبرز لهوية الأمم، «فالقرى والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية كلها لديها ثقافات وعلى مستويات مختلفة من التمايز الثقافي، فثقافة قرية في الجنوب الإيطالي قد تختلف عن ثقافة قرية في الشمال، ولكنهما يشتركان في ثقافة إيطالية عامة تميزها عن القرى الألمانية، والمجتمعات الأوروبية بالتالي ستشترك في ملامح ثقافية

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر أضواء على الثقافة الإسلامية، د.نادية شريف العمري (ص: ١٤).

(٣) صراع الحضارات، صموئيل هينتجتون (ص: ٧٠).

تميزها عن المجتمعات الصينية أو الهندية»[1].

وفي ضوء ما سبق فإن الارتباط والصلة بالثقافة الإسلامية بالنسبة لنا يعد مهماً ومفيداً للغاية، إذ يشكل الإسلام جوهر ثقافتنا، وصبغة أمتنا: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، وثقافتنا الإسلامية وطيدة الصلة بحياتنا الاجتماعية بعلاقاتها وصلاتها، وأحكامها وآدابها، وصورها ومظاهرها.

ومن ثم فإن الثقافة الإسلامية تكسبنا تميزاً عن غيرنا، ووضوحاً إيجابياً في هويتنا، ومقومات أصيلة في بناء مجتمعاتنا، وأسساً قوية لانطلاقة نهضتنا العلمية وتقدمنا الحضاري، وذلك له أهمية كبيرة في عصر اختلطت فيه الثقافات بل طرح بعض المفكرين فكرة صراع الحضارات.

٢ ـ العمق والارتباط التاريخي:

إن الثقافة الإسلامية تشكل أعظم عمق تاريخي للشعوب الإسلامية، إنه عمق ضارب بجذوره في أغوار التاريخ، ليس ابتداؤه بعثة محمد ﷺ بل يتجاوز ذلك إلى آماد أبعد من لدن إبراهيم ﷺ كما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، ويترافق مع هذا الامتداد التاريخي المدى الجغرافي الذي يكاد يشمل معظم المعمورة، وتلك فائدة مهمة تمثل للمنتمين للثقافة الإسلامية أصالة عريقة، وتاريخاً حافلاً، ويضاف إلى ذلك أن الثقافة الإسلامية هي عامل الوحدة وعنصر الترابط بين الشعوب الإسلامية المختلفة في أعراقها ولغاتها ومواطنها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وأخوة الإيمان هي التي سَمَتْ فوق كل الاختلافات، ومن المعلوم أن مكونات الهوية الأساسية هي الدين واللغة والتاريخ؛ ولذا فإن من فائدة الثقافة وخصائصها عمقها وثراؤها التاريخي.

٣ ـ الاعتزاز والانتماء الحضاري:

إن الارتباط بالثقافة الإسلامية مهمٌ من جهة أنه يقوي الثقة بالنفس ويعزز الشعور بالقوة والإيجابية حيث أن الرصيد العظيم لهذه الثقافة في مسيرتها

(١) صراع الحضارات، صموئيل هينتجتون (ص: ٧١).

التاريخية ومنجزها الحضاري له تميز كبير من وجوه عدة منها:

أ ـ رفعة المثل والقيم الحضارية: حيث تميزت الحضارة الإسلامية بقوة عنصريها المادي والمعنوي؛ إذ لم تجعل حضارة العمران تمسخ خصائص الإنسان، وظلت رغم سعة مجالات عطائها العملي والمدني تعتني بالجانب الخلقي، وعلى سبيل المثال نجد العمارة الإسلامية التي بلغت منزلة رفيعة في الفن والإبداع واستخدام الخامات كانت تحرص على الأساسيات الأخلاقية في خصوصية المنازل، وحفظ الحرمات والعورات، إضافة إلى مراعاة جانب الكرم والضيافة من خلال الأماكن المخصصة لذلك، مع ما هي عليه من المواصفات الصحية والبيئية، وهكذا نجد الأمر في ميدان الطب والعلوم، والآداب والفنون المختلفة.

ب ـ ثراء الحضارة الإسلامية في المنجزات العلمية والمدنية: وذلك أن الثقافة والحضارة الإسلامية قدمت الكثير في شتى المجالات، وحققت الريادة والتأسيس في كثير من المجالات، وحسبنا ما يشهد به علماء العصر الحديث من المنتمين إلى ديانات وثقافات غير إسلامية وهم يقررون ريادة ابن خلدون في تأسيس علم الاجتماع، والخوارزمي في الرياضيات، وابن ماجد في الجغرافيا والرحلات، وغير هؤلاء، وذلك كله دليل عملي على المنهج الإسلامي في الحث على العلم والدعوة إلى الحضارة، وذلك ما أقر به المؤرخ «ولز» حين قال: «كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به؛ لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنباً إلى جنب هو شر مستطير على أصحابه يجرهم إلى الهلاك، وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنَّى سارت هي الديانة الإسلامية».

ج ـ استفادة الحضارة المعاصرة من الحضارة الإسلامية: وهذه لها أثرها في الاعتزاز والانتماء الحضاري، فنحن أصحاب ريادة وفضل على الإنسانية، وإن كنا لا نريد أن نجترَّ الماضي ونبقى على أصداء منجزات الآباء دون أن نثبت وجودنا ونستأنف دورنا، ولكننا في الوقت نفسه نشير إلى أن هذا الماضي كعنصر حضاري وثقافي له دوره في إيجاد أسس النهضة، وأما القضية نفسها فمعروفة ومؤكدة والشهادات عليها كثيرة منها، قول روجر بيكون: «حتى الآن يشكر علماء الطبيعة في أوروبا العرب على إدخال طريقة التجربة العلمية التي دلت على التطور

الحديث في جميع الميادين»[1]، والشهادة الأوسع والأكثر تفصيلاً والأقوى تدليلاً جاءت في كتاب المستشرقة زيغريد هونكه (شمس العرب تسطع على الغرب) وهو كتاب حافل ومليء بمنجزات الحضارة الإسلامية، وشواهد الإنصاف من خلال الاعتراف بفضلها، ومن ذلك قولها: «أجل إن في لغتنا كلمات عربية عديدة وإننا لندين ـ والتاريخ يشهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب وقولها: «أردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصب دينيٌّ أعمى، أو جهل أحمق»[2]، وتقول: «وحتى اليوم فإن تاريخ العالم؛ بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ ـ بالنسبة للإنسان الغربي وتلميذ المدرسة ـ إلا بمصر القديمة وبابل بدءاً خاطفاً سريعاً، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الإغريق ورومة، مارًّا مروراً عابراً ببيزنطية، ومنتقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية؛ لينتهي منها آخر الأمر بالعصور الحديثة... وأما أن يكون العرب في جوارٍ قريب لها، وأن يكون هذا الشعب رائداً لغيره من الشعوب في أنحاء الدنيا في غضون سبعمائة وخمسين عاماً حاملاً مشعل الثقافة ردحاً جاوز عصر الإغريق الذهبي بضعفيه أكثر من أي شعب آخر، فهذا أمر من يعلم به ومن يتحدث عنه... في سياق الحديث عن الإغريق اعترف الأروبيون بدور العرب في التاريخ حين قالوا إن العرب نقلوا كنوز القدامى إلا بلاد الغرب... إن هذه العبارة الوحيدة ـ التي يحاول الكثيرون كذباً وادعاءً تقريظ ما قد أسدوه لأوروبا ـ تحدد للعرب في الواقع دور ساعي البريد فقط لتقلل من قدرهم حين تطمس الكثير من الحقائق وراء حجب النسيان»[3].

د ـ وجود المقومات المنهجية والمعنوية للنهضة الحضارية في الثقافة الإسلامية: وإيضاح ذلك أن الثقافة الإسلامية ثقافة تقدر العقل، وتحث على التفكير، وتدعو إلى العلم، وتجمع بينه وبين العمل، وتوائم بين التزام الدين وعمارة الدنيا، فالأسس المنهجية والتاريخية فضلاً عن الأسس المعنوية النفسية كلها متوافرة في الثقافة الإسلامية.

---

(١) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل (ص٣٣٦).

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه (ص٩).

(٣) المصدر السابق (ص١٢).

٤ ـ القدرة على التفاعل الواقعي:

إننا اليوم ننادي للعمل، ونتداعى للنهضة، ونتباحث في طرق الاستدراك ومسالك الانطلاق، وهنا نؤكد أن الثقافة الإسلامية مهمة جداً في توفير أسباب القدرة على التفاعل الإيجابي مع الواقع استفادة بلا ضرر، واقتباساً بدون ارتكاس، وتعلماً بنية تحصيل العلم وامتلاك الخبرة وتوطين التقنية، دون البقاء أبد الدهر على مقاعد الدراسة تلاميذ لا يتأهلون ليصبحوا معلمين، ودون الاكتفاء بالنظر والإعجاب بعلوم وتقنيات العصر، والعمل على استعمالها واستهلاكها، ونحن نقول إن للثقافة هذا الدور لعدة أسباب نوجزها في ما يلي:

١ ـ الأسس والقواعد المنهجية الثابتة للثقافة الإسلامية.

٢ ـ الرصيد المعنوي الهائل في نسيج الثقافة الإسلامية.

٣ ـ التجارب الحضارية الممتدة عبر قرون من الزمان والمنتشر في أنحاء شتى من البلدان.

٤ ـ وجود منهجية الإبداع والتجديد وضوابط الاجتهاد الذي يحقق المرونة من غير تميع، والاستيعاب من غير انبهار.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: «تمثل الثقافة لأي مجتمع الفضاء الذي يتنفس فيه آماله ويحدد به أهدافه، كما تمثل القلعة التي يلجأ إليها الناس عند الأزمات، والأسلحة التي يستخدمونها في التعامل مع كل جديد مُحَيّر أو صد عدوان مدمر، كما تمثل الخلفية الثرة التي تمدنا بكل أسباب استيعاب الواقع ونقده وتجاوزه»[(١)]، والحقيقة التي نقررها هنا أن الثقافة الإسلامية بما لها من أسس علمية وتجديدية قادرة على التفاعل الإيجابي، وذلك «أن لأصول الثقافة الإسلامية حقائق كلية كبرى صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان وهي غير قابلة للتغيير. . . ويتفرع عن هذه الأسس والأصول مسائل معاشية وتطبيقات سلوكية في مجالات الاجتماع والاقتصاد والسياسة، وهذه المسائل يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة في التطبيق»[(٢)]، وحقيقة المعاصرة والمناسبة في التعامل مع كل

---

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د. عبد الكريم بكار (ص: ١٢٦).

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية، د.نادية شريف العمري (ص٥٠).

ظرف بحسب الحاجة قررها علماء الإسلام منذ زمن، فهذا ابن تيمية يقول: «ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات كالسلاح في المحاربات، إذا كان عدو المسلمين - في تحصنهم وتسلحهم - على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس والروم، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع، وللعبد أنفع، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة، وقد يكون الخبير بحروبهم أقدر على حربهم ممن ليس كذلك»[1]. وهذا ظاهر أنه ينبغي أن يكون لكل عصر أدواته ولغته وأسلوبه المناسب.

● ● ●

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٠٧).

خلاصة الوحدة الرابعة

- الثقافة هي هوية الشعوب وتراثها وأعظم مقوماتها.

- يعتبر الدين هو العنصر الجوهري للثقافات، وهو المكوّن الأساسي لهويّة الشعوب.

- تعتبر الثقافة بمفهومها الشامل الإطار لطبيعة الحياة الاجتماعية.

- تشكل الثقافة الإسلامية العمق التاريخي للشعوب الإسلامية، وهو عمق يتجاوز بعثة النبي محمد ﷺ إلى أبعد من لدن إبراهيم عليه السلام.

- تتمثل فائدة الارتباط بالثقافة الإسلامية في أنها تقوِّي الثقة بالنفس وتعزز الشعور بالقوة والإيجابية.

- للثقافة الإسلامية في مسيرتها التاريخية تميز من وجوه عدة منها:

١ ـ رفعة المثل والقيم الحضارية.

٢ ـ ثراء الحضارة الإسلامية في المنجزات العلمية والأدبية.

٣ ـ استفادة الحضارة المعاصرة من الحضارة الإسلامية.

٤ ـ وجود المقوِّمات المنهجية والمعنوية للنهضة الحضارية في الثقافة الإسلامية.

- للثقافة القدرة على بعث التفاعل الواقعي وذلك لأسباب تتمثل فيما يلي:

١ ـ الأسس والقواعد المنهجية الثابتة للثقافة الإسلامية.

٢ ـ الرصيد المعنوي الهائل في نسيج الثقافة الإسلامية.

٣ ـ التجارب الحضارية الممتدة عبر القرون والمنتشرة في أنحاء شتّى من البلدان.

٤ ـ وجود منهجية الإبداع والتجديد وضوابط الاجتهاد الذي يحقق المرونة.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الرابعة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ لا يشترط الوقوف على مصادر الثقافة لكي نكوّن تصورًا إيجابيًّا وواضحًا عنها.

٢ ـ يعتبر الدين عنصرًا ثانويًا في الثقافات بشكل عام.

٣ ـ هناك صلة وطيدة بين الثقافات وهوية المجتمعات.

٤ ـ ليست هناك صلة بين ثقافتنا الإسلامية وأنماط حياتنا الاجتماعية وأوضاعنا السياسية.

٥ ـ ليس للموروث الديني دور في حياة اختلطت فيها الثقافات، وطرحت فيها نظريات مثل نظرية صراع الحضارات.

٦ ـ وازنت الثقافة الإسلامية بين الجانب المادي والجانب الخلقي في الإنسان.

٧ ـ لم تستفد الحضارة المعاصرة شيئًا من الحضارة الإسلامية.

٨ ـ للثقافة الإسلامية أهمية كبيرة في ضبط التفاعل مع الواقع المعاصر والاقتباس منه.

٩ ـ تفتقر الثقافة الإسلامية إلى وجود منهجية الإبداع والتجديد، مما يحتم علينا التطلع إلى ثقافاتٍ أكثر إبداعًا.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ أهم عامل من العوامل الموضوعية التي تعرف الحضارات والثقافات هو :

أ ـ اللغة.

ب ـ الدين.

ج ـ الصناعة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ في الآية إشارة إلى إحدى فوائد الثقافة وهي:

أ ـ العمق والارتباط التاريخي.

ب ـ الاعتزاز والانتماء الحضاري.

ج ـ التميز في الهوية والمقومات.

٣ ـ من مميزات الثقافة الإسلامية:

أ ـ تكسب المسلمين تميُّزًا عن غيرهم ووضوحًا إيجابيًّا في هويتهم.

ب ـ ليست هناك علاقة بين الهوية والثقافة في ظل عصر امتزجت فيه الثقافات وتقاربت فيه الأقطار والأفكار.

ج ـ هناك علاقة محدودة وشكلية بين الهوية والثقافة.

٤ ـ يبدأ العمق التاريخي للثقافة الإسلامية:

أ ـ ببعثة النبي محمد ﷺ.

ب ـ يمتد لما هو أبعد من ذلك.

ج ـ يبدأ بالتاريخ الحديث للمسلمين في العصر الحاضر.

٥ ـ رفعة المثل والقيم الحضارية في الإسلام تمثل جانباً من جوانب فوائد الثقافة يتعلق بـ:

أ ـ العمق والارتباط التاريخي.

ب ـ التميز في الهوية والمقومات.

ج ـ الاعتزاز والانتماء الحضاري.

٦ ـ تتمثل علاقة الحضارة المعاصرة بالإسلامية في:

أ ـ استفادة الحضارة المعاصرة من الحضارة الإسلامية.

ب ـ استقلال كل منهما عن الأخرى.

ج ـ الحضارة الإسلامية قدمت الفوائد في مجال القيم والمبادئ فقط.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ ما هي الفوائد التي تتحقق من وراء معرفة مصادر الثقافة الإسلامية والوقوف على خصائصها المتميزة؟

٢ ـ من فوائد الوقوف على الخصائص المميزة للثقافة الإسلامية التميز في الهوية والمقوّمات، تكلم عن ذلك الجانب بالتفصيل.

٣ ـ وضّح مدى العمق التاريخي للثقافة الإسلامية؟

٤ ـ للثقافة الإسلامية رصيد عظيم في مسيرتها التاريخية لما لها من تميز من وجوه عدة، اذكر هذه الوجوه.

٥ ـ لكي يتفاعل المجتمع المسلم مع الواقع تفاعلاً إيجابيًا لا بد من الارتباط بالثقافة الإسلامية لضبط ذلك التفاعل، وضّح معنى ذلك.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

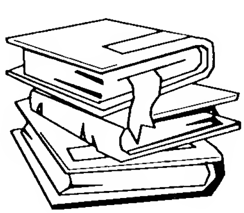
١ ـ لمعرفة مصادر الثقافة الإسلامية والوقوف على خصائصها أهمية كبيرة في إيجاد تصوّر واضح وإيجابي عن الثقافة الإسلامية. اكتب بحثًا مختصراً تتكلم فيه عن المصالح التي يمكن أن تتحقق من وراء ذلك.

٢ ـ الصلة بين الثقافة والهوية مهمة ووطيده، وفي عصر العولمة وتقارب الثقافات والضغوط الفكرية والثقافية تتعرض هذه الصلة لألوان من القطيعة أو سوء الربط. حاول مناقشة هذه القضية مبرزاً العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً.

• • •

الوحدة الخامسة

علاقة الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى



الوحدة الخامسة

علاقة الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى

مبررات دراسة الوحدة:

كما أن للثقافة الإسلامية دورها في صياغة الشخصية المسلمة، وبناء المجتمع داخليًا، فإن لها دورًا عظيم الأهمية على المستوى الخارجي، فإن الثقافة الإسلامية هي سفير الأمة لدى سائر الأمم، وهي وجه الأمة الحضاري.

ومن أسفٍ فإن هذه السفارة العالمية نالها الضعف في فعاليتها بسبب من تقصير أبنائها، ومن أراد الدواء فليبدأ من تشخيص الداء، ولا تخطئ عين متأملٍ أعراضًا كثيرة تنخر في كيان الأمة الثقافي، وعلى رأس تلك الأعراض والأمراض: الجهل والتعصب، والتفرق والتشتت، والتخلف التقني، والضعف السياسي والاقتصادي والعسكري.

والثقافة الإسلامية اليوم في تحدٍّ حقيقي بين أن تنغلق على نفسها، وتقف من الثقافات الأخرى موقفًا حادًا يفضي إلى عزلتها وتكريس تعويقها، وبين أن تقف موقفًا انهزاميًا تسلِّم فيه راية الريادة لغيرها، وترضى بالذيل من قافلة الأمم، وكلاهما موقف مذموم غير محمود، ولا شك أن الاعتزاز هو المطلوب وليس التبعية وأن التعلم والاستفادة خير من الانحسار وترك الريادة، وصفحات تاريخ المسلمين ناطقة بالوسطية بين الموقفين، وداعية إلى التفاعل الإيجابي الخارجي، والاعتزاز والبناء الداخلي، فيتكاملان ولا يتعارضان، ويتفقان في حس المسلم ولا يتصادمان.

عزيزي الدارس... ابن موقفك الثقافي من الثقافات المعاصرة من حولك على ما ستطالعه في هذه الوحدة، واختر طريق التعاون والانتفاع لا طريق التنازع والصراع.

والله يوفقك.

الأهداف التعليمية للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تحدِّد صور الضعف في فعالية الثقافة الإسلامية.

٢ ـ تعدد بعض صور هيمنة الثقافة الغربية على المجتمع الإسلامي.

٣ ـ تبين بالتفصيل مواقف الثقافة والحضارة الإسلامية من الحضارة الغربية.

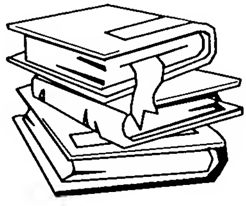
٤ ـ تبدي رأيك حول كل موقف من المواقف الأربعة من الحضارة والثقافة الغربية مع تعليل ذلك.

● ● ●

الوحدة الخامسة

علاقة الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى

- أولاً: صور من ضعف فعالية الثقافة الإسلامية.
- ثانياً: صور من هيمنة الثقافة الغربية.
- ثالثاً: موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى.



الوحدة الخامسة

علاقة الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى

هذه هي الوحدة الأخيرة في هذا القسم نستكمل بها التعريف بالثقافة الإسلامية، وكل ما مضى كان متعلقاً بذات الثقافة الإسلامية في تعريفها، ومصادرها، وخصائصها، وفوائدها، وكل ذلك مرتبط بأبناء هذه الثقافة وحملتها من المسلمين، ومن ثم تظهر أهمية هذه الوحدة؛ لأنها تتحدث عن الدور الخارجي للثقافة الإسلامية من خلال بيان علاقتها بغيرها من الثقافات وموقفها منها، ولا شك أننا ـ في هذا العصر ـ في أمسّ الحاجة لذلك لأننا اليوم في عصر الانفتاح والاتصال وذلك يفرض على الأمم والثقافات أن تكون لها رؤية واضحة وأسس سليمة ووسائل إيجابية في موقفها وتعاملها مع الآخر.

صور من ضعف فعالية الثقافة الإسلامية:

ونحن نتحدث عن ثقافتنا الإسلامية لا بد من الاعتراف بوجود صور تمثل ضعفاً في حضور الثقافة الإسلامية، وبروز معالمها، وتحقق نموذجها، والمقصود بالضعف هو المتعلق بالفعالية، والأثر الناشئ من دور حملة الثقافة أفراداً ودولاً ومجتمعات، وليس الضعف في ذات الثقافة الإسلامية، فهي قوية بأصالتها وخصائصها، ومن صور هذا الضعف ما يلي:

١ ـ الجهل وضعف اليقين:

يوجد عند كثير من المسلمين جهل واضطراب في المعرفة بالإسلام، فهناك من لا يعرف الأصول الكبرى والحقائق العظمى للإسلام، ويستتبع ذلك ضعف في اليقين بعظمة الإسلام ومحاسنه وجدارته التاريخية وقدرته الواقعية وصلاحيته المستقبلية، ومن كان هذا شأنه فإنه لا يلتزم العمل بالمنهج الإسلامي ولا يمثل نموذج المسلم العامل بإسلامه، بل ربما نجد بعض هؤلاء يقدمون صورة سيئة في

الفكر والخلق تُلصِق بالإسلام ما ليس منه، وتَصِم حضارته وثقافته بما هي منه براء، ومثل هذه الصورة تشوه الثقافة الإسلامية وتقدم عنها صوراً ممسوخة ومشوهة تؤدي إلى فهم خاطئ وتصور سيئ لدى الآخرين عن الثقافة الإسلامية.

٢ ـ الاختلاف والفرقة:

تفرقت الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة إلى دول كثيرة، وشاعت فيها خلال فترات زمنية مختلفة صيحات القومية ونعرات الإقليمية على حساب الإسلامية الوحدوية، ووجد بين المسلمين ـ شعوباً ودولاً ـ اختلافات ونزاعات كان فيها تبادل الاتهامات وشن الحملات الإعلامية، حتى وصلت إلى الحروب العسكرية وذلك ـ ولا شك ـ له أثر كبير في الضعف، سواء من جهة تقديم الإسلام وإظهار صورته وإبراز حضارته، أو من جهة توفير الأسباب والإمكانيات لخدمة هذه الثقافة ونشرها والتعريف بها.

٣ ـ الضعف العلمي والتقني:

أكثر الدول الإسلامية معدودة ضمن دول العالم الثالث أو ما يسمى بالعالم النامي، ولديها ضعف في مجالات العلوم الحياتية والتقنية الصناعية، وكثير من هذه الدول ليست معدودة في الدول المتقدمة علمياً والمنتجة صناعياً؛ بل هي مستهلكة ومحدودة في مجال التعليم العالي خاصة في المجالات التقنية الدقيقة، بل إن توفر الخدمات العصرية مثل الكهرباء والاتصالات وتأسيس البنية التحتية فيه قصور كبير فعلى سبيل المثال نجد أن «الفارق بين ما يتوفر للفرد المسلم من الكهرباء وبين غيره في الدول الصناعية ضخم جداً، وقد وصل بين قطبي التنافي (بنجلاديش ـ الدنمارك) إلى نحو ٦٨٢ ضِعفاً لصالح الأخيرة»[(١)]، وهذا الحال له انعكاس في ضعف الإمكانيات التي يمكن توظيفها لخدمة الثقافة الإسلامية، وذلك أن «الإنتاج الحضاري العالمي هو وحده القادر على تحويل (الثقافة) من ثقافة محلية إلى ثقافة عالمية وضمور الإنتاج الحضاري لدينا جعل الثقافة الإسلامية ثقافة محلية»[(٢)].

---

(١) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، د. عبد الكريم بكار ص (١٢٢)

(٢) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د. عبد الكريم بكار ص (١٢٤)

صور من هيمنة الثقافة الغربية:

لا شك ـ ونحن نتحدث عن الواقع المعاصر ـ أن الثقافة الغربية لها حضور فاعل وثقل كبير وانتشار واسع، ويمكن أن نوجز أسباب ذلك فيما يأتي:

١ ـ **التقدم العلمي والتقني**: للدول الغربية عموماً سَبْق وتفوق في مجال التقدم العلمي والتقني وامتلاك أسبابه وأدواته، والوفرة في معاهده ومؤسساته، فالجامعات ومراكز الأبحاث ومصانع الإنتاج لها النصيب الأكبر ـ في العالم ـ من المخترعات والصناعات وتطوير العلوم، ولهذا أثره في مكانة الثقافة الغربية إذ هي بذلك في موضع قوة والآخرون محتاجون إليها، ولذا يتعلمون لغاتها ويدرسون في جامعاتها، ويستخدمون منتجاتها.

٢ ـ **القوة في الإعلام والاتصال**: لدى منظومة الدول الغربية تفوق إعلامي كبير من خلال امتلاك وتسخير وسائل الإعلام والاتصال، فمعظم وكالات الأنباء العالمية التي تعتبر المصدر الأساسي لأكثر من ٨٠٪ من الأخبار والمعلومات هي وكالات غربية، والإنتاج الإعلامي في مجالات الفنون والثقافة كثير منه من الدول الغربية، ولذا نجد برامجهم وأفلامهم تحتل مساحات كبيرة في شتى وسائل الإعلام في العالم، ويضاف إلى ذلك أنهم أصحاب التقنية في وسائل الإعلام والاتصال، وهم صنّاع الأقمار الصناعية وأجهزة البث والالتقاط وغير ذلك مما مكّنهم من أن ينشروا فكرهم وثقافتهم ويغزوا بها الأمم والثقافات الأخرى.

٣ ـ **القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية**: من أبرز صور التفوق الغربي التي لا ينازع فيها أحد: القوة الاقتصادية التي تقوم على التقدم العلمي والإنتاج الصناعي والزراعي الذي تتفوق فيه ـ في الجملة ـ الدول الغربية، ويضاف إلى ذلك القوة العسكرية الناشئة عن امتلاك التقنية، والدول الغربية هي المصنعة لأحدث الأسلحة العسكرية التقنية والنووية، ومن أثر القوة الاقتصادية والعسكرية كانت الهيمنة السياسية من خلال المؤسسات الدولية، وبمجموع الامتلاك للقوى الاقتصادية والعسكرية والسياسية تمتلك الثقافة الغربية أدوات ووسائل عظيمة لخدمة ثقافتها وترويجها.

إن هذا الاستعراض الموجز لا يراد به بث روح اليأس والوهن في

النفوس، ولكنه تصوير للواقع ليعين على تلافي السلبيات وتجاوز العقبات ووضع الشروط والوسائل المناسبة لعلاج المشكلات، بل إن مثل هذا الوضع يدعو إلى التحدي واستنهاض الهمم واستخراج مكنون الطاقات في نفوس المسلمين ليخدموا دينهم ويعرِّفوا بحضارتهم وينشروا ثقافتهم ويجددوا مجدهم، وهذا ما نرجوه من فهم لمثل هذا العرض عن واقع الثقافة الإسلامية والغربية.

وتخصيص الثقافة الغربية للمقارنة بالتحديد؛ لأنها أوسع الحضارات المعاصرة وأكثرها صلة بالعالم الإسلامي واحتكاكاً به في أكثر مجالات الحياة.

وبعد هذا العرض الموجز نشرع في بيان موقف الثقافة الإسلامية من غيرها من الثقافات، ومن قول العلامة الشنقيطي في تفسيره سنحدد أنواع هذه المواقف، حيث قال: والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها حصراً عقلياً لا شك فيه وهي:

١ ـ ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها.

٢ ـ أخذها كلها ضارها ونافعها.

٣ ـ أخذ ضارها وترك نافعها.

٤ ـ أخذ نافعها وترك ضارها»[(١)].

وحديثه وإن كان عن الحضارة الغربية فهو صالح لغيرها، ومن خلاله سنعرض لأنواع تلك المواقف، مع بيان دواعيها وأسبابها، ثم نقدها وتمحيصها:

الموقف الأول: موقف الرفض والمقاطعة:

والمراد به: الانغلاق على الثقافة الإسلامية والانكفاء على الداخل الإسلامي ورفض الثقافات الأخرى ومقاطعتها.

الدواعي والأسباب:

١ ـ بطلان وفساد كل ثقافة غير إسلامية.

---

(١) أضواء البيان ص (٨٢٥).

٢ ـ تأمين وسلامة الثقافة الإسلامية من دخيل الثقافات الأخرى.

حقيقة الموقف:

حقيقة هذا الموقف أنه يمثل عزلة كاملة وقطيعة شاملة عن الأمم والشعوب، وعطائها العملي، ومنجزها الحضاري، وتقدمها المدني، فمؤداه عدم الاستفادة من العلوم العصرية في الطب والهندسة والفيزياء وغيرها، وعدم استخدام الأجهزة والآلات والمخترعات الحديثة في جوانب الحياة المختلفة، ومنع نقل أي نمط من أنماط التقدم المدني في العمران والتخطيط وغير ذلك، وهو ما لا يتصور وجوده بهذا الشمول والعموم، وإن كان وجود بعضه متصور وممكن إلا أنه قليل ونادر.

نقد الموقف:

١ ـ الموقف لا يتفق مع الأصول الإسلامية الداعية إلى أخذ الحكمة والمنفعة التي لا تعارض الدين من أي جهة أو أمة أو شخص، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها، وليست الثقافة والحضارة لأي أمة شراً محضاً؛ بل لا تخلو من خير ونفع في بعض الجوانب، وتوضيح ذلك نجده في قول الشنقيطي: «الاستقراء التام القطعي دلَّ على أن الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار:

أما النافع منها: فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبيّنه، وما تضمنه من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور، فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث إنه جسد حيواني.

وأما الضار: فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير البتة في الدنيا بدونها، وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي، الذي يوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكيمة في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته»[١].

(١) أضواء البيان ص (٨٢٥)

٢ ـ الموقف يحول دون توضيح صورة الإسلام والتعريف به والدعوة إليه؛ بل قد يكون سبباً في تقديم صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين، فالانغلاق يحول دون المعرفة فتظل الثقافة مجهولة للآخرين لا يعرفون عنها شيئاً، ويمكن أن يقبلوا أي رأي أو فكرة عنها، ولو كانت خاطئة أو جاءت من عدو حاقد يضمر الإساءة إليها، وتلك نتيجة بدهية ما دام أن أرباب الثقافة نفسها لم يعرضوها ويعرفوها للآخرين، وهذا لا يتفق مع مبدأ ومنهج الإسلام في الدعوة إلى الله، وعرض الإسلام على الناس، وترغيبهم في الدخول فيه، بل إن ذلك هو جوهر مهمة المسلمين كأمة.

٣ ـ الموقف لا يتفق مع الواقع التاريخي للأمة الإسلامية التي تعاملت مع كثير من ثقافات الأمم والشعوب، وأثرت فيها واستفادت منها، فالإسلام امتدت رقعته إلى آفاق واسعة، وانتشرت رايته فوق بقاع شتى وانضوت تحت لوائه أمم وشعوب وثقافات مختلفة، ولم يمتنع المسلمون من عرض ثقافتهم، والدعوة إلى إسلامهم، والتعريف بآدابهم وأخلاقهم، بل إنهم جعلوا ذلك من أسمى غاياتهم وأهدافهم، كما أنهم من جهة أخرى لم يحولوا بينهم وبين أن ينتفعوا من تلك الحضارات والثقافات، فهم لم يدمروها ولم يقصوها، وإنما تعاملوا معها وانتفعوا بالصالح فيها، فالمسلمون فتحوا بلاد فارس والروم وفيهما حضارة عريقة، وقد اقتبسوا منها في المجال الدنيوي ما لم يكن لهم به عهد ولا معرفة، فالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخذ الدواوين وأدخلها في نظام الدولة الإسلامية، وذلك اقتباساً منهم، وقد ورد أن أبا هريرة رضي الله عنه قدم من البحرين بمال كثير وجاء به إلى الخليفة عمر فجمع الناس وقال لهم: إن شئتم كِلْنَا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا لكم عدًّا، وإن شئتم وزناً لكم وزناً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديواناً لهم فدون أنت لنا ديواناً»، فاستجاب الخليفة وأنشأ الدواوين وهي بمثابة السجلات التوثيقية العامة في المجالات المختلفة، وكما قال الماوردي: «الديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع الديوان في الإسلام»[١].

(١) الأحكام السلطانية (ص٢٤٩)

٤ ـ الموقف غير قابل للتطبيق في عصر الانفتاح والاتصالات، فالعالم اليوم مترابط في مستويات متعددة، ومجالات متنوعة، تكاد تجعل من العالم كله ـ كما يقال ـ قرية صغيرة: ففي المستوى الاقتصادي العلاقات بين الأمم والشعوب متسعة ومتشعبة جداً، وهي الآن تنضم تدريجياً تحت مظلة واحدة هي «منظمة التجارة العالمية»، وفي المستوى الإعلامي أصبح بإمكان الفرد في أي مكان في العالم أن يسمع ويرى ما يجري وما يُقال في أي مكان دون حواجز أو موانع، وفي المستوى المعلوماتي تُعتبر الشبكة العنكبوتية بمثابة شركة واسعة النطاق، الشراكة فيها متاحة لكل فرد في العالم بكل سهولة ويسر، فلا يخفى بعد كل ما ذُكر أنه من غير الممكن الزعم بإمكان القطيعة الكاملة، والرفض التام، فذلك غير ممكن واقعياً.

الموقف الثاني: موقف القبول والذوبان:

والمراد به: الانفتاح الكامل على الثقافات الأخرى والثقافة الغربية خاصة، وقبولها بكل ما فيها، والذوبان في بحرها انبهاراً بها أو تقليداً لها.

الدواعي والأسباب:

١ ـ الانبهار بما تملكه الحضارة الغربية من تقدم مادي ورقي علمي.

٢ ـ الافتتان بما في الثقافة والحياة الغربية من شهوات ومغريات.

٣ ـ التأثر بمناهج الدراسة والفكر والفلسفة على أسس الثقافة الغربية.

٤ ـ تحقيق المصالح الشخصية والانقياد للتوجهات الأجنبية.

حقيقة الموقف:

حقيقة هذا الموقف يدعو إلى نزع الأمة من جذورها، وتغيير جلدها، ومسخ هويتها، إذ هو يريد أن تكون شيئاً آخر لا يرتبط بدينها العقدي، ولا بسجلها التاريخي، ولا بإرثها اللغوي، ولا بسمتها الاجتماعي، ويريد أن يكون ذلك كله تابعاً لثقافات أخرى يرى فيها أنها أفضل وأكمل، وأكثر ما يظهر فيه هذا الموقف هو الدعوة إلى التغريب والانصهار في الحضارة الغربية والسير في ركابها والأخذ بنموذجها في الحياة الاجتماعية والفكرية.

وفي أوائل القرن الماضي ومع بدايات الاتصال بالحضارة الغربية في أوج تقدمها وقوة نهضتها ظهر هذا الاتجاه الداعي إلى القبول المطلق والذوبان الكامل في الحضارة الغربية، ونذكر لهذا الاتجاه مثالين:

الأول: سلامة موسى في كتابه (اليوم الغد): حيث يقول في مقدمته: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضَّحَت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله. فهي تتلخص في أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها» ويلخص لنا محمد محمد حسين العناصر المهمة في هذا الكتاب فيقول: «(هو يريد من الأدب أن يكون أدباً أوروبياً **٩٩** في المائة، ثم قائماً على المعنى والقصد لا على اللفظ كما كان الحال عند العرب). ثم هو يريد (أن تكون ثقافتنا أوروبية لكي نغرس في أنفسنا حب الحرية والتفكير الجريء)... وهو (يريد من التعليم أن يكون تعليماً أوروبياً لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه)»[(١)]، ثم يقول عنه: «فهو يدعوننا إلى أن نرتبط بأوروبا وأن يكون رباطنا بها قوياً، نتزوج من أبنائها وبناتها، ونأخذ عنها كل ما يجدّ فيها من اختراعات أو اكتشافات، وننظر للحياة نظرها، نتطور معها في تطورها الصناعي، ثم في تطورها الاشتراكي والاجتماعي، ونجعل أدبنا يجري وفق أدبها بعيداً عن منهج العرب، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها، ونؤلف عائلاتنا على غرار عائلاتها»[(٢)].

الثاني: طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر): حيث: «يرى المؤلف أن سبيل النهضة (واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرّها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)»[(٣)]، ويقول أيضاً: «إن مكانة مصر دائماً جزءاً من أوروبا في كل ما يتصل في الحياة العقلية الثقافية على اختلاف فروعها وألوانها»[(٤)]، وحيث إن

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين (٢/٢٢١ ـ ٢٢٢).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٣) المصدر السابق (٢/٢٢٩).

(٤) المصدر السابق (٢/٢٣٣).

أوروبا مختلفة عن مصر لغة وديناً فقد حاول تذليل ذلك بقوله: «إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية، ولا قواماً لتكوين الدول»، ثم يضيف أن الدولة الأموية بالأندلس فطنت «من عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء»[1].

وهذه مجرد أمثلة ولها في وقتنا المعاصر نظائر وأشباه من فئات شتى تردد مضمون تلك المقالات تصريحاً وتلميحاً.

نقد الموقف:

١ - الموقف مخالف لأصول وثوابت الثقافة الإسلامية وعدوان عليها؛ فإنه يعارض ثوابت الدين حيث رأينا شمولية التشريع لجوانب الحياة المختلفة فكيف يتم التخلي عن أنظمة الاقتصاد والاجتماع والسياسة المنطلقة من الدين ويؤخذ غيرها مما يخالفها ويناقضها؟! وأي شيء سيبقى من أصول الدين وجوهر الثقافة مع هذا الموقف الذي يتنكر لهما.

٢ - الموقف مسخ وتشويه لتاريخ وحضارة الأمة الإسلامية، فإنه يتجاهل ويجحد كل الرصيد العظيم للثقافة الإسلامية والمنجزات الضخمة للحضارة الإسلامية والصفحات المشرقة للتاريخ الإسلامي، ويصور أمة عظيمة وكأنها مجردة من مقومات استقلاليتها وأساسيات نهضتها، ويلغي ما أقر به حتى أعداؤها من عظمتها وقدرتها وفضلها على البشرية جمعاء.

٣ - الموقف انحراف فكري وانحلال خلقي يضعف الأمة ولا يقويها، ويهدم كيانها ولا يبنيها، فإن حقيقته إلغاء للعقول، واستسلام أبله وانقياد ساذج للآخر دون أدنى تماسك أو اعتزاز بالذاتية، فهو انسلاخ من لغتنا وآدابها، وفكرنا ومدارسه، وفقهنا ومذاهبه وعلومنا ومناهجها، وما الذي يبقى بعد ذلك؟! ومن جهة أخرى فهو في الجانب السلوكي مسخ للحياء ونسخ للعفة ومحو للفضيلة وانسياق وراء سُعار الشهوات بكل ما فيها من كشف العورات وممارسة الفواحش وارتكاب المحرمات، ومثل هذا تأباه

---

(١) المصدر السابق (٢/٢٣٤).

الأمم والشعوب الحرة والثقافات الأخرى، التي لا تقارب الثقافة الإسلامية فضلاً عن أن تماثلها، ولا يُظن أن أمةً لها ثقافة وتاريخ ترضى بمثل ذلك الذوبان، بل نحن نرى اليوم في داخل منظومة الحضارة الواحدة من يأبون أن ينصهروا في غيرهم كما يصنع الفرنسيون أرباب الثقافة الفرنكفونية في تحفظهم واحتياطهم من اجتياح الثقافة الأمريكية.

٤ ـ الموقف يتناقض مع عوامل اليقظة والنهضة الآخذة في النمو في الأمة الإسلامية، فالأمة المسلمة اليوم أفضل حالاً وقد أخذت بأسباب العلم وانتشرت فيها المعاهد والجامعات ومراكز الأبحاث، وتأهَّل كثير من أبنائها بنيل أعلى الدرجات العلمية من أرقى الجامعات العالمية، إضافة إلى عودة صادقة إلى التزام الدين والتحلي بالأخلاق، والاعتزاز بالأصالة الإسلامية والرصيد العلمي والفكري في تاريخ الأمة، وبرزت تجارب كثيرة مشجعة ومتميزة تجمع بين التقدم العلمي والمدني مع الالتزام الإسلامي، وهذه البوادر بوارق أمل تطفئها وتنكرها مثل هذه المواقف.

الموقف الثالث: موقف التوفيق والتلفيق:

المراد بذلك: العمل على التقريب بين الثقافة الإسلامية والثقافات المعاصرة وإظهار التطابق والتوافق بين مفاهيم ومضامين الثقافات المعاصرة والثقافة الإسلامية رغم الفرق بل الخلاف بينهما في كثير من الأحيان.

الدواعي والأسباب:

١ ـ الحاجة إلى مواجهة المستجدات والتكيف معها.

٢ ـ العمل على إثبات أن الإسلام دين عصري حضاري.

٣ ـ الجهل بالإسلام وعدم معرفة ثوابته وحقائقه.

٤ ـ الشعور بالضعف والهزيمة أمام الثقافات المعاصرة.

حقيقة الموقف:

يصور لنا الدكتور عبدالكريم بكار هذا الموقف بقوله: «لجأ بعض المثقفين لدينا إلى التلفيق بين القيم الإسلامية والغربية لحل التناقضات بينهما، وكان هذا

شيئاً سيئاً للغاية؛ لأنه شوّه بعض المبادئ والأسس الثقافية لدينا، وصوَّر معطيات الثقافة الغربية على أنها ثوابت مستقرة على حين أنها معطيات سيرورة حضارية لا نهائية»[(١)]، وبصورة أوضح فإن هذا الموقف كلما جد جديد في عالم الفكر أو الاقتصاد أو الأدب التمس له ـ ولو باعتساف وتكلف بعيد ـ أصلاً في الإسلام، وادعى أنه لا يتعارض مع الإسلام بل يُمكن أن يُنسب إلى الإسلام، ومن هنا ظهرت مصطلحات كثيرة مثل الاشتراكية الإسلامية وغيرها.

نقد الموقف:

١ ـ الموقف فيه خلل ونقض لأصول وثوابت الثقافة الإسلامية وتحريفها وسوء فهمها، حيث إنه ينطلق من منهجية خاطئة وهي تطويع الثقافة الإسلامية بما لها من ثوابت لا تتغير لأجل توافقها مع المستجدات والأطروحات في الثقافات المعاصرة المختلفة، فهنا تُصبح الثقافة الإسلامية محكومة لا حاكمة وتابعة لا متبوعة والإشكالية أن هذا الاتجاه «انتهى إلى المطالبة بالنظر في التشريع الإسلامي كله، والخطر في ذلك يتمثل فيمن يقوم بهذا العمل خصوصاً حينما لا يكون مختصاً ولا عارفاً فيُصيِّر الإسلام بتشريعه مطابقاً للثقافة الغربية... هذا الاتجاه يمسخ الإسلام وتشريعاته، ويشوش على المسلمين ويساعد على تفرقهم ويقضي على وحدة الأمة»[(٢)].

٢ ـ الموقف فيه تصوير للثقافة الإسلامية بمظهر الضعف والنقص، ويتعارض مع عظمة الإسلام وعز المسلمين، فكيف يُقبل أن يكون مثل هذا الموقف من ثقافة كتابها القرآن الكريم ورسولها محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وتاريخها حافل بالسجلات العظيمة، وحضارتها مليئة بالمنجزات الرائعة، إن هذا الموقف يمثل انهزامية لا تتفق مع أصالة وعراقة الثقافة الإسلامية، وقد تجلى ذلك في التاريخ الإسلامي في مواقف عصيبة تتعلق بمواجهات مادية عسكرية، مع تفاوت كبير في القدرات والإمكانات،

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د. عبد الكريم بكار ص (١٢٤).

(٢) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم ص (٤٤).

وذلك في شأن التتار الذين اجتاحوا الشرق الإسلامي بكل قوة ووحشية وهمجية، وعندما أرسلوا إلى مصر لكي تستسلم سَجَّلَ التاريخ موقف العزة والأصالة للقائد العظيم قطز حيث أبى الاستسلام رغم شدة قوة وبطش العدو، واستعد للقتال وواجه التتار في عين جالوت، وانتصر المسلمون انتصاراً عظيماً.

٣ ـ الموقف يؤدي إلى التبعية للثقافات الأخرى ويجعل دور الثقافة الإسلامية التأكيد على صحة وفائدة الثقافات الأخرى، ويُذهب ثبات وتماسك الثقافة الإسلامية وشخصيتها المتميزة.

الموقف الرابع: موقف التميز والاستفادة:

المراد من ذلك: الانطلاق من الوعي الكامل والقناعة التامة بالثقافة الإسلامية حفاظاً على أصولها وتميزاً بخصائصها والانفتاح على الثقافات الأخرى وإفادتها والتأثير فيها والاستفادة منها بما لا يعارض ثقافتنا.

الدواعي والأسباب:

١ ـ الإيمان بصحة وثبات أصول الثقافة الإسلامية وتميز خصائصها.

٢ ـ الإيمان بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

٣ ـ الإيمان بأن الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق الناس بها.

٤ ـ الاعتزاز بالثقافة الإسلامية ومعرفة تاريخها وإيجابيتها في الثبات والتأثير عبر مسيرتها التاريخية الطويلة.

حقيقة الموقف:

ينطلق هذا الموقف من قناعة تامة ورؤية واضحة واستيعاب شامل للثقافة الإسلامية بخصائصها الأصيلة ومزاياها الفريدة، ويدرك أن فيها من القيم والمبادئ والأخلاق والـمُثل والعلم والعمل ما هي به جديرة بالاستقلالية والتفوق بل والريادة، ومن ذات الثقافة الإسلامية يعلم مدى رحابتها وسماحتها ومنهجيتها الواعية في الاستفادة والانتفاع بالعطاء الإنساني والإنجاز البشري في القواسم المشتركة إنسانياً، والمسائل المتحدة علمياً، والمنتجات التقنية حياتياً، فهو

موقف لا ينطلق من ضعف، ولا يؤسس على انهزامية، ولا يسعى إلى استجداء، لكنه ينطلق من الأصالة ويتعامل بالندية، ويستفيد بما لا ينقض أصوله ولا يشوه معالمه، ولا يجعل استفادته إلا انطلاقةً للبناء عليها والتطوير فيها وامتلاك أسرارها والقدرة بعد ذلك على تطويعها وتطويرها.

نقد الموقف:

١ ـ الموقف يبرز محاسن الإسلام ويظهر قوة واعتزاز المسلمين به، فهو يجدد مواقف الأصالة والعزة في الفكر والثقافة الإسلامية، ويثبت أن هذه الثقافة لها من خصائصها ومزاياها ما يجعلها قادرة على الثبات والاستقلال بل والتأثير والغلبة سيما في ميدان التصورات والقيم والمبادئ.

٢ ـ الموقف يقي من الآثار السلبية للانغلاق أو الذوبان في الثقافات الأخرى مما ذكرناه في المواقف السابقة.

٣ ـ الموقف يتجانس مع موقف الثقافة الإسلامية تاريخياً، كما مر بنا فيما ذكرناه من صلة الإسلام بثقافات الأمم والشعوب التي فتح بلادها، «بالنسبة لنا (أي: في تاريخنا الإسلامي) ترجمنا علوم اليونان والفرس والهند، أخذنا منها بعضاً وتركنا البعض، وعلى رأس ما تركناه الآداب لأنها كانت وثنية، لم نأخذ الكل ولا تركنا الكل»[١].

٤ ـ الموقف يظهر العقلية المنهجية الواعية التي تعتمد البحث والتمحيص والاختيار والانتقاء، فالمسلم بل والعاقل لا يأخذ كل شيء جملة لوجود بعض المحاسن، ولا يردُّ كل شيء جملة لوجود بعض المساوئ، وشخصية المسلم متميزة بذلك كما قال ﷺ: «**لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنًا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[٢].

٥ ـ الموقف يتطابق مع مواقف كثير من الثقافات في تعاملها واستفادتها من

---

(١) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم ص (٤٠).

(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو حديث رقم (١٩٣٠).

الثقافات الأخرى، «فالغرب ـ مثلاً ـ في ثقافته أخذ عن اليونان والرومان والإسلاميين، لقد أخذ الغرب عنا بعض العلوم والمناهج وترك الإسلام عقيدة وشريعة واليابان في العصر الحديث أخذت النظم السياسية والاقتصادية الغربية لكنها احتفظت بنظامها الاجتماعي والتربوي والإداري، والشركات اليابانية تدار اليوم بطريقة خاصة بعيدة عما في الغرب... إن الماركسية ـ وهي بضاعة غربية ـ رفضت علم الاجتماع الغربي واصفة إياه بأنه استعماري استغلالي وأنشأت المادية التاريخية كبديل»[1].

يقول الشنقيطي: «الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية، هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويَحْذَرُوا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة، ومن المؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الأخلاقي، والانسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين»[2]، وهذا الموقف الواعي من عالم إسلامي معاصر يتطابق مع موقف عالم آخر من القرن الثامن الهجري، فها هو ابن تيمية يقول: «فإنَّ ذكر ما لا يتعلق بالدين مثل مسائل الطب والحساب المحض التي يذكرون فيها ذلك الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز... فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه بل هذا أحسن؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس هناك حاجة إلى أحد منهم الخيانة، بل هو مجرد انتفاع بآثارهم، كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك»[3].

بل هذا ما يشهد به غير المسلمين من أرباب الحضارة الغربية المعاصرة ومن خلال أقوال وآراء كبار مفكريها فها هو هنتنجتون ينقل في كتابه الشهير «صراع الحضارات» جملة من آراء المفكرين منها:

(١) مدخل إلى الثقافة الإسلامية، د. محمد رشاد سالم ص (٤٠ ـ ٤١).

(٢) أضواء البيان ص (٨٢٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/١١٤ ـ ١١٥).

«استقبل العرب التراث الإغريقي وثمنوه واستخدموه لأسباب منفعية أساساً، ومع حرصهم على اقتباس أشكال خارجية أو جوانب فنية معينة، إلا أنهم عرفوا أيضاً كيف يتغاضوا عن كافة عناصر الفكر اليوناني التي قد تؤدي إلى صراع مع الحق المبين في مبادئهم وتعاليمهم القرآنية».

الإسلام والتحديث لا يتصادمان، المسلمون المتدينون يحضون على العلم، ويعملون في المصانع بكفاءة ويستخدمون الأسلحة المتطورة. التحديث لا يتطلب أيديولوجية سياسية ولا مجموعة من المؤسسات بعينها، مثل: الانتخابات، الحدود الوطنية، المؤسسات المدنية، وكل مظاهر الحياة الغربية الأخرى ليست ضرورية من أجل التقدم الاقتصادي. وكعقيدة فإن الإسلام يُرضي كافة المستويات من المستشارين في العمل الإداري والمزارعين سواء بسواء. والشريعة لا تقول شيئاً عن التغيرات التي تصاحب التحديث مثل التحول من الزراعة إلى الصناعة، من الريف إلى المدينة، أو من الاستقرار الاجتماعي إلى التغيير الاجتماعي المتواصل، ولا هي تصطدم بأمور مثل تعليم العامة أو وسائل الاتصال السريعة أو وسائل الانتقال الحديثة أو الرعاية الصحية. ثم يقول هنتنجتون متسائلاً: هل يعني هذا أن المجتمعات الصينية والإسلامية إما أن تُمسك عن كل من التحديث والتغريب أو أن تتبناهما؟ إن الخيار لا يبدو محدوداً بهذا الشكل، بالإضافة أن اليابان وسنغافورة وتايوان و ـ بدرجة أقل ـ إيران والسعودية أصبحت مجتمعات حديثة دون أن تُصبح غربية.

ثم يلخص قائلاً: «وباختصار فإن التحديث لا يعني التغريب بالضرورة، المجتمعات غير الغربية يمكن أن تتحدث، ـ وقد حدث ذلك بالفعل ـ دون أن تتخلى عن ثقافاتها المحلية الخاصة. . . التحديث يقوي من تلك الحضارات ويقلل من القوة النسبية للغرب، والعالم يُصبح أكثر حداثة وأقل غربية في أمور أساسية»[1].

● ● ●

(١) انظر صراع الحضارات (١٢٦ ـ ١٢٩).

خلاصة الوحدة الخامسة

ـ يمثل الدور الخارجي للثقافة الإسلامية وموقفها من الثقافات الأخرى أهمية خاصة عند البحث في جوانب الثقافة الإسلامية، إذ إننا نعيش عصر انفتاح الثقافات والتقائها ببعضها البعض، وذلك يفرض على كل أمة أن تكون لها رؤيتها الواضحة وأسسها السليمة في مواقفها وتعاملها مع الآخرين.

ـ هناك صور تمثل ضعفًا في حضور الثقافة الإسلامية، وتلك الصور تتعلق بدور حَمَلَة الثقافة أفرادًا ودولاً ومجتمعات ولا تتعلق بذات الثقافة الإسلامية نفسها؛ فهي قوية بأصالتها وخصائصها، وتتمثل صور ذلك الضعف فيما يلي:

١ ـ الجهل وضعف اليقين عند كثير من المسلمين في المعرفة بالإسلام.

٢ ـ الاختلاف والفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

٣ ـ الضعف العلمي والتقني.

ـ عند الحديث عن الواقع المعاصر يبرز حضور الثقافة الغربية وثقلها الكبير وانتشارها الواسع وهيمنتها التي نتجت عن أسباب كثيرة منها:

١ ـ التقدم العلمي والتقني وامتلاك أسبابه وأدواته.

٢ ـ القوة الإعلامية وقوة الاتصال وتسخيرهما بما يخدم أغراض الثقافة والحضارة الغربية.

٣ ـ القوة الاقتصادية والعسكرية وما لهما من دور كبير في فرض النموذج الثقافي.

ـ إن استعراض مصادر قوة الدول الغربية وامتلاكها لأسباب فرض إرادتها ونموذجها ليس الهدف منه بث روح اليأس في النفوس، وإنما الهدف منه استنهاض الهمم للحاق بركب الأمم المتقدمة.

يتمثل موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى في مواقف أربعة كما يلي:

أولاً: موقف الرفض والمقاطعة بدعوى:

أ ـ بطلان وفساد كل ما عدا ثقافة الإسلام.

ب ـ تأمين الثقافة الإسلامية من دخيل الثقافات الأخرى.

ـ نقد الموقف السابق وذلك من عدة وجوه:

١ ـ أنه موقف لا يتفق والأصول الإسلامية الداعية إلى أخذ الحكمة والمصلحة التي لا تعارض الدين.

٢ ـ أنه موقف يحول دون توضيح صورة الإسلام والتعريف به والدعوة إليه؛ بل قد يكون سببًا في تقديم صورة سيئة عن الإسلام والمسلمين.

٣ ـ أنه موقف يتنافى وتاريخ الأمة التي تعاملت مع كثير من ثقافات الأمم والشعوب وأثرت فيها واستفادت منها.

٤ ـ أنه موقف غير قابل للتطبيق في عصر الانفتاح والاتصالات.

ثانيًا: موقف القبول والانفتاح الكامل والذوبان في بحر الثقافات الأخرى لدواع منها:

١ ـ الانبهار بالحضارة الغربية وما فيها من رقيٍّ ماديّ.

٢ ـ الافتتان بما فيها من شهوات ومغريات.

٣ ـ التأثر بفكر وفلسفة الغرب.

٤ ـ الانقياد للتوجهات الأجنبية بهدف تحقيق المصالح الشخصية.

ـ نقد الموقف السابق:

١ ـ أنه موقف مخالف لأصول وثوابت الثقافة الإسلامية.

٢ ـ أنه يؤدي إلى مسخ الأمة وتشويه حضارتها.

٣ ـ أنه يدعو إلى الانحراف الفكري والانحلال الخلقي بما يؤدي بدوره إلى ضعف الأمة وهدم كيانها.

٤ ـ أنه يتناقض والنهضة التي بدأت تدب في الأمة.

ثالثًا: موقف التقريب والتلفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى:

ـ دواعي الموقف السابق وأسبابه:

١ ـ الحاجة إلى مواجهة المستجدات والتكيف معها.

٢ ـ الرغبة في إثبات أن الإسلام دين عصري حضاري.

٣ ـ الجهل بالإسلام وعدم معرفة ثوابته وحقائقه.

٤ ـ الشعور بالضعف والهزيمة أمام الثقافات المعاصرة.

ـ نقد الموقف السابق:

١ ـ موقف فيه خلل ونقض لأصول وثوابت الثقافة الإسلامية.

٢ ـ موقف يصوّر الثقافة الإسلامية بصورة الضعيف الناقص، وهو تصوير يتعارض وعظمة الإسلام وعزة المسلمين.

٣ ـ موقف يجعل من ثقافة الإسلام تابعًا للثقافات الأخرى.

رابعًا: موقف التميز والاستفادة:

وذلك بالحفاظ على أصول ثقافة الإسلام وتميزها والانفتاح على الثقافات الأخرى والإفادة منها والتأثير فيها.

ـ دواعي الموقف وأسبابه:

١ ـ الإيمان بصحة وثبات أصول الثقافة الإسلامية.

٢ ـ الإيمان بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

٣ ـ الإيمان بأن الحكمة ضالّة المؤمن.

٤ ـ الاعتزاز بالثقافة الإسلامية ومعرفة تاريخها وإيجابياتها.

ـ نقد الموقف السابق:

١ ـ موقف يبرز محاسن الإسلام ويظهر اعتزاز المسلمين به.

٢ ـ يقي من الآثار السلبية لظاهرتيْ الانغلاق على النفس والذوبان في الآخر.

٣ ـ أنه يتفق وتاريخ الأمة الذي يحكي تفاعلها مع الآخر وتأثيرها فيه وإفادتها منه.

٤ ـ يمثل العقلية الواعية التي تعتمد على البحث والتمحيص والاختيار والانتقاء.

٥ ـ يتطابق ومواقف الكثير من الثقافات التي تتفاعل مع غيرها فتؤثر وتتأثر.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الخامسة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ هناك صور لضعف فعالية الثقافة الإسلامية ترجع في الأساس إلى ذات الثقافة الإسلامية.

٢ ـ يعتبر الجهل والاضطراب في المعرفة بالإسلام أحد أسباب ضعف فعالية الثقافة الإسلامية.

٣ ـ أكثر الدول الإسلامية مصنفة ضمن الدول المتخلفة ثقافيًّا وحضاريًّا.

٤ ـ تمثل الثقافة الغربية في العصر الحاضر الثقافة ذات الحضور الواسع والفاعل.

٥ ـ ليست هناك علاقة بين القوة الاقتصادية والعسكرية للدول وحضورها الثقافي.

٦ ـ دراسة قوة الآخر وهيمنته الحضارية والثقافية مدعاة لليأس والإحباط.

٧ ـ تعتبر الثقافة الغربية أكثر الثقافات صلة بالعالم الإسلامي.

٨ ـ يعدّ موقف رفض الآخر ومقاطعته أفضل المواقف في التعامل مع الثقافات الوافدة على الأمة الإسلامية.

٩ ـ يعتبر طه حسين ممن تبنوا موقف الذوبان في الثقافة الغربية بما فيها من جميل وقبيح.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ تتعلق صور ضعف فعاليات الثقافة الإسلامية بـ:

أ ـ ذات الثقافة الإسلامية ومنهجها.

ب ـ دور حَمَلَة الثقافة أفرادًا ودولاً ومجتمعات.

ج ـ المضمون المادي للثقافة الإسلامية فقط.

٢ ـ تعتبر الدول الإسلامية في العصر الحاضر مصنفة ضمن:

أ ـ الدول المتقدمة ثقافيًا وحضاريًا.

ب ـ الدول المتخلفة تقنياً وصناعياً.

ج ـ الدول المتقدمة تقنياً والمتخلفة ثقافياً.

٣ ـ من صور هيمنة الثقافة والحضارة الغربية:

أ ـ القوة الاقتصادية والعسكرية.

ب ـ القوة الأخلاقية والسلوكية.

ج ـ القوة الفكرية المدنية.

٤ ـ من أسباب الحضور الثقافي والثقل الحضاري:

أ ـ القوة في الإعلام والاقتصاد.

ب ـ التقدم العلمي والتقني.

ج ـ كلاهما معًا.

٥ ـ أفضل المواقف في التعامل مع ثقافة الآخر:

أ ـ موقف الرفض والمقاطعة.

ب ـ موقف الذوبان والقبول.

ج ـ موقف التميز والاستفادة.

٦ ـ يعتبر طه حسين ممن نادوا بـ:

أ ـ رفض الآخر ومقاطعته.

ب ـ قبول الآخر والذوبان فيه.

ج ـ قبول الإيجابي وترك السلبي.

٧ ـ «الافتتان بما في الحياة الغربية من شهوات ومغريات» يعتبر من دواعي موقف:

أ ـ الرفض والمقاطعة.

ب ـ القبول والذوبان.

ج ـ التوفيق والتلفيق.

٨ ـ موقف التوفيق والتلفيق موقف غير مقبول ومن أسبابه ودواعيه:

أ ـ العمل على إثبات أن الإسلام دين عصري وحضاري.

ب ـ التأثر بما في الحياة الغربية من شهوات ومغريات.

ج ـ الإيمان بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ تحدث عن أهمية دراسة الدور الخارجي للثقافة في العصر الحاضر.

٢ ـ اذكر أسباب ضعف فعالية الثقافة الإسلامية في العصر الحاضر؟

٣ ـ تحدث عن الجهل وضعف اليقين كأحد أسباب ضعف فعالية الثقافة الإسلامية.

٤ ـ ما هي الأسباب التي أدت إلى هيمنة الثقافة الغربية وحضورها في العصر الحاضر؟

٥ ـ اكتب ما تعرفه عن «موقف الرفض والمقاطعة» كأحد المواقف في علاقة الحضارة الإسلامية بالآخر.

٦ ـ ما هي دواعي وأسباب القول بالذوبان في الآخر بكل ما فيه من جميل وقبيح؟

٧ ـ انقد موقف القائلين بالتوفيق والتلفيق بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى.

٨ ـ لماذا يعتبر موقف التميز والاستفادة أفضل المواقف في التعامل مع الآخر وثقافته؟

● ● ●

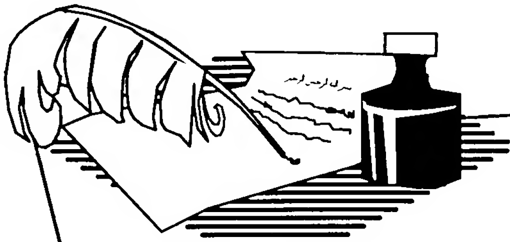
النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: لكي تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

١ ـ قدِّم نموذجاً تاريخياً لتعامل الثقافة الإسلامية مع غيرها من خلال الفتوحات الإسلامية، ووضح من خلاله مزايا هذا التعامل.

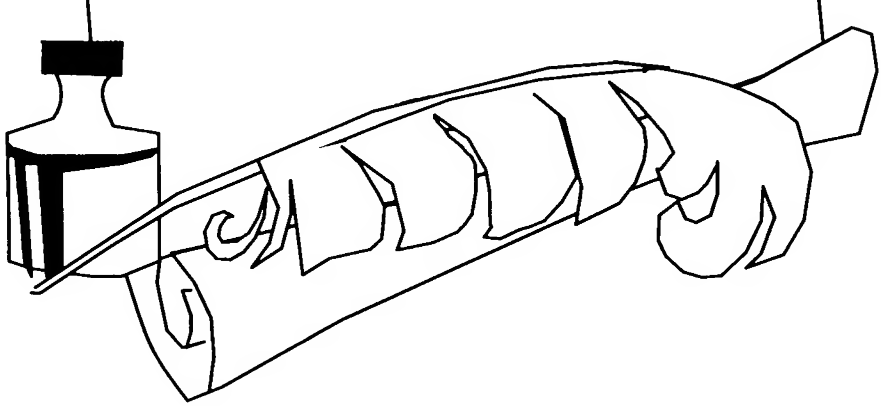
٢ ـ اكتب اقتراحاً علمياً متكاملاً للمتطلبات العلمية والعملية التي يحتاجها المسلمون في صلتهم بالثقافات الأخرى.

● ● ●



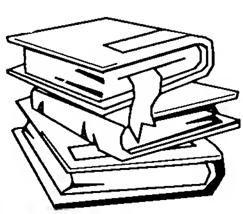
القسم الثاني
العقيدة الإسلامية

- الوحدة الأولى: مفهوم وأركان العقيدة الإسلامية.
- الوحدة الثانية: خصائص العقيدة الإسلامية.
- الوحدة الثالثة: أهمية العقيدة وآثارها.
- الوحدة الرابعة: مسائل في العقيدة.



الوحدة الأولى

مفهوم وأركان العقيدة الإسلامية



الوحدة الأولى

مفهوم وأركان العقيدة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

إن العقيدة الإسلامية هي الإيمان الجازم بالله وما يجب له، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب، وهو الأمر الذي لا بد أن تصدق به النفس ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه لا يمازجه شك ولا ريب.

ولَكَمْ يحتاج المسلمون في عصر يموج بالزيغ والانحراف، والمذاهب الفكرية الهدامة إلى ما يجلّي عقيدتهم، ويصحح إيمانهم، ويصوب مسلكهم، وفق فهم سلف الأمة ورعيلها الأول، بما يؤدي إلى العصمة في الدنيا من الشبهات والشهوات، والنجاة في الآخرة من سوء العاقبة والخذلان، فضلاً عن النفع في الدنيا بتوحيد الصف، وجمع القلوب، وصد الهجمات الشرسة على ثوابت الأمة ومعتقداتها.

إن طريق رفعة شأن الأمة لا يتأتى إلا من موردها الصافي ومعينها الأول.. وباب البدء هو العقيدة.

فهيا أيها الدارس العزيز.. لنقف على أول الطريق، ونخطو الخطوة بعد الخطوة.. إيضاحًا وتبيانًا لمفهوم العقيدة الإسلامية وأركانها دون لبس أو غموض.

فابدأ على بركة الله... والله معك.

• • •

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تعرف العقيدة الإسلامية والتوحيد والإيمان وأصول الدين لغة واصطلاحًا.

٢ ـ تعدِّد أركان الإيمان بالله.

٣ ـ تشرح ما يتضمنه الإيمان بالله تعالى من أنواع التوحيد.

٤ ـ تعرف توحيد الألوهية والربوبية لغة واصطلاحًا.

٥ ـ تذكر عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات.

٦ ـ تشرح معنى الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

٧ ـ تحدد معنى الإيمان باليوم الآخر وحكمة اهتمام القرآن به.

٨ ـ تعريف معنى الإيمان بالقدر وصلته بحياة الإنسان.

● ● ●

الوحدة الأولى

مفهوم وأركان العقيدة الإسلامية

- تعريف العقيدة الإسلامية في اللغة والاصطلاح.
- أسماء علم العقيدة.
- تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.
- تعريف أصول الدين لغة واصطلاحاً.
- أركان الإيمان:

أ ـ الإيمان بالله تعالى.

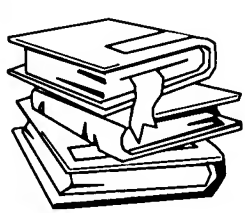
ب ـ الإيمان بالملائكة.

ج ـ الإيمان بالكتب.

د ـ الإيمان بالرسل.

هـ ـ الإيمان باليوم الآخر.

و ـ الإيمان بالقدر.



الوحدة الأولى

مفهوم وأركان العقيدة الإسلامية

مفهوم العقيدة الإسلامية:

تعريف العقيدة لغة:

قال ابن فارس: «العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدَّة ووثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها»[١].

فالعقيدة فعيلة بمعنى مفعولة، أي: معقودة، فهي مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية، كعقد البيع وعقد النكاح[٢].

وكلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم على المعنى المتعارف عليه وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩].

العقيدة في الاصطلاح العام:

هي الأمر الذي تصدق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه لا يمازجه شكٌّ، ولا يخالطه ريب[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٨٦ ـ ٨٧).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص٣٨٣، ٣٨٤، ولسان العرب لابن منظور (٩/٣٠٩ ـ ٣١٢).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (ص٤٢٩).

العقيدة في الاصطلاح الإسلامي وحقيقتها:

مما سبق من المعاني اللغوية والاصطلاحية يمكن القول بأن العقيدة الإسلامية تعني: الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح في شأن الإيمان ومسائله، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

أسماء علم العقيدة:

لقد أطلق أهل العلم ألقابًا كثيرة لتمييز علم العقيدة عن غيره، حتى أصبحت تلك الألقاب أعلامًا على هذا العلم الشريف، وقد قيل إن كثرة الأسماء والمرادفات تدل على شرف المسمى، ومن أسماء علم العقيدة ومرادفاته ما يلي:

١ ـ التوحيد:

تعريف التوحيد لغة: تدور مادة (وَحَدَ) حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

والتوحيد مصدر وحَّدَه يُوحِّده تَوْحِيدًا، ومعناه: «إما جَعَلَهُ واحدًا، أو اعتَقَدَهُ واحدًا»[١].

تعريف التوحيد اصطلاحًا: للتوحيد اصطلاحًا إطلاق عام وذلك باعتباره فعلاً من أفعال القلوب، وتعريفه هو: «إفراد الله بالعبادة حسب ما شرع وأحب، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له ولا مثيل له في ذلك كله»[٢].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٩٠ ـ ٩١).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/٣٠٥ ـ ٣٠٦).

٢ ـ الإيمان:

تعريف الإيمان لغة:

يدور معنى الإيمان في اللغة حول التصديق وما يقاربه من معانٍ.

قال الأزهري: «وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانًا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين على أن الإيمان معناه التصديق..»(١)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي مصدق لنا(٢).

تعريف الإيمان اصطلاحًا:

«اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»(٣).

وهذا التعريف الاصطلاحي للإيمان مأخوذ من تعريف النبي ﷺ للإيمان في حديث جبريل عليه السلام(٤)، وفيه: «فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٥)، وحديث وفد بني عبد القيس(٦)، وفيه: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»(٧)، حيث عرف الإيمان في الحديث الأول بالاعتقادات الباطنة، وفي الحديث الثاني بالأعمال الظاهرة، ثم صار الإيمان يطلق ويراد به مسائل الاعتقاد كلها.

٣ ـ أصول الدين:

وهذا المصطلح مركب من مضاف ومضاف إليه، ويعرف باعتبار مفرديه أولاً.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٥١٠).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٣٥).

(٣) انظر كتاب الإيمان لابن منده (٢/٣٤١)، وكتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص: ٣٠٧)، وصحيح البخاري، باب: زيادة الإيمان ونقصانه.

(٤) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٩).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان برقم (٥١)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب: النهي عن الانتباذ في المزفت والدباء والحنتم برقم (٢٦٩١).

(٧) التخريج السابق.

فالأصل في اللغة: «ما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره»[1].

وفي الاصطلاح يطلق على معان متعددة، والمختار منها مما يناسب هذا الموضوع أن الأصول بمعنى: «القواعد والأسس العامة»[2].

والدين يطلق في اللغة على الطاعة والانقياد والذل، يقال دان له: أي أطاعه وانقاد له أي: دخل تحت حكمه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، أي: في طاعته أو حكمه، كما يطلق على الحساب والجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤].

تعريف الدين في الاصطلاح العام هو: «الطاعة الدائمة اللازمة التي صارت عادة وخلقاً»[3].

وتعريفه في الاصطلاح الإسلامي هو: «عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله»، ومن التعريف يتضح أن «الدين جمع هذين الأمرين: المعبود والعبادة، والمعبود إله واحد، والعبادة طاعته وطاعة رسوله ﷺ»[4].

أركان الإيمان:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وسئل النبي ﷺ عن الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[5].

ومن هذه الآيات الكريمة والحديث الشريف تتضح أركان الإيمان الستة،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/١).

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣٨/١، ٤٠).

(٣) جامع الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٢١٨/٢).

(٤) المصدر السابق (٢٢٥/٢، ٢٢٦)

(٥) سبق تخريجه.

كما في قول الإمام الطحاوي في عقيدته: «والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، حُلوه ومرّه من الله تعالى»[1].

وفيما يأتي بيانٌ مختصرٌ لهذه الأركان يشتمل على مجمل معناها، ومضمون الواجب اعتقاده فيها:

الإيمان بالله ﷻ

معنى الإيمان بالله إجمالاً:

يتضمن الإيمان بالله تعالى الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بوجوده تعالى، وأنه واحدٌ لا شريك له في ذاته، وأنه وحده المنفرد بصفات الربوبية، المستحق دون غيره للعبادة والألوهية، المتصف بصفات الجلال والكمال، والمنزّه عن النقص بكل حال.

ومن المعلوم أن وجود الله تعالى أعظم الحقائق وأجلاها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦٢]، وحقيقة وجوده فطرة مغروزة في النفوس، فلا يخفى وجوده على عاقل، ولا يتشكّك في هذه الحقيقة إنسان، قال تعالى مقرّرًا هذا المعنى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

قال ابن القيم: «ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهرُ للعقول والفِطَر السليمة من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتّهمْهما»[2].

إلا أن قلة من الخلق عبر التاريخ تنكّبوا طريق الحق وجحدوا وجود الله، وفي العصر الحديث فشا الإلحاد وقامت عليه دول لكنها لم تلبث أن انهارت وتمزقت، لأن ما يناقض الفطرة لا يمكن دوامه، فإن الفطرة الإنسانية السليمة شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها، بصانعٍ قادرٍ عليم حكيم، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩]، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون بها في حال الضراء؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص٢٢).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (١/٣٣).

﴿مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1] [لقمان: ٣٢]، وحديث المصطفى ﷺ يؤكد فطرية الإيمان حيث قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبَوَاهُ يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه**»[2] وقوله في الحديث القدسي: «**خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[3].

ومن الأدلة على فطرية الإيمان بالله أنه لا توجد لغة من لغات الإنسان خالية من اسم الله تعالى، واللغات تعبر عن فكر الإنسان وعقله ووجدانه، فكان هذا دليلاً على أن وجوده تعالى أمرٌ مطبوع على صفحات القلوب، منقوش على ألواح الأفئدة، ولئن غطى عليه طوفان الجحود فإنه يتبدّى بوضوح عند نزول الكروب واشتداد الخطوب؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ومع جلاء حقيقة الإيمان في الفطرة السليمة فإن الله خاطب العقول الراشدة بالأدلة المثبتة لوجوده، ليتعاضد العقل مع الفطرة، ومن أجلى تلك الدلائل العقلية الربط بين المخلوقات بعظمتها ودقتها وبين خالقها، فالعقل يوجب أن يكون للمخلوقات خالقاً، وإذا كانت عظيمة محكمة الصنع فإن العقل يقضي بأن خالقها قدير عظيم، وعليم حكيم.

ومن أمثلة الخطاب القرآني للعقل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٧٠].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٩٧/٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين برقم: (١٢٩٦)، ومسلم، كتاب القدر، باب: معنى: كل مولود يولد على الفطرة برقم (٤٨٠٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة برقم (٥١٠٩).

وصدق القائل:

تأملْ في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

والقائل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

والإيمان بالله تعالى ـ كما قدمنا ـ يشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أولاً: توحيد الربوبية:

وهو الاعتقاد بأنه سبحانه وتعالى هو وحده رب كل شيء ومليكه، قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومعنى الرب في اللغة: المالك الخالق المدبر، «والرب: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه»[1]، «ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة»[2]، كأن يقال رب الدار: أي مالكها.

ومعنى ذلك أن ربوبيته هي الاعتقاد بأنه مالك الملك وخالق الخلق، وواهب الرزق، ومدبر الأمر، ومصرف الكون، إلى غير ذلك من صفات الربوبية، وآيات القرآن مليئة بالشواهد المثبتة لربوبيته جل وعلا، ومن ذلك بيان:

ـ أنه تعالى الخالق: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

ـ وأنه تعالى وحده مالك الملك، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٨١/٢، ٣٨٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٣٩٩/١).

- وأنه تعالى وحده الرزاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

- وأنه تعالى وحده المحيي المميت: قال تعالى: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وغيرها من الآيات الكثيرة في كتاب الله.

ومما ينبغي أن يُعلم أن الإيمان بالربوبية وحدها لا يكفى للبراءة من الشرك؛ وإلا فإن مشركي العرب وغيرهم من الأمم كانوا يُقرّون إقرارًا مجملاً بالخلق والرزق والتدبير لله تعالى، وإن وقع فيه نوعُ خللٍ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

ولتوحيد الربوبية أهمية خاصة في تأسيس توحيد الألوهية عليه؛ فلا يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة راسخة صحيحة من الإيمان بربوبيته تعالى دون شريك.

وآيات القرآن تترى في الجمع بين الإيمان بالربوبية والألوهية فقد جعل السياق القرآني من تفرُّد الله تعالى بالخلق والرزق دليلاً على تفرُّده بالألوهية واستحقاقه وحده للعبادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

فمن رسخ يقينه بانفراده تعالى بصفات الربوبية تَوَجَّهَ إليه بالعبادة والدعاء ولابد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٤ - ٦٥].

وقد أقام السياق القرآني الكريم من عَجْز الآلهة المزعومة عن الخلق والرزق والتدبير دليلاً على بطلان عبادتها من دون الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

ثانياً: توحيد الألوهية:

وهو اعتقاد تفرُّده تعالى باستحقاق العبادة قولاً وفعلاً وقصدًا، والبراءة من كل معبود سواه.

أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لإفراده تعالى بالألوهية والبراءة من كل ما عُبد من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأقام الأدلة على تفرده بالألوهية ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ [النمل: ٦٢]، وأبطل كل تأليه وعبودية لغيره جلا وعلا ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢١ ـ ٢٤]، وأوضح أن من تحقيق توحيد الألوهية والعبادة اعتقاد تفرده تعالى بالأمر والحكم كما تفرد بالإيجاد والخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فلا حلال إلا ما أحله الله على لسان رسوله ﷺ، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ.

مما يجلي أهمية توحيد الألوهية ويظهر منزلته العظيمة معرفة أن:

ـ توحيد الألوهية: هو غاية خلق العالمين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ـ توحيد الألوهية: هو دعوة الرسل أجمعين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ـ توحيد الألوهية: هو حق الله على خلقه أجمعين؛ ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ﷺ: «**هل تدري ما حق الله على عباده؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[1].

ـ توحيد الألوهية: هو أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ولقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: «**يا معاذ: إنك تقدم على قوم أهل كتاب،**

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب: إرداف الرجل خلف برقم: (٥٥١٠).

فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ، فإذا عرفوا الله فأخبزهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم»[1].

ـ توحيد الألوهية: هو سبب العصمة في الدنيا؛ لأن الإقرار بالتوحيد يعصم الدم والمال، ويُثبت عقد الإسلام، كما قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله**»[2].

ـ توحيد الألوهية: هو سبب النجاة في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ولقوله ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار** وقلت أنا (القائل ابن عمر): من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»[3].

ـ توحيد الألوهية: هو شرط لصحة وقبول سائر العبادات؛ لقوله تعالى في حق المؤمنين العاملين: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤]، ولقوله تعالى عن الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

ثالثاً: توحيد أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى:

إن الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى هو أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وهو طريق معرفة الله تعالى، ومحبته، وعبادته.

والإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العُلى يعني:

ـ الاعتقاد الجازم بأنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال والجمال والجلال، ومنزهٌ عن جميع صفات النقص، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة برقم (١٣٦٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام برقم (٢٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم (١٣١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله برقم (٢٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ما جاء في الجنائز برقم (١١٦٢). ومسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (١٣٤).

ـ الاعتقاد الجازم بتفرده سبحانه وتعالى عن جميع الكائنات والمخلوقات في أسمائه وصفاته، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ـ إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ـ الاعتقاد الجازم بالعجز التام عن إدراك حقيقة ذات الله وكيفية صفاته، وعدم الخوض في ذلك وقطع كل سبيل إليه، قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وعلى هذا اتفقت كلمة الأئمة وأعلام الأمة فمن ذلك:

١ ـ قول الشافعي: «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنّة، وننفي التشبيه عنه، كما نفاه عن نفسه فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ [الشورى: ١١]»[١].

٢ ـ قول أحمد: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث»[٢]

٣ ـ قول الطحاويّ في عقيدته إن: «ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية»[٣].

٤ ـ قول الإمام ابن تيمية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل؛ بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيّفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه».

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤١/٢٠).
(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم: (٢٦٥/١)، ومناقب أحمد لابن الجوزي (ص١٥٦).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية.

الإيمان بالملائكة

الملائكة من مخلوقات الله، خلقهم من نور، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم**»(١)، وخصصهم لعبادته، فهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

معنى الإيمان بالملائكة:

الاعتقاد الجازم بوجودهم إجمالاً، وبما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة من صفاتهم وأعمالهم تفصيلاً، والإيمان بمن ورد ذكر اسمه وعمله منهم على وجه الخصوص كجبريل أمين الوحي، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف.

حكم الإيمان بهم وحكم من أنكر وجودهم:

الإيمان بوجودهم وصفتهم وأعمالهم إجمالاً ركن من أركان الإيمان، فمن أنكر وجودهم وكذّب بهم فقد كذّب بصريح القرآن قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي حديث جبريل المشهور: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٢).

فإنكار خلقهم وجحد وجودهم كفر بإجماع المسلمين، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وكذلك الحكم فيمن كذب بواحد منهم ممن ورد ذِكْره في كتاب الله تعالى: كجبريل أو ميكائيل عليهما السلام؛ لأن ذلك تكذيب بما ورد في القرآن الكريم.

ولهم صفات كثيرة منها:

١ ـ أنهم أُولو أجنحة وخلقة عظيمة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة برقم (٥٣١٤).

(٢) سبق تخريجه.

وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح»[١].

٢ ـ لهم قدرة على التشكُّل والتمثُّل بصورة البشر: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وفي الحديث: «بينما نحن جلوسٌ عند النبي ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سَوَاد الشَّعْر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد»[٢] وقد ذكر النبي ﷺ أنه جبريل عليه السلام.

٣ ـ أنهم أعداد كثيرة لا يحصيها إلا الله: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي الحديث: «**أطّت[٣] السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع منها إلا وفيه ملك قائم لله أو راكع أو ساجد**»[٤].

٤ ـ أنهم مفطورون على العبادة ومعصومون من المعصية: قال تعالى في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أعمالهم:

الملائكة لهم أعمال كثيرة، وخص الله بعضهم بمهمات وأعمال محددة ومن ذلك:

١ ـ جبريل عليه السلام: وهو الموكل بالوحي على الأنبياء، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة برقم (٢٩٩٣)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى برقم (٢٥٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) الأطيط: صوت الرَّحْل والإبل من أحمالها، الصِّحاح (ص١١١٥).
(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، عن رسول الله، باب: في قول النبي: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً**» برقم (٢٢٣٤).

٢ ـ ميكائيل عليه السلام: وهو الموكل بالقطر، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

٣ ـ إسرافيل عليه السلام: وهو الموكل بالصور والنفخ فيه، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، قال السعدي: «فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام أحد الملائكة المقربين».[1] وفي الحديث: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة**»[2]

٤ ـ ملك الموت عليه السلام: وهو الموكل بقبض الأرواح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

٥ ـ خزنة الجنة: وهم الوارد ذِكْرهم في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣].

٦ ـ خَزَنَةُ النار: وهم الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]، ومقدَّمهم مالك عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

٧ ـ حملة العرش: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال ﷺ: «**أُذِنَ لي أن أُحدِّث عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة**»[3].

الإيمان بالكتب

الكتب الإلهية هي ما أنـزله الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، إما مكتوبة في الألواح، أو مسموعة من الله تعالى من وراء حجاب، أو بواسطة الملك، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٢٩)

(٢) رواه أحمد في مسنده حديث رقم «٢٣١٨٨».

(٣) رواه أبو داود في سننه حديث كتاب السنة، باب: في الجهمية برقم: (٤١٠٢).

حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

معنى الإيمان بالكتب:

١ - الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ أنـزل كتبًا متعددة إلى رسله وقصَّ خبر عدد منها في كتابه العزيز، وأن هذه الكتب حملت لكل قوم نـزلت فيهم شريعة ومنهاجًا، لا تسعهم مخالفتها ولا الخروج عليها، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢ - الإيمان الجازم بما ذكر في الكتاب والسنة من الكتب السماوية حيث ورد في القرآن الكريم ذكر صحف إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩] وصحف موسى عليه السلام هي التوراة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ﴾ [المائدة: ٤٤]، وزبور داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، وإنجيل عيسى عليه السلام قال ﷻ: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

٣ - يجب الإيمان خصوصاً بالقرآن الكريم الذي أنـزله الله على خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ:

- فالقرآن الكريم تكَفَّل الله ﷻ بحفظه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وجعل ذلك مزية للقرآن حيث وقع التحريف في الكتب السابقة، قال سبحانه فيما وقع من بعض اليهود: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى فيما وقع من بعض النصارى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

- والقرآن هو الخاتم لكتب الله جميعًا والمهيمن عليها قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال ابن كثير: «جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنـزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، ولهذا جعله

شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها»[1].

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب الإلهية المنزلة من عند الله ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

فالمنكر إجمالاً أو تفصيلاً لواحد من الكتب الخمسة المذكورة في كتاب الله تعالى مكذب بالقرآن وصحيح السنة.

الإيمان بالرسل

الرسل والأنبياء صفوة الله من خلقه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، فالنبوة والرسالة اصطفاء واجتباء خصّ الله به من شاء من خلقه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

معنى الإيمان بالرسل:

١) الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى عبادًا اختصهم بوحْيه واصطفاهم برسالته، وهم على الدرجة العليا من الكمال البشري في صفاتهم وخلالهم وشمائلهم، منزّهين عن الفواحش والقبائح، مرسلين بالهدى ودين الحق، مؤيّدين بالبراهين والمعجزات الساطعة، صادقين ومعصومين فيما بلّغوا، ومصدَّقين فيما قالوا وبيّنوا.

٢) الاعتقاد الجازم والإيمان بمن ورد ذكرهم وخبرهم في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة من الأنبياء والمرسلين، والمذكورون في القرآن خمسة وعشرون، ورد ذكر طائفة منهم في آيات متتابعة، كما في قوله تعالى:

(١) تفسير ابن كثير (ص ٦٢٥).

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦].

ومن الرسل المذكورين في القرآن أولو العزم من الرسل: الذين ذكرهم الله بقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وأولو العزم هم أصحاب الجدّ والحزم والصبر وكمال العقل، وجميع الرسل يتصفون بذلك، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا خصهم في سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

٣) الاعتقاد الجازم بنبوة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ويجب الاعتقاد بما يلي:

- الاعتقاد الجازم أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»(١).
- الاعتقاد الجازم أنه مبعوث إلى الناس أجمعين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»(٢).
- الاعتقاد الجازم أنه مبعوث إلى الإنس والجن قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم الأنبياء والمرسلين برقم (٣٢٧٠). ومسلم، كتاب الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين برقم (٤٢٣٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٨١٢).

إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُوٓاْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

حكم الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يعتبر المسلم مسلمًا ولا مؤمنًا حتى يؤمن بالرسل إجمالاً وبمن سمّى الله منهم تفصيلاً، ولا يفرّق بين أحد منهم في الإيمان، فكلهم رسل الله، أَتَوْا بكلمة الله، فمن آمن بهم جميعًا فهو المؤمن، ومن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر بهم جميعًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر يشتمل على ما بعد الحياة الدنيا، فيدخل فيه كل ما ورد به الخبر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما يقع بعد الموت، وفيه حياة البرزخ وفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وفيه البعث والحشر والحساب ثم الثواب والعقاب والجنة والنار.

معنى الإيمان باليوم الآخر:

- الاعتقاد الجازم بفناء الحياة الدنيا وزوالها وموت سكانها وانفراط عقدها وإقبال الحياة الآخرة.
- الاعتقاد الجازم بما ثبت في القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة من علامات القيامة الصغرى والكبرى التي تكون في آخر الزمان بين يدي فناء الدنيا وقيام القيامة.
- الاعتقاد الجازم بالأخبار الغيبية عن الموت وما بعده، والبعث وصفته، والحشر وهوله، والحساب ودقته، والثواب وعظمته، والجنة ونعيمها، والعقاب وشدته، والنار وجحيمها.

حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي الحديث: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر**»[١].

اهتمام القرآن باليوم الآخر:

حظي اليوم الآخر باهتمام عظيم في آيات القرآن ومن صور ذلك:

١ ـ ربط الإيمان به بالإيمان بالله تعالى في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وغيرها من الآيات.

٢ ـ الإكثار من ذكره في الآيات، فالآيات كثيرة في ذكر الجنة ونعيمها والنار وعذابها، وكذلك في البعث والنشر والحساب، ومثل ذلك وصف أحداث آخر الدنيا وأهوال يوم القيامة، والأمثلة في هذا كثيرة معلومة.

٣ ـ كثرة الأسماء التي أُطلقت على اليوم الآخر في القرآن الكريم، ومنها:

ـ **يوم القيامة**: لأنه اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين، قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١].

ـ **يوم الدين**: لأنه يوم الجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤].

ـ **يوم البعث**: وفيه يبعث الناس من قبورهم أحياء، قال تعالى: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

ـ **يوم الجمع**: حيث يجمع الله فيه الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ [الشورى: ٧].

ـ **يوم الحساب**: وفيه يحاسب الناس بأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ

(١) سبق تخريجه.

إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

ـ **يوم الوعيد**: وفيه يتحقق وعد الله ووعيده قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق: ٢٠].

قال القرطبي: «كل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة»[(١)].

حكمة اهتمام القرآن باليوم الآخر:

١ ـ الأثر العظيم للإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم، ترغيباً وتوجيهاً إلى عمل الخير، وترهيباً وتجنيباً عن عمل الشر، واستصحاباً للتقوى في القلوب، والتعلق بالله في النفوس، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الطلاق: ٢]، وقوله: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [التوبة: ٤٤].

٢ ـ أثر الإيمان باليوم الآخر في تحقيق غاية الوجود البشري، فإن الله تعالى ما خلق الخلق هملاً، ولا تركهم سدى؛ بل خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية والتعظيم يفردوه، ثم يجازيهم بعد ذلك بحسب أعمالهم، وينصف المظلوم من ظالمه، ويقيم ميزان الحق والعدل، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

٣ ـ كثرة نسيان العباد له وغفلتهم عنه وانشغالهم بدنياهم وتعلقهم بها كأنما يعيشون فيها أبداً، مما يستدعي كثرة التذكير بحقيقة الدنيا وفنائها، وذكر الآخرة وخلودها وبقائها.

٤ ـ إنكار الكافرين واستبعادهم وتعجبهم من البعث بعد الموت، وعدم تصورهم الحياة الأخرى، ومن ثم جاءت آيات القرآن كثيرة في إثبات حقيقة

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (ص٢٦٠).

البعث واليوم الآخر، كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٢ - ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩﴾ [الأنعام: ٢٩].

الإيمان بالقدر خيره وشره

المعنى العام للقدر هو: «أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين»(١).

والإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بالقضاء؛ ولذا يجب الإيمان بالقضاء والقدر، والمعنى العام للقضاء هو: الخلق والإنفاذ بموجب التقدير السابق.

ولمزيد من الإيضاح نورد معنى كل من القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

القضاء لغة: الإحكام والإنفاذ ومنه قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي: أحكم خلقهن وأنفذه، ومنه سمي القاضي قاضياً لأنه يحكم الأحكام وينفذها.

ويرد بمعنى الصُّنع والحكم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢] أي: اصنع واحكم.

ومرجع معناه إلى انقطاع الشيء وتمامه، فكل ما أحكم عمله، أو ختم أو أنفذ فقد قضي، وعلى هذا فإن معنى القضاء: إتمام الشيء وإحكامه وإنفاذه، قولاً كان أو فعلاً أو إرادة، ففي القول مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي الفعل مثل قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، وفي الإرادة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

القدر لغة: مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، والقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا أي: مبلغه.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١٨/١).

والمعنى الاصطلاحي للقدر: تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته، أو «هو التقدير وما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد»[(١)].

والقضاء والقدر متلازمان، لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلةَ الأساس والآخر بمنزلة البناء، والفصل بينهما يهدم البناء وينقضه، فالقدر: علم الله تعالى المحيط والشامل لما تكون عليه المخلوقات في المستقبل، والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شكٌّ أن الله تعالى علم علمًا محيطًا شاملاً لكل شيء كان وسيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه تعالى كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، وقبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وأن مشيئته تعالى نافذة وقدرته كاملة، لا يكون في ملكه وكَوْنه إلا ما أراد، وأنه تعالى خالق الخلق أجمعين، وخالق قُدْرتهم وأعمالهم، فهو وَحْده الخالق وما سواه مخلوق، وهو وحده الرب، وما سواه مَرْبوب.

وأن كل ما يجري في الكون عموماً، ولكل إنسان خصوصاً فهو مما سبق به علم الله وجرى به قدره ونفذ به قضاؤه، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن كل إنسان قد كتب الله له رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد عند نفخ الروح فيه وهو في بطن أمه.

قال الطحاوي: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب لأمره»[(٢)].

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد الحمد (ص: ١٩ ـ ٢٠) نقلاً من رسائل في العقيدة للشيخ محمد العثيمين.

(٢) العقيدة الطحاوية (ص٧).

ويستخلص مما سبق أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي:

الأول: الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.

الثاني: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالث: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الرابع: إيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق»[1].

حكم الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر الركن السادس من أركان الإيمان، فالإيمان به واجب والمكذّب بالقدر جملة كافر.

ومن الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر جملة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله ﷺ: **«وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[2]، وقوله ﷺ: **«وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قدّر الله وما شاء فعل»**[3].

● ● ●

(١) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين (ص: ١١١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله برقم: (٤٨١٦).

خلاصة الوحدة الأولى

تعريف العقيدة لغة واصطلاحًا:

العقيدة لغة: فعيلة ـ بمعنى مفعولة ـ أي: معقودة فهى مأخوذة من العقد وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق.

والعقيدة الإسلامية اصطلاحًا: الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين.

أسماء علم العقيدة:

١ ـ التوحيد:

وهو: إفراد الله بالعبادة حسب ما شرع وأحب، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له ولا مثيل له في ذلك كله.

٢ ـ الإيمان:

وهو: اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٣ ـ أصول الدين:

تعريف الدين في الاصطلاح الإسلامي: هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله.

أركان الإيمان:

١ ـ الإيمان بالله:

ويتضمن الاعتقاد الجازم والتصديق الكامل بوجوده تعالى، وأنه واحد لا شريك له في ذاته، وأنه وحده المنفرد بصفات الربوبيه والألوهية، والمتّصف

بصفات الجلال والكمال، والمنـزّه عن النقص بكل حال.

والإيمان بالله تعالى يشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أولاً: توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد بأنه سبحانه وتعالى هو وحده رب كل شيء ومليكه، فربوبيته هي الاعتقاد بأنه وحده مالك الملك، وخالق الخلق، وواهب الرزق، ومدبر الأمر.

ولتوحيد الربوبية أهمية خاصة في تأسيس توحيد الألوهية على قاعدة راسخة صحيحة من الإيمان بربوبيته تعالى دون شريك.

وآيات القرآن تترى في الجمع بين الإيمان بالربوبية والألوهية فمن رسخ يقينه بانفراده تعالى بصفات الربوبيه توجه إليه بالعبادة والدعاء، وقد أقام السياق القرآني الكريم من عجز الآلهة المزعومة عن الخلق والرزق والتدبير دليلاً على بطلان عبادتها من دون الله.

ثانيًا: توحيد الألوهية:

هو اعتقاد تفرُّده تعالى باستحقاق العبادة قولاً وفعلاً وقصدًا والبراءة من كل معبود سواه.

ومما يجلي أهمية توحيد الألوهية ويظهر منـزلته العظيمة معرفة أن:

١ ـ **توحيد الألوهية**: هو غاية خلق العالمين.

٢ ـ **توحيد الألوهية**: هو دعوة الرسل أجمعين.

٣ ـ **توحيد الألوهية**: هو حق الله على خلقه أجمعين.

٤ ـ **توحيد الألوهية**: هو أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين.

٥ ـ **توحيد الألوهية**: هو سبب العصمة في الدنيا.

٦ ـ **توحيد الألوهية**: هو سبب النجاة في الآخرة.

٧ ـ **توحيد الألوهية**: هو شرط لصحة وقبول سائر العبادات.

ثالثًا: توحيد أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى:

والإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العُلى يعني:

١ ـ الاعتقاد الجازم بأنه تعالى متّصف بجميع صفات الكمال، ومنزّه عن جميع صفات النقص.

٢ ـ الاعتقاد الجازم بتفرُّده سبحانه وتعالى عن جميع الكائنات والمخلوقات في أسمائه وصفاته.

٣ ـ إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

٤ ـ الاعتقاد الجازم بالعجز التام عن إدراك حقيقة ذات الله وكيفيه صفاته، وعلى هذا اتفقت كلمة الأئمة وأعلام الأمة.

٢ ـ الإيمان بالملائكة:

ويتضمن الاعتقاد الجازم بوجودهم إجمالاً، وبما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من صفاتهم وأعمالهم تفصيلاً، والإيمان بمن ورد ذكر اسمه وعمله منهم على وجه الخصوص كجبريل أمين الوحي، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف.

حكم الإيمان بهم وحكم من أنكر وجودهم:

الإيمان بوجودهم وصفتهم وأعمالهم إجمالاً ركن من أركان الإيمان، فمن أنكر وجودهم وكذب بهم فقد كذب بصريح القرآن، فإنكار خلقهم وجحْد وجودهم كفر بإجماع المسلمين.

ولهم صفات كثيرة منها:

١ ـ أنهم أولو أجنحة وخلقة عظيمة.

٢ ـ لهم قدرة على التشكل والتمثل بصورة البشر.

٣ ـ أنهم أعداد كثيرة لا يحصيها إلا الله.

٤ ـ أنهم مفطورون على العبادة ومعصومون.

ولهم أعمال كثيرة، ومهمات محددة، ومن ذلك:

١ ـ جبريل عليه السلام: وهو الموكل بالوحي.

٢ ـ ميكائيل عليه السلام: وهو الموكل بالقطر.

٣ ـ إسرافيل عليه السلام: وهو الموكل بالصُّور.

٤ ـ ملك الموت عليه السلام: وهو الموكل بقبض الأرواح.

٥ ـ خزنة الجنة: وهم القائمون عليها.

٦ ـ حملة العرش: وهم الحاملون للعرش.

٣ ـ الإيمان بالكتب:

ويتضمن الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ أنـزل كتبًا متعددة إلى رسله، وقصّ خبر عدد منها في كتابه العزيز، وأن الله تعالى ذكر بعضها في القرآن الكريم تفصيلاً، وأن القرآن الكريم هو خاتمها والمهيمن عليها.

حكم الإيمان بالكتب:

هو ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به، فالمنكر إجمالاً أو تفصيلاً لواحد من الكتب الخمسة المذكورة في كتاب الله تعالى مكذّبٌ بالقرآن وكافر بالرحمن.

٤ ـ الإيمان بالرسل:

ويتضمن الاعتقاد الجازم بأن لله تعالى عبادًا اختصهم بوحيه واصطفاهم برسالته، والإيمان بمن ورد ذكرهم وخبرهم في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، والاعتقاد الجازم بنبوة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه مبعوث إلى الناس أجمعين، وبعثته إلى الإنس والجن، وأن الله فضّله على إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

حكم الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يعتبر المسلم

مسلمًا حتى يؤمن بالرسل إجمالاً، وبمن سمى الله منهم تفصيلاً، ولا يفرق بين أحد منهم في الإيمان، ومن آمن ببعضهم وكفر ببعض فهو كافر بهم جميعًا.

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر:

هو الاعتقاد الجازم بفناء الحياة الدنيا وزوالها، والاعتقاد الجازم بما ثبت في القرآن الكريم وصحيح السنة مما يقع بعد الموت، من القبر وفتنته، والبعث والحشر والحساب ثم الثواب والعقاب، والاعتقاد الجازم بالأخبار الغيبيّة.

حكم الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، فمن كذب به كفر.

٦ ـ الإيمان بالقدر خيره وشره:

ويتضمن الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شكٌّ أن الله تعالى علم علمًا محيطًا شاملاً لكل شيء، وأن مشيئته تعالى نافذة، وقدرته كاملة، وأنه تعالى خالق العباد وخالق أفعالهم.

ونستخلص مما سبق أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي:

الأول: الإيمان بعلم الله السابق.

الثاني: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالث: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.

الرابع: إيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وما سواه مخلوق.

حكم الإيمان بالقدر: الإيمان به واجب، والمكذّبُ به جملة كافر.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الأولى

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ ينحصر معنى العقيدة الإسلامية في الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته.

٢ ـ التوحيد هو إفراد الله بالعبادة حسب ما شرع وأحب، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله.

٣ ـ الإيمان هو الاعتقاد القلبي فقط، وهو يزيد وينقص.

٤ ـ من الأدلة الدامغة على فساد فطرة بعض البشر أن لغاتهم خالية من اسم الله تعالى.

٥ ـ مشركو العرب كانوا لا يقرون مجملاً بالخلق والرزق والتدبير لله تعالى.

٦ ـ لا يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة راسخة صحيحة من الإيمان بربوبيته تعالى.

٧ ـ توحيد الألوهية هو اعتقاد تفرُّده تعالى باستحقاق العبادة قولاً وفعلاً وقصدًا.

٨ ـ توحيد الألوهية هو سبب العصمة في الدنيا والنجاة يوم القيامة.

٩ ـ الملائكة والجن من مخلوقات الله، خلقهم جميعًا من نار.

١٠ ـ من وصف الملائكة بأنهم ذوو أجنحة فقد أخطأ.

١١ ـ من كفر بكتاب إلهي مما ذكر في القرآن يعد مكذبًا بالقرآن.

١٢ ـ من الأسماء التي أُطلقت على اليوم الآخر في القرآن الكريم يوم الزينة.

١٣ ـ القدر: هو إتمام الشيء وإنفاذه قولاً كان أو فعلاً أو إرادة.

١٤ ـ القضاء: هو إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته.

١٥ ـ الإيمان بالقدر واجب، والمكذب به جملة مبتدع.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

١ ـ يطلق الدين في اللغة على:

أ ـ الطاعة والانقياد والذل.

ب ـ البطش والذعر والخوف.

ج ـ الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

٢ ـ خاطب الله العقول الراشدة بالأدلة المثبتة لوجوده، مع جلاء ذلك في الفِطَر السليمة:

أ ـ ليثبت فطرية الإيمان.

ب ـ ليقيم الحجة على المعاندين.

ج ـ لتأكيده أن العقل هو مصدر التلقي الوحيد عن الله.

٣ ـ أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين هو توحيد:

أ ـ الربوبية.

ب ـ الألوهية.

ج ـ الأسماء والصفات.

٤ ـ الملائكة لهم أعمال كثيرة، وخُص بعضهم بأعمال محددة كميكائيل فهو موكل:

أ ـ بالوحي لبعض الأنبياء السابقين.

ب ـ بالقطر من السماء.

ج ـ بالنفخ في الصور.

٥ ـ أيُّ الكتب السماوية التالية نـزل على داود عليه السلام:

أ ـ الصحف.

ب ـ التوراة.

ج ـ الزبور.

٦ ـ يجب الاعتقاد الجازم بأن الله أرسل نبيه محمدًا ﷺ إلى الثقلين:

أ ـ الجن والملائكة.

ب ـ الإنس والجن.

ج ـ الإنس والملائكة.

٧ ـ أولو العزم من الرسل هم:

أ ـ الذين زادهم الله بسطة في العلم والجسم.

ب ـ أصحاب الجد والصبر والحزم.

ج ـ الذين اختصهم الله بإنـزال الكتب عليهم.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ أطلق أهل العلم على علم العقيدة ألقابًا عديدة لتمييزه عن غيره، تحدث عنها بإيجاز، مع تعريف كل منها.

٢ ـ في ضوء دراستك اذكر ما يجلِّي أهمية توحيد الألوهية ويظهر منـزلته العالية.

٣ ـ أخبرنا الله تعالى في كتابه عن بعض صفات الملائكة، اذكرها مع بيان الدليل.

٤ ـ اهتم القرآن الكريم باليوم الآخر وأفرد له مساحات واسعة من سوره وآياته، أذكر الحكمة من ذلك.

٥ ـ القضاء والقدر متلازمان، وضّح هذه العبارة في ضوء ما درست.

٦ ـ الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب اذكرها، مع بيان حكم الإيمان بالقدر ودليله.

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

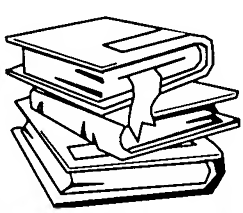
١ ـ اكتب بحثاً في بيان معاني التوحيد الثلاثة والصلة بينها مبرزاً الترابط والتكامل بينها.

٢ ـ اعقد مع زملائك ندوة للمناقشة حول آثار الإيمان بالملائكة والإيمان باليوم الآخر في حياة المسلم.

● ● ●

الوحدة الثانية

خصائص العقيدة الإسلامية



الوحدة الثانية

خصائص العقيدة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

إن العقيدة الإسلامية تتميز بخصائص فريدة، تدهش العقول، وتلفت الأنظار.

فهي عقيدة تجاري الفطرة وتوافقها.

وهي عقيدة تخاطب العقل وتحترمه.

وهي عقيدة سهلة يفهمها العالم والعامي.

وهي عقيدة صحيحة ثابتة لا يعتريها خلل، ولا يتطرق إليها زلل.

وهي عقيدة شمولية تشمل أمر الدنيا والآخرة.

وهي عقيدة تقوم على الوسطية، وتنأى عن الغلو والجفاء.

وهي عقيدة قبل ذلك وبعده ربانية المصدر.

والتعرف على ملامح العقيدة وخصائصها يشير إلى مكامن الخير والصلاح، ومواطن الفخر والاعتزاز، ويعصم الفكر من الوهم الطارئ والشبهات العارضة.

فهلمَّ عزيزي الدارس، لتتعرف على خصائص العقيدة الإسلامية.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تحدد خصائص العقيدة الإسلامية إجمالاً.

٢ ـ تشرح معنى كون العقيدة الإسلامية عقيدة ثابتة.

٣ ـ تبرهن على أن العقيدة الإسلامية عقيدة فطرية.

٤ ـ تذكر معنى كون العقيدة الإسلامية عقيدة مبرهنة.

٥ ـ توضح أهمية العقل ومكانته من العقيدة.

٦ ـ تبين وضوح العقيدة الإسلامية وبعدها عن الغموض.

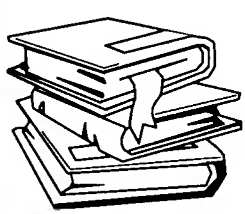
٧ ـ تبرز مظاهر وصور وسطية هذه العقيدة.

● ● ●

الوحدة الثانية

خصائص العقيدة الإسلامية

- عقيدة ثابتة.
- عقيدة فطرية.
- عقيدة مبرهنة.
- عقيدة واضحة.
- عقيدة وسطية.



الوحدة الثانية

خصائص العقيدة الإسلامية

١ ـ عقيدة ثابتة:

العقيدة الإسلامية ثابتة لا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبديل، فهي محفوظة بحفظ الله لها في مصادرها الأصلية، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فالزيادة على ما ثبت في الكتاب والسنة شرك؛ قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] فكل زيادة مردودة على صاحبها لقول المصطفى ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»[1]، وثباتها لأنها ربانية المصدر ليست من البشر واجتهاداتهم في شيء.

إن الإيمان عقيدة صحيحة، والإسلام شريعة صحيحة، والمرجع الأوثق والمصدر الأثبت للعقيدة والشريعة مشكاة الوحي قرآناً وسنة، فلا شيء يقدم عليهما، وكما أن العقيدة هي عقيدة التوحيد، فإنه يجب أيضًا توحيد مصدر تلقِّي العقيدة وذلك بتجريده عن كل شائبة من ضلالات الأهواء، وفلسفات العقول، ومبتدعات السلوك، وأباطيل الأقوال.

والاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة والدين بفهم الصحابة المرضيِّين، والثقات الأثبات من علماء خير القرون ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين، والتعويل على إجماعهم واتّفاقهم في هذا الباب، فهُمْ أعمق علمًا بمعانيها، وأدقّ فهمًا لمراميها، وأقل تكلُّفًا في العمل بما فيها، وأبعد عن الخلاف والافتراق في

(١) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٤٩٩)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة برقم (٣٢٤٢).

أصولها وقواعدها، فما أجمعوا عليه فهو الحقّ، وما اختلفوا فيه فإن الحق لا يجاوز أقوالهم.

ومن دلائل ربانية العقيدة الإسلامية، ومؤيداتها ما يلي:

أولاً: تواتر النصوص الدالة على المرجعية العليا الثابتة للكتاب والسنة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال عطاء: «طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة»[(١)].

وقال ابن القيم: «روى أبو داود في مراسيله عن النبي ﷺ أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة فقال: **«كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابًا غير كتابهم الذي أنزل على نبيهم»**[(٢)]؛ فأنزل الله ﷻ تصديق ذلك: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منزل على غير النبي، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدّمه على كلام الله ورسوله»[(٣)].

ثانيًا: ثبوت كمال الدين وتمام تبليغ الرسالة:

فالرسول ﷺ قد أوقف أمته على أصول ومسائل العقيدة، وبلغ المسلمين جميع شرائع وأحكام الدين، وهذا المعنى من ضرورات إكمال الدين الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ إذ العقيدة هي أهمّ ما في الدين.

ونقل ابن تيمية في هذا الشأن عن الخطابي قوله في تبليغ الرسول ﷺ للرسالة: «لم يترك شيئًا من أمور الدين؛ قواعده وأصوله، وشرائعه وفصوله، إلا بيّنه وبلّغه، على كماله وتمامه، ولم يؤخّر بيانه عن وقت الحاجة إليه»[(٤)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٧/١)، وتفسير الطبري (١٤٧/٥).

(٢) المراسيل لأبي داود (٤٥٤) عن يحيى بن جعدة. وراجع أثر ابن عباس في النهي عن سؤال أهل الكتاب، رواه البخاري (٢٦٨٥).

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم (ص١٧٩ ـ ١٨١).

(٤) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٢٩٥/٧)

ثالثًا: حرمة القول على الله بلا علم:

لقد حرَّم الله تعالى الكلام بلا علم مطلقًا، وخصَّ القول عليه بلا علم بالنهي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

والكلام في العقيدة في الله وأسمائه وصفاته وأفعاله والأمور الغيبية لا يمكن أن يكون صحيحًا إلا بعلم من كتاب أو سنّة صحيحة، والامتناع عن التقديم بين يدي الله ورسوله باعتقاد أو خبر، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

ومن ثمرات هذه العقيدة الربانية التعظيم والتسليم لنصوص الوحيين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

من هذه الربانية تسلم العقيدة الإسلامية من التحريف والعبث، ويعتصم أهلها من الزّلل والاضطراب والافتراق، ويجتمعون على اتباع الصراط المستقيم.

٢ ـ عقيدة فطرية:

الله جل وعلا خالق الإنسان: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٣ ـ ٤]، وهو العالم به وبما يصلحه ويناسبه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]، والعقيدة الإسلامية مصدرها من الله تعالى وهو خالق الإنسان ومن ثم كانت العقيدة الإسلامية عقيدة متّفقة مع الفطرة السوية التي خلق الله تعالى الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، قال ابن كثير: «فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره»[١].

وفي الصحيحين: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبَوَاه يهوّدانه أو ينصّرانه أو**

---

(١) تفسير ابن كثير (ص: ١٤٥٢).

يمجّسانه»[1]، والفطرة في الحديث هي الإسلام، وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال مخبراً عن الله ﷻ: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت، لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنـزل به سلطانًا»**[2]، قال النووي: «قوله تعالى: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم**» أي: مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية. وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذرّ، وقال سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]»[3].

والفطرة السوية تهدي العبد إلى أصول التوحيد والإيمان، فالإيمان فطري، لا يحتاج العبد في تحصيل أصله إلى استدلال أو برهان، فضلاً عن أن يشك ويخرج من ثوب اليقين والإذعان، «والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]»[4]، «والإقرار والاعتراف بالخالق فطريٌّ ضروريٌّ في نفوس الناس»[5].

والفطرة تدل على اتصاف الخالق بالصفات العُلى والكمال المطلق، فهي تدرك أن من يخلق لا يكون كمن لا يخلق، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧].

والفطرة تهتدي إلى تفرُّده تعالى بالألوهية وإن غشيتها غاشية الإلحاد، فأفسدت فطرتها وحرّفتها عن مقتضى إقرارها بخالقها، ويظهر ذلك في أوقات الشدة والمحنة، فإن القلب يفزع إلى خالقه، ويلجأ إلى بارئه، عند حلول الحوادث العظام والخطوب الجِسام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة برقم (٥١٠٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٩٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/٣٨).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦/٣٢٨).

والجارية عندما سألها النبي ﷺ: «**أين الله**»؟ قالت: «في السماء» فجاء جوابها فطرياً بدهياً من غير تكلف ولا تشكك، ولا إلزام بدليل وبرهان معين، قال النووي: «فِيهِ: دلِيل على أن من أقر بِالشهادَتَيْنِ، وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ جَزْمًا كَفَاهُ ذَلِكَ فِي صِحَّة إِيمَانه، وَكَوْنه مِنْ أَهْل الْقِبْلَة وَالْجَنَّة، وَلَا يُكَلَّف مَعَ هَذَا إِقَامَة الدَّلِيل وَالْبُرْهَان عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَلْزَمهُ مَعْرِفَة الدَّلِيل، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُور»[1].

فهذه هي الفطرة السليمة تخفق فيها القلوب بأصل التوحيد اعتقاداً بوجود الخالق وعظمته، وتتعلق فيها النفوس بحقيقة أصل الألوهية إذ هي تخاف بطش الله ونقمته، كما أنها في الضراء تلجأ إليه وتلتمس عونه ونصرته.

٣ ـ عقيدة مبرهنة:

مما اختصت به العقيدة الإسلامية الصحيحة أنها لا يخالفها عقل صريح، ولا يناقضها برهان قاطع، بل هي عقيدة الدليل والبرهان والله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

فالقرآن قرر حقائق العقيدة الكبرى بالحجج العقلية، والأدلة الكونية، وجادل المنكرين للبعث، وواجه المعددين للآلهة، وذلك كله بما يقنع العقل بثبوت صحة ما تدل عليه العقيدة الإسلامية.

ومن مظاهر أهمية العقل والحجة في العقيدة الإسلامية نتخيَّر ما يلي:

ـ بيان أهمية العقل ومكانة أصحابه:

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨].

وفي الحديث: «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[2]، قال النوويّ: «ولا يختصّ هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٤/٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول برقم (٦٥٥).

والقضاء، والذكر، ومواقف القتال، وإمامة الصلاة، والتدريس والإفتاء، وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس منها على مراتبهم في العلم، والعقل، والشرف، والسن، والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك»[1]، وقال عمر رضي الله عنه: «حَسَبُ الرجل دينه، ومُروءتُه خُلُقه، وأصله عقله»[2]، وقال مطرّف: «ما أوتي أحد من الناس أفضل من العقل»[3].

- ذم التقليد الأعمى:

التقليد حجاب العقل وهو تعطيل لقدراته، بل هو إلغاء لوجوده، لأنه يدعو إلى الموافقة من غير قناعة، والمتابعة من غير حجة، والمهم هو ما كان عليه المتقدمون وإن خالف العقل، قال تعالى ناعيًا على المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]، قال القرطبي: «قال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد»[4].

- إقامة الحجج العقلية على المسائل العقدية:

الخطاب القرآني والنبوي كما يوجه للقلب والوجدان، وكما يخاطب العواطف والمشاعر فهو يخاطب العقول بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، قال ابن كثير في تفسيره: «هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا بل الله هو الذي خلقهم، وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً»[5]، وتأمل هذا الإلزام بالإقرار بربوبية الله وألوهيته فيما

---

(١) شرح النووي (٤/١٥٥).

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٩٤٣).

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٩٤٢).

(٤) تفسير القرطبي (١/٣٢٥)، ومحل هذا إذا كان المقلّد غير جازم المعتقد.

(٥) تفسير ابن كثير (ص ١٧٧٣).

ذكره السعدي في تفسيره حيث قال: «وهذا الاستدلال عليهم بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك أنهم منكرون لتوحيد الله مكذبون لرسوله وذلك مُستلزم لإنكارهم أن الله خلقهم وقد تقرر في العقل مع الشرع أن ذلك لا يخلو من ثلاثة أمور: إما أنهم خُلقوا من غير شيء، أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد وهذا عين المحال، أم هم الخالقون لأنفسهم وهذا أيضاً محال، فإنه لا يتصور أن يوجد أحد نفسه، فإذا بطل هذان الأمران وبان استحالتهما تعين القسم الثالث، وهو أن الله هو الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، عُلم أن الله هو المعبود وحده الذي لا تنبغي العبادة وتصلح إلا له تعالى»[1].

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩]، قال القرطبي: «جوابه من نفسه حاضر... وفي هذا دليل على صحة القياس لأن الله احتج على منكري البعث بالنشأة الأولى»[2]، والأمثلة كثيرة فما أعظم هذه العقيدة التي تقوم على البيان وتقدم للعقل البرهان، وتجعل له حدوده التي ينتفع فيها بما أودعه الله فيه من قدرة على التفكير، وتمنعه مما فيه زيغه وضلاله من الخوض في أمور الغيب وذلك سيأتي حديث عنه في مسألة العقل والنقل.

٤ ـ عقيدة واضحة:

العقيدة الإسلامية واضحة لا غموض فيها، سهلة لا عُسْر فيها، فهي قائمة على التوحيد وهو أظهر وأسهل فالله واحد والرسول الخاتم واحد والكتاب وهو القرآن الكريم واحد، فلا تعدد ولا تشتت، ولا لبس ولا استغلاق.

ففي الإيمان بالله تتلخص العقيدة في ذات الله تعالى بإثبات وجوده، وأن لهذا الكون البديع المتقن ربًا واحدًا خلقه وأتقنه، وقدَّر كلَّ شيءٍ فيه، وهذا الإله ليس له شريكٌ ولا شبيهٌ ولا صاحبةٌ ولا ولد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

---

(١) تفسير السعدي (ص٨١٦).

(٢) تفسير القرطبي (٥٦٨/٢).

[الإخلاص]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فأين من هذا الوضوح ما وقع من التحريف في النصرانية في مسألة التثليث بدل التوحيد، وكيف يمكن فهم الثلاثة واحداً، والواحد ثلاثة؟.

وعقيدة الإسلام في ذات النبي ﷺ واضحةٌ نـيِّرةٌ ليس فيها غموض ولا التواء، ولا تهاويل ولا ادعاء، فهو ﷺ بشر اصطفاه الله تعالي، وخصّه بالوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

فهو ليس مَلَكًا، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطْلعه الله سبحانه عليه، وليس له من الأمر شيء، وإنما هو مبلِّغٌ عن ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ [الأحقاف: ٩].

وقضية النبوة والرسالة في عقل المسلم وشعوره واضحة تمامًا متميزةٌ عن قضية الربوبية والإلهية، فالرسل ليسوا آلهة ولا أبناء آلهة، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

فأين هذا الوضوح مما جاء في النصرانية ـ بعد التحريف ـ حول شخصية المسيح ﵇، فمرة هو الله، وأخرى هو ابن الله، وهو كذلك رسول الله، وغير ذلك من التعارض والغموض والتعقيد؟ وأين من هذا الوضوح ما أحيط به قصص بعض الأنبياء في العهد القديم من مزاعم وادعاءات وأساطير وخرافات؟

ومما يناسب هذا الوضوح أن العقل بطبيعته يهدف إلى الترابط والوحدة وراء التنوع والكثرة، ويريد أن يُرجع الأشياء إلى سبب واحد، وهذا من ميادين العقل حيث يحلل الظواهر ويبحث في القضايا ليربط بينها ويوجد أسبابها، والعقيدة الإسلامية تتطابق مع ذلك فمن وضوحها التوحيد في الخلق إذ كل المخلوقات خالقها الله، بينما في الوثنيات والضلالات الأخرى تثبت إلهين أحدهما للخير والآخر للشر، أو أحدهما للظلمة والآخر للنور، والعقيدة كذلك توحد مصدر التلقي في الوحي كتاباً وسنة، فالأمر والنهي منهما، والطاعة والاستجابة لهما، والرجوع والتحاكم إليهما، دون أن يكون هناك تعقيد وتداخل وبين الله ذلك بمثل ضربه بقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩]،

فهذا مثل ضربه الله في شأن عبد يملكه شركاء بينهم اختلاف ونـزاع، وعبد يملكه رجل واحد لا شريك له، قال ابن كثير: «لا يستوي هذا وهذا، وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا؟»[(١)].

ومن مظاهر الوضوح تقرير السماحة واليسر وإنكار الغُلُوّ والعسر، وقد وردت النصوص بالنهي عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولاً وفروعًا، وقد ترجم البخاري في صحيحه: باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»[(٢)].

كما وردت النصوص بترك التكلف علمًا وعملاً، قال ابن مسعود: «من علم فليقُلْ، ومن لم يعلم فليقُلْ: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]»[(٣)].

وقال عمر رضي الله عنه: «نهينا عن التكلُّف»[(٤)]. وهو عامٌّ يشمل كل أمر.

ومن مظاهر الوضوح فطرية العقيدة التي سبق إيضاحها فلا تحتاج أصول الاعتقاد إلى متخصصين أو علماء بل يفهمها ويؤمن بها كل أحد من عالم ومتعلم وعاميٍّ، وصغير وكبير، ورجل وامرأة.

٥ ـ عقيدة وسطية:

الوسطية تعني التوازن بين الأمور المتقابلة والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية، وأمة الإسلام أمة الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسطية من أظهر خصائص العقيدة الإسلامية، «والصُّور التي تأتي شاهدًا على ذلك تعزُّ على الحَصْر، فإنّ كل ما في

---

(١) تفسير ابن كثير (ص١٦١٩ ـ ١٦٢٠).

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب: الدين يسر برقم (١/٢٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ برقم (٤٤٣٥). ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان برقم (٥٠٠٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال برقم (٦٧٤٩).

العقيدة الإسلامية ناطقٌ بهذا التوازن الدقيق؛ ومن ذلك:

«التوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل، وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية»[1].

وهذه نماذج من الوسطية فيها شيء من التفصيل ليست للحصر بل مجرد التمثيل:

الوسطية في أصل العقيدة والتوحيد وهو الإيمان بالله تعالى، فعقيدة الإسلام وسط في إثبات الألوهية بين المنكرين الجاحدين لوجوده، وبين الذين عددوا فجعلوا الإله آلهة وليس إلهاً واحداً، وقال الله عنهم في وصف استنكارهم لتوحيد الإله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥].

ووسط في صفات الله بين التعطيل والتجسيم، أي: بين من نفوْا عنه الصفات مطلقاً، وبين من بالغوا في إثباتها وبلغوا حد التجسيم وتشبيه الخالق بالمخلوقين، فعقيدة الإسلام تثبت الصفات لله تعالى وتنفي التجسيم والتشبيه، وتمنع ذلك بالتعظيم والتنزيه، وعقيدة الإسلام في هذا وسط بين ما وقع به التحريف في اليهودية والنصرانية.

قال ابن تيمية: «إن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة؛ فالمسلمون في صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبّهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق وهي صفات النقص فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح، وبين النصارى الذين شبّهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق فقالوا: هو الله، والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص، ونزهوه أن يكون شيء كفؤًا له في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وكذلك هم في الأنبياء وسطٌ، فإن اليهود كما قال تعالى فيهم:

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص (٣٩٢، ٣٩٣).

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وكذلك كانوا يقتلون الأنبياء، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارى غلوْا فأشركوا بهم من هو دونهم، قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة: ٣١]، والمسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرّقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرضٌ واجبٌ، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم»[(١)].

فالمسلمون يؤمنون بهم ويوقرونهم ويعرفون حقهم، ولا يقولون فيهم ما لا يليق بهم، وهم مع ذلك لا يعبدونهم، ولا يغلون فيهم، وفي الوقت نفسه يقرون مع بشريتهم بنبوتهم فلا يجردونهم من البشرية ولا يجعلون البشرية عادية كغيرهم من البشر بل يجعلون النبوة مزية لها خصائصها المعروفة.

ووسطية أخرى في العلاقة بالعقائد الأخرى، فقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، أصل قرآني معتمد، وفي الوقت نفسه لا تهاون ولا تلاعب بالدين؛ لقوله ﷺ فيمن يحل قتله: «**التارك لدينه المفارق للجماعة**»، فعقيدة الإسلام لا تقبل الذوبان في غيرها بل تدعو في قوة إلى الثبات عليها والاستمساك بها قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣﴾ [الزخرف: ٤٣] لكنها لا تقبض يد البر والمعونة لمن يخالفها ولا يعتدي على أهلها، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

وهي وسطية بين البراءة من الكفار وعدم موالاتهم إذا أظهروا عداوتهم وكانوا معتدين، وبين السماحة وإقامة العدل في التعامل معهم، ففي الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥٧]. وفي الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) الرسالة الصفدية، لابن تيمية (٢/٣١٠ ـ ٣١٢).

ووسط بين الرهبانية المنقطعة عن الدنيا، والشهوانية الغافلة عن الآخرة ففي الأولى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وفي الثانية: يقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

والخلاصة: أن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل[١].

● ● ●

(١) المصدر السابق (٢/٣١٠).

خلاصة الوحدة الثانية

من خصائص العقيدة ما يلي:

١ ـ عقيدة ثابتة:

فلا تقبل الزيادة ولا النقصان، ولا التحريف ولا التبديل، محفوظةٌ بحفظ الله لها، وكل زيادة مردودةٌ على صاحبها ومرد ذلك أنها عقيدة ربانية لأن المرجع الأوثق والمصدر الأثبت للعقيدة والشريعة مشكاة الوحى قرآنًا وسنة، بفهم الصحابة المرضيين، والثقات الأثبات من علماء خير القرون.

٢ ـ عقيدة فطرية:

العقيدة الإسلامية عقيدة متفقة مع الفطرة السوية التي خلق الله تعالى الناس عليها، والفطرة السوية تهدي العبد إلى أصول التوحيد والإيمان، فالإيمان فطري لا يحتاج العبد في تحصيل أصله إلى استدلال أو برهان، والفطرة تدل على اتصاف الخالق بالصفات العلا والكمال المطلق.

٣ ـ عقيدة مبرهنة:

فلا يخالفها عقل صريح ولا يناقضها برهان قاطع، فالقرآن قرر حقائق العقيدة الكبرى بالحجج العقلية، ولقد عنيت العقيدة الإسلامية ببيان أهمية العقل وبمكانة أصحابه، وذم التقليد الأعمى وتحريمه، وإقامة الحجج العقلية على المسائل العقدية.

٤ ـ عقيدة واضحة:

إن العقيدة الإسلامية واضحة لا غموض فيها، سهلة لا عسر فيها، فهي قائمة على التوحيد، فالله واحد والرسول الخاتم واحد، والكتاب الكريم واحد، فلا تعدد ولا تشتت ولا لبس ولا استغلاق.

وقضية النبوة والرسالة في عقل المسلم وشعوره واضحة تمامًا متميزة عن قضية الربوبية والألوهية، فالرسل ليسوا آلهة ولا أبناء آلهة.

ومن مظاهر الوضوح تقرير السماحة واليسر، وإنكار الغلو والعسر، كما وردت النصوص بترك التكلف علمًا وعملاً.

٥ ـ عقيدة وسطية:

الوسطية من أظهر خصائص العقيدة الإسلامية، والصور التي تأتي شاهدًا على ذلك تعز على الحصر، فإن كل ما في العقيدة الإسلامية ناطق بهذا التوازن الدقيق، ومن ذلك: التوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل، وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الثانية

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ العقيدة الإسلامية ثابتة لا تقبل الزيادة ولا النقصان ولا التحريف ولا التبديل.

٢ ـ يُعتمد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة والدين، بما يوافق فهم أهل كل عصر.

٣ ـ من دلائل ربانية العقيدة الإسلامية حرمة القول على الله بغير علم.

٤ ـ الإيمان فطري لا يحتاج العبد في تحصيل أصله إلى استدلال أو برهان.

٥ ـ قد يتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح والفطرة المستقيمة.

٦ ـ التقليد في العقائد واجب على كل مسلم.

٧ ـ لا تحتاج أصول الاعتقاد في فهمها إلى متخصصين أو علماء، بل يفهمها كل أحد.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

١ ـ يعتمد منهج التلقي في العقيدة على كتاب الله وسنة نبيه بفهم:

أ ـ الصحابة والثقات من علماء خير القرون.

ب ـ العلماء المعاصرون من أصحاب التخصص.

ج ـ علماء الفِرق الإسلامية.

٢ ـ قال ﷺ: «**كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا. . .**»:

أ ـ رؤوسًا جهالاً يضلونهم بغير علم.

ب ـ هوى يرديهم ويصدهم عن السبيل.

ج ـ كتابًا غير كتابهم الذي أنـزل على نبيهم.

٣ ـ من أقر بالشهادتين واعتقد ذلك جزمًا :

أ ـ كفاه ذلك في صحة إيمانه، ولا يلزمه معرفة الدليل.

ب ـ لا يكفيه وعليه إقامة الدليل والبرهان على ذلك.

ج ـ يعتبر مشركاً حتى يعرف الدليل.

٤ ـ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**إني خلقت عبادي حنفاء** . . .» أي:

أ ـ مسلمين.

ب ـ طاهرين من المعاصي.

ج ـ كلا المعنيين صحيح.

٥ ـ الوسطية تعنى التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على:

أ ـ ما تقتضيه المواءمة بين الفرق المخالفة.

ب ـ ما تقتضيه النصوص الشرعية.

ج ـ ما يقتضيه التسامح بين البشر ونبذ صراع الحضارات.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ تكلم بإيجاز عن دلائل الربانية في العقيدة الإسلامية.

٢ ـ في ضوء ما درست: تحدث مبرهناً عن أهمية العقل والحجة في العقيدة الإسلامية.

٣ ـ «العقيدة الإسلامية واضحة لا غموض فيها»، في ضوء هذه العبارة بيِّن مظاهر الوضوح في العقيدة الإسلامية.

٤ ـ بيّن معنى الوسطية في العقيدة الإسلامية؟ ثم اذكر ثلاثة نماذج تدل على ذلك.

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

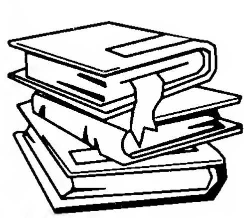
١ - اجمع النصوص المتواترة الدالة على المرجعية العليا للكتاب والسنة ثم استنبط منها حكم العمل بالقوانين الوضعية في المجتمعات البشرية.

٢ - أعد لندوة علمية عن أهمية العقل ومكانة أصحابه، تناقش من خلالها مدى تأخر العقل العربي والمسلم عن مواكبة التطورات التكنولوجية، وأسباب ذلك، والطرق المقترحة للعلاج.

• • •

الوحدة الثالثة

أهمية العقيدة وآثارها



الوحدة الثالثة

أهمية العقيدة وآثارها

مبررات دراسة الوحدة:

آثار الإيمان أعظم من أن يحاط بها، وثمرات التوحيد أكثر من أن تدخل تحت حصر يستوعبها.

فما هداية العقل، وطمأنينة القلب، وغنى النفس، وانشراح الصدر إلا بعض ثمار الإيمان وآثاره.

وما استقامة الأخلاق، وانضباط السلوك، وقوة الأمل واستمرار العمل، إلا قليل من فيض عطائه.

وما صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا، والنجاح والفلاح في الآخرة، إلا ببركة حصوله ونمائه.

عزيزي الدارس: إن دراسة أهمية العقيدة الصحيحة والتعرف على آثارها المباركة يملأ القلب يقينًا، ويشعل في النفس جذوة البذل والتضحية.

فإليك أيها الدارس العزيز قطوفًا من تلك الآثار المباركة، والثمار الطيبة... ثبتك الله على طريق الإيمان واليقين.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تذكر آثار العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع إجمالاً.

٢ ـ تبين أثر العقيدة على القلب والعقل والنفس.

٣ ـ تشرح المقصود بأثر العقيدة في الثبات عند الشدائد.

٤ ـ تحدد المقصود بتعميق المسؤولية الفردية.

٥ ـ تُثْبِت أثر الإيمان في الفوز والنجاة في الآخرة وتدلل عليه.

٦ ـ توضح أثر الإيمان في تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني.

٧ ـ تشرح معنى الانضباط السلوكي والأمني في المجتمعات وأثر الإيمان فيه.

٨ ـ تبين أثر الإيمان الصحيح في الحكم والقضاء ودوره في استقرار المجتمع الإسلامي.

● ● ●

الوحدة الثالثة

أهمية العقيدة وآثارها

● أولاً: آثارها على الفرد:

١ ـ هداية العقل.

٢ ـ سكينة النفس.

٣ ـ استقامة السلوك.

٤ ـ تقوية الأمل واستمرار العمل.

٥ ـ الثبات في الشدائد.

٦ ـ تعميق المسؤولية الفردية.

٧ ـ الفوز في الآخرة.

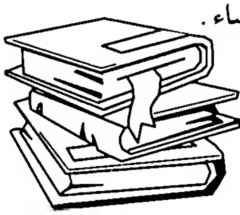
● ثانياً: آثارها على المجتمع:

١ ـ تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني.

٢ ـ الانضباط السلوكي والأمني.

٣ ـ التكامل والتعاون الاجتماعي.

٤ ـ العدالة في الحكم والقضاء.



الوحدة الثالثة

أهمية العقيدة وآثارها

أولاً: الآثار على الفرد:

١ ـ هداية العقل:

تقوم العقيدة الإسلامية على أساس من رعاية العقل وهدايته، فلا قهر ولا إجبار، ولا إكراه في قبول الهدى، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما يقوم الإيمان بالعقيدة على اليقين الجازم، القائم على الدليل والبرهان: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١١١]، والمؤسس على الإثبات والإقناع: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

والمؤمنون الموحدون لهم مزية بعقيدتهم إذ عندهم «المعرفة واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق والقول الثابت، والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[١].

ومن هداية الوحي للعقل الإجابة على الأسئلة الكبرى في الحياة، عن الوجود وخالقه، والإنسان وغايته، والعالم ونهايته، وفي الإيمان يجد المؤمن الإجابة الشافية الهادية لتساؤلاته المحيِّرة، من أنا؟ ومن أين جئت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا خلقت؟ ومن خلقني؟، كل ذلك جوابه الشافي في العقيدة الإسلامية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالمسلم سالم من الحيرة والشك الذي وصفته الأبيات السائرة:

جئت لا أدري من أين ولكني أتيت

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٩).

ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت؟ لست أدري

وحديث أنس في قصة الأعرابي مثل لهذه الهداية العقلية في رحاب الإيمان، إذا وجد الإجابة لأسئلته كما بيّنها الحديث: «جاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟، قال: «**صدق**»، قال: فمن خلق السماء؟، قال: «**الله**»، قال: فمن خلق الأرض؟، قال: «**الله**»، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟، قال: «**الله**»، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟، قال: «**نعم**»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟، قال: «**صدق**»... الحديث»[1]، ففي العقل حاجة لا يسدها إلا الاعتقاد الحق، وفقر لا ينقضي إلا بمعرفة الرب، ويضاف إلى ذلك أن وضوح العقيدة في أدلتها وبراهينها، ومنهجها في البناء على الإثبات العقلي، والدليل الكوني، كل ذلك يحرر العقل من الوهم والخرافة والاستسلام للأساطير والتعامل بالشعوذة، فالإيمان ينفي ذلك كله؛ إذ ليس فيه تعلق بغير الله، ولا اعتقاد نفع أو ضر إلا من الله، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ في سفر وأمطرت السماء أقبل النبي ﷺ على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»[2].

٢ ـ سكينة النفس:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، إن انشراح الصدر وطمأنينة القلب ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله، فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة يتوالى عليها الهمّ والغمّ؛ قال تعالى:

(١) رواه مسلم، في كتاب الإيمان، باب: السؤال عن أركان الإيمان برقم (١٣).

(٢) رواه مسلم، في كتاب الإيمان، باب: بيان كفر من قال: أمطرنا بنوء كذا، برقم (١٠٤).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وفي النفس قلق على المستقبل، ولا يزيل هذا القلق إلا الإيمان، فالمؤمن الموحِّد ينظر إلى الغيب بعين التفاؤل والرضا عن الله تعالى في قضائه وقدره، فيسكب في النفس برد اليقين، ومشاعر الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، فمن أراد الله له الهداية وانشراح الصدر هداه إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن المعلوم أن حوادث الأزمان وفواجع الأقدار تنـزل بالمرء فمرة يفقد حبيباً عزيزاً عليه، ومرة يصيبه مرض شديد، وثالثة تتلف أملاكه، وهذه الأحداث وأمثالها توجب جزعاً وهلعاً كبيراً لا يذهبه إلا الإيمان إذا استقر في سويداء القلوب؛ إذ فيه الصبر على البلاء والرضا بالقضاء؛ قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦].

ومن أسباب الطمأنينة التوافق بين الإيمان والفطرة الذي به تطمئن النفس وتسعد وما أروع ما سطره يراع ابن القيم في شرح قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، حيث قال: «النور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورًا على نور، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع، والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة؛ بل يتصادقان ويتوافقان»[(١)].

فما أجملها من سكينة وما أروعه من انشراح، حين يتلذذ المؤمن بلذات معنوية هي أعظم من كل اللذات الحسية، ولذا قال بعض السلف: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف»[(٢)]، وقال غيره: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»[(٣)].

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (ص١٤).

(٢) القائل هو الفضيل بن عياض. انظر: الجواب الكافي لابن القيم (ص١٦٨).

(٣) القائل هو ابن تيمية. انظر: الوابل الصيب لابن القيم (ص٦٩).

وأين هذا من الجائرين الجاحدين وحالهم كسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين غير الله مناهجها وعقائدها، فتضطرب مرجعيتها، يختلف سبيلها، وتتناقض مسيرتها.

٣ ـ استقامة السلوك:

الاعتقاد الصحيح يرتبط به العمل الصالح والسلوك المستقيم، ومن ثم تكرر في القرآن الربط بين الإيمان والعمل الصالح، والحق أن ثمرة الإيمان الخالص هي العمل الصالح على مراد الله ومراد رسوله ﷺ، وذلك هو سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والانحراف عن سبيل الله هو اتباع السبل والطرق المخالفة لما أمر الله به في الأصول والفروع، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بما يضبط سلوكهم ويحقق لهم التقوى.

وتأمل قول عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما وهي تؤصل لأثر الإيمان في العمل، وبيان أن العمل لا يقوم إلا بعد رسوخ الإيمان، حيث قالت رضي الله عنها: «إنما نزل أول ما نزل منه ـ أي القرآن ـ سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده» نعم بعد أن استقر الإيمان انقادت النفوس للاستسلام للأمر والنهي الشرعي، كما قال أنس في قوله تعالى: «﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده» نعم بعد أن استقر الإيمان انقادت النفوس للاستسلام للأمر والنهي الشرعي، كما قال أنس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، حيث ذكر أن بعض الصحابة كانوا يشربون الخمر في بيت أبي طلحة وكان أنس ساقيهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت، قال فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة»[1]، والله جل وعلا جعل الإيمان

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: صب الخمر في الطريق برقم (٢٢٨٤). ومسلم، كتاب الأشربة، باب: تحريم الخمر برقم (٣٦٦٣).

مقدماً للاستجابة وموجباً لها لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تعطينا مثالاً حياً على الاستجابة الإيمانية حيث تقول: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها»[١]، فالاستقامة ملازمة الصراط المستقيم وأساسها الإيمان العظيم، قال أبو العالية الرياحي: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء، فرددها مرارًا»[٢].

ولا شك أن من ثمرات التوحيد تحقيق استقامة أعمال القلب والجوارح، والاستقامة تبدأ من استقامة القلب، وهي تتوقف على الإخلاص، والإخلاص يتوقف في حصوله وكماله على معرفة العبد لربه، وتعظيمه وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى وصفاته، وإحصائها والتعبد لله بمقتضاها، فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب، ولعمل الخيرات أسبق، وبقول الحق أنطق.

وإذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله، والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه والرجاء فيما عنده، انطلقت الجوارح ولا بد في طاعة الله تعالى، ولا يتخلف ذلك أبدًا، وفي الصحيح: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[٣]، فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب: وليضربن بخمرهن برقم (٤٣٨٧)

(٢) الإبانة لابن بطة (١/٣٥٢) رقم (٢٣٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه برقم (٥٠). ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم (٢٩٩٦).

القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح»[1].

٤ ـ تقوية الأمل واستمرار العمل:

الصعوبات في حياة الإنسان كثيرة، والابتلاءات عظيمة، وذلك يواجه النفس البشرية بما يثبط عزمها، ويُسْلمها إلى يأسها، والإي

مان وحده الذي يبعث أنوار الأمل في ظلمة اليأس فتشرق النفس بالطمأنينة رضا بالقضاء والقدر، وتشتعل بالعزيمة قوة في الأخذ بأسباب البذل والعمل، وما أروع تصوير ذلك في قول المصطفى ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[2]، فلا مكان لليأس المقعد عن العمل، ولا للقنوط القاتل للأمل. مهما عظم الخطب واشتد الكرب فإن في الإيمان بواعث للأمل، وحوافز للعمل، ولا شيء إلا الصبر والرضى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦]، وإن في احتساب الأجر زاد إيماني عظيم: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وإن قيام المدنية، وازدهار الحضارة، وانتظام أمر الحياة، وطيب العيش، لمن ثمرات التوحيد المباركة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

ولقد فتح الإيمان على قلب المؤمن أبواب الأمل والعمل معًا، كما قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وصاحب الإيمان بعقيدة القضاء والقدر لا يتسرب إليه يأس ولا يقعده

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٧١٠).

(٢) رواه مسلم في كتاب القدر، باب: في الأمر بالقوة والعجز والاستعانة برقم (٤٨١٦).

قنوط، فلا تراه إلا عاملاً مغالبًا ومحاولاً ومتوكلاً وراضيًا.

«إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح»(١).

وبيان حياة المؤمن الطيبة في الدنيا من وجوه خمسة:

- إن المؤمن يعلم أن رزقه من تدبير ربه، وربه محسن له فيه، فهذا يدعوه إلى الرضا عن الله ورزقه.

- وإن المؤمن يعلم حقيقة الدنيا وسرعة تقلبها، فلا يجزع عند حلول كدرها؛ لأنه يعلم أن العيش عيش الآخرة.

- والمؤمن مع رضاه وعدم جزعه مغمور بالسعادة في حياته؛ لأن غايته إرضاء ربه، فهو يلهج بهذه الكلمة: «**إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي**».

- ثم إن لذات الدنيا زائلة خسيسة، وأعظم لذاتها الوقاع والطعام، وقد يحتقرهما الإنسان إذا تفكر فيهما.

- المؤمن عندما تقبل عليه الدنيا لا يعانقها معانقة العاشق؛ لأنه يعلم زوالها، فيأخذ منها بقدر ما يتزود إلى الآخرة(٢).

٥ ـ الثبات في الشدائد:

إن هذا التوحيد والإيمان الذي مصدره الوحي المعصوم عصمة للقلب في الشدائد، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]. وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وكما أن عقيدة التوحيد والفطرة من شأنها أن تثبّت المؤمن في الشدائد، فإن الشدائد نفسها تجلو هذه العقيدة وتذهب صدأ القلوب الذي ينشأ عن الغفلة.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي ص٧٣.

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١٢/٢٠).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وعقيدة الإيمان باليوم الآخر من شأنها أن تهوّن من وقع كل مصيبة حيث يحتسبها المؤمن ويطلب أجرها بالصبر عليها.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ولا نصب ولا وصب ولا أذى إلا كفر عنه**»[1].

ومن حقائق الإيمان العظمى أن الموت والحياة بيد الله، ومن المسلّمات عند المؤمن أنه ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]، ومن هنا فإنه يثبت عندما يمتحن في إيمانه، فإذا وضعت حياته في كفة وإيمانه في كفة لم يخف ولم يجزع بل يثبت ويستعلي بإيمانه كما فعل حبيب بن زيد رضي الله عنه، وإذا كان الابتلاء بالتضييق في العيش فإن المؤمن يوقن بأن الرزق بيد الله فيثبت على الحق ولا يلين، ويصبر على الشدة ولا يضعف، ومصعب بن عمير رضي الله عنه كان «أنعم غلاماً بمكة وأجودهم حلة مع أبويه، ولما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليه فأسلم وصدّق به وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، ثم علم أهله فأوثقوه وحبسوه»[2]، ومنعت أمه عنه النفقة والمال، فتحوّل الفتى المدلل المنعم المترف من الرخاء إلى الشدة، ومن السعة إلى الضيق، ومن رغد العيش إلى شظفه، فثبت ولم يضعف، واستعلى بالإيمان ولم يستسلم لجواذب الدنيا، وصار بعد ذلك أول سفير في الإسلام، ثم استشهد في أحد رضي الله عنه.

وهكذا إذا تحرر المؤمن بإيمانه بالله تعالى من الخوف على الحياة والخوف على الرزق فإنه يستطيع ـ بإذن الله ـ أن يصمد في وجوه الإغراء والإغواء معاً.

٦ ـ تعميق المسؤولية الفردية:

إن الإيمان بالله ﷻ يغرس في المؤمن، في وعيه وفي أغوار وجدانه

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٨٠٧٠).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣/٤٢١).

الإحساس بالمسؤولية والاندفاع الذاتي نحوها، متأثرًا بعلاقته الواعية مع الله سبحانه وارتباطه به، فالإنسان المؤمن يشعر بمراقبة الله تعالى ومخافته، ويعمل وهو يعلم أن الله ﷻ معه يراه ويعلم به ويراقبه، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، فيكون هذا الإيمان الشعوري الصادق كافيًا لتحفيز الإنسان نحو أداء الواجب والنهوض بالمسؤولية البشرية في كل مجال من مجالات الحياة، حتى مع غياب قوة السلطة والدولة التي تحمي القانون والأخلاق(١)، ولسان حاله يردد قول الشاعر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن كثير في تفسيره: «وقوله: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسؤولاً، أي يسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها»(٢).

والمسؤولية عظيمة من وجوه: السائل والمحاسب هو رب الأرباب جبار السماوات والأرض، الذي: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]، إن الشعور بالمسؤولية شعور يحركه الإيمان بالله، فإذا غاب الإيمان أو ضعف جفت المشاعر وتعطلت العواطف، وضعف الضمير، وقل الوازع النفسي الديني، ولم يعد هناك انتفاع بهذه الحواس التي أنعم الله بها على الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

---

(١) الإنسان والدين (ص٤١ ـ ٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير ص (١١١٨).

٧ ـ الفوز في الآخرة:

إن امتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه من الموحِّدين، ودخول الجنة ابتداء لمن اقتصد من أصحاب اليمين، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات، مع رضوان الله تعالى ورؤية وجهه الكريم في الجنات، لهو غاية المطالب، ونهاية الرغائب لجميع المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٣].

وفي هذه الآية حرف لا يكفي أن يُكتب بالمداد، وإنما ينبغي أن يكتب بماء الذهب فرحًا وطربًا؛ لأنه يشير إلى كرامة من الله لهذه الأمة المرحومة لا تعدلها كرامة، ألا وهو حرف الواو في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، فالداخلون هنا هم الموحِّدون من أمة محمد ﷺ بأصنافها الثلاثة المذكورة في الآية.

قال الشنقيطي في تفسيره: «قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، وهو يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارجًا عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين... وقال بعضهم: قَدَّم الظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يُعجَبَ بعمله فيحبط»[(١)].

وعندما خطب عمر رضي الله عنه وتلا الآية السابقة قال: «سابقنا مقرب، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»[(٢)]، ولا عجب؛ فالاصطفاء درجات، كما أن الإبعاد دركات، فمن أعظم ثمار التوحيد المباركة على المكلف أن الله تعالى قد ضمن له الجنة فله الحمد والمنة.

والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك، ولا يخلَّد

(١) أضواء البيان ص (١٣٤٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢/٢٥٥٢).

في النار إلا كافر أو منافق، ففي الحديث: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة»(١)، وفي الحديث الآخر يقول: ﷺ: **«لا يدخل الجنة إلا مؤمن»**(٢)

فالمؤمن إما أن يعامله ربه بفضله، فيغفر له بلا سابقة عذاب، ويمحقُ توحيدُه سيئاتِه، كما في الحديث القدسي: **«يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»**(٣).

وإما أن يعامله بعدله، فيأخذه بذنبه، فيطهره منه ثم يؤول أمره إلى الجنة، وإذا دار الأمر بين فضله سبحانه وعدله، غلب فضله عدله، وسبقت رحمته غضبه، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال عليٌّ رضي الله عنه: «ما في القرآن آية أحب إليَّ منها»(٤)، وقال علي بن الحسين: «هذه أرجى آية في كتاب الله». فهذه الآية أتت على كل وعيد، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء، وحلمه تعالى سبق غضبه، وهو سبحانه ما أطمع عباده المؤمنين إلا ليعطيهم، ما لم يخدشوا صفاء التوحيد بالشرك، فالموحِّد قد وعده ربه مغفرته بتوحيده، ودخول جنته برحمته.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلمُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب: الثياب البيض برقم (٥٣٧٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة برقم (١٣٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر برقم (٣٨٨٢)، ومسلم، كتاب الصيام باب: تحرم صوم أيام التشريق برقم (١٩٧٢).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله برقم (٣٤٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وإسناده لا بأس به، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨)، وأخرج مسلم نحوه (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة النساء برقم (٢٩٦٣).

ثانيًا: الآثار على المجتمع:

١ ـ تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني:

إن الإيمان بالله تعالى هو الركيزة الأولى التي قام عليها مجتمع المسلمين الأول في المدينة النبوية، وعليه قامت الركيزة الثانية وهي التآخي والاجتماع.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فقد جمع الله بالإيمان بين أبي بكر التيمي، وعمر العدوي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، فزالت الفوارق، وألغيت العنصريات، ووحدهم الإيمان وصاغ منهم أمة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

قال القرطبي: «﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أُخوّة الدين أثبت من أُخوّة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب»[(١)].

وهذا الإيمان يشيع جوًّا من التوادّ والتراحم والتعاطف وبذل العون، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»[(٢)].

ويجعل النبي ﷺ تمام إيمان العبد وكماله معلقًا بمحبة المؤمنين ومحبة الخير لهم، كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن**

(١) تفسير القرطبي (٢/٢٨٧٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه برقم (٢٢٦٢)، ومسلم، كتاب البرّ والصلة والآداب، برقم (٤٦٧٧).

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

وقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وظهرت في هذه المؤاخاة عظمة المشاعر الإيمانية، وسجّلت السيرة روائع الآثار في صدق هذه الأخوة، كما في قصة سعد بن الربيع الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما فنزل عبدالرحمن بن عوف على سعد بن الربيع فقال: «أقاسمك مالي وأنزل لك عن إحدى امرأتـيّ. قال: «بارك الله لك في أهلك ومالك»[2]، فانظر إلى هذا الإيثار العظيم الذي يتنازل فيه المؤمن لأخيه ويشاركه في كل شيء يملكه، وما أعظم المشاعر التي تصوّر مشاعر الأخوة الإيمانية الصادقة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

ثم إن هذا الشعور لا يقف عند حد المجتمع الإسلامي؛ بل إن التعارف والتواصل يمتد بسبب هذا المشترك الإيماني بالله تعالى إلى سائر المجتمعات، إرادة للخير واستقباحًا للشر في حق الناس جميعًا.

قال تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وروي أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: «**اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أن محمدًا عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة**»[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه برقم (١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه برقم (٦٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب: الوليمة ولو بشاة برقم (٤٧٦٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلم برقم (١٢٨٩)، وأحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٤٩٠).

٢ ـ الانضباط السلوكي والأمني:

إن للعقيدة الإسلامية أثرها الواضح في ضبط السلوك الإنساني وتقويم النزعات البشرية، بل ومحاربة الجريمة، ومكافحة الفساد بكل أشكاله وصوره، وبالتالي فهي العامل الأساسي في حفظ أمن المجتمعات.

فالعقيدة تربط أفعال العبد بالإيمان، فتدل على أن الصالحات وأعمال الطاعات كلها إيمان، وهي سبب في زيادة رصيد الإيمان كما تنبه إلى أن أعمال الفسوق والعصيان سبب في نقص الإيمان وضعفه.

روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

قال البخاري: «تفسيره أن ينزع منه الإيمان».

وقال الحسن: «ينزع منه الإيمان فيزول عنه فيقال له: منافق وفاسق».

فالإيمان هو الوازع الرادع في قلب المؤمن بحيث يمنع من ارتكاب المحرم، ويدفع لفعل الخير وإن كان غير واجب عليه، كما مثل الرسول ﷺ في قصة النفر الثلاثة الذين آواهم الغار «فانحطّت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صِبْية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بنيّ، وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيها بمئة

دينار فتعبت حتى جمعت مئة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقمت عنها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة، ففرج لهم. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاءها فجاءني، فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي، قلت: اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها، فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، خذ ذلك البقر ورعاءها، فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي»[1] فكل أولئك كان دافعهم فيما عملوا الإيمان.

كما أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر والجزاء والحساب تملأ قلب المؤمن وجَلاً من أن يوافي القيامة بديوان لا يغادر الله منه شيئًا، ذلك أن المعصية إذا تعلقت بحق بني آدم فإن القصاص لا بد واقع فيها في الآخرة، وقد ورد في الحديث النبوي أنه ﷺ قال: «**المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[2].

وقد ارتبطت الأحكام الأخروية بالجزاء الدنيوي، فإن ارتكب العبد جناية في حق المجتمع فأفلت من عقوبة الدنيا المقدرة، فإنه لن يفلت من عقوبة الآخرة، وهذا ما حمل كعب بن مالك أن يأتي لرسول الله ﷺ مقرًّا بذنبه في تخلفه عن رسول الله في تبوك، وهذا هو الذي حرَّك المرأة الغامدية لتعترف بزناها ثم ترجع بعد أن تضع حملها ثم تعود بعد أن تفطم وليدها، ليقيم النبي ﷺ عليها حد الرجم.

ذلك أن من كمال تشريعات الإسلام العادلة، أن من أصاب حدًّا فأقيم عليه في الدنيا كان كفارة له في الآخرة، فإن لم يقم عليه في الدنيا بقي على وجلٍ وحذرٍ من عقوبة الآخرة، فهنا كان الإيمان هو الدافع المحرك وراء الإقرار

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار، برقم (٤٩٢٦).
(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم، برقم (٤٦٧٨).

بالذنب وطلب إقامة الحد رغم خفاء الأمر وانعدام الشهود وإمكان الهروب، لكنه الإيمان وما أدراك ما أثره العظيم، رغبة في الأجر، ورهبة من الوزر.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

ولا ريب أن هذا من شأنه أن يؤدي إلى تقليص الجريمة، والحد من انتشارها، مما يعود على المجتمعات بالأمن والطمأنينة والاستقرار.

٣ ـ التكافل والتعاون الاجتماعي:

إن المجتمع المؤمن مجتمع متماسك في بنيانه، متناصر متراحم بين أفراده، يشعر الضعفاء في هذا المجتمع بمساندة الأقوياء لهم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»[(١)]، وشبك بين أصابعه. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[(٢)].

بل إن القرآن المكي الذي كانت جُل موضوعاته تدور حول العقيدة وقضاياها، لا يغفل أن يرعى حق الضعفة في المجتمع فيشير إليهم وينبه على الاهتمام بهم ورعايتهم، وما ذاك إلا لينشأ مجتمع الإيمان متماسكًا متعاونًا متكافلاً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

وقال سبحانه مبينًا أن من أظهر خصائص من يكذب بيوم الدين، ويجحد الجزاء والحساب أنه لا يرعى حق اليتيم، ولا يعنى بشأن المسكين، قال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى

---

(١) رواه البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم برقم (٢٢٦٦)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٤٦٨٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب: البرّ والصلة، والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٤٦٨٥)، وأحمد في مسنده حديث رقم (١٧٦٤٨).

يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝﴾ [الماعون: ١ ـ ٣] فهذه صورة حية لمجتمع طغت فيه المادة، وانحرف عن عقيدة الإيمان بالبعث والجزاء والحساب. بينما شرائع الإيمان تجعل أداء الزكاة وبذل الصدقات، وإغاثة الملهوف، ورعاية الأيتام، ومعاونة المحتاج، قربات اجتماعية، وواجبات شرعية في نفس الوقت.

وفي حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه نموذج عملي لمثل هذا التكافل حيث أخبر أنه كان مع بعض الصحابة في المسجد بحضور النبي ﷺ فدخل قوم فقراء تظهر عليهم آثار الفقر وعلاماته، قال: فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذّن وأقام فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ . . . إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية التي في الحشر ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ **تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة**»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرّة كادت كفه تعجز عنها؛ بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[(١)]، وقد جاءت أحاديث المصطفى ﷺ تؤكد على أهمية التكافل كأثر عملي للإيمان حيث قال ﷺ: «**من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**» قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»[(٢)].

٤ ـ العدالة في الحكم والقضاء:

إن الإيمان يقيم في المجتمع ميزان العدل مع الأقارب والأباعد، قال

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم (١٦٩١).

(٢) رواه مسلم، كتاب اللقطة، باب: استحباب المؤاساة بفضول المال برقم (٣٢٥٨).

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: ١٣٥]، قال ابن كثير: «اشهد شهادة الحق ولو عاد ضررها عليك، وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغضة الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم بل الزموا العدل على أي حال كان»[(١)]، فالعدل مأمور به على كل حال ومع كل أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

والمؤمن الذي يعلم أن الله تعالى هو العدل وهو الحكيم يعمل على تحقيق العدل في جميع أمره.

والعدل أساس الملك ونظامه، وصمام الأمن في المجتمعات وعماده، فبالعدل قامت السموات والأرض، وشاهد ذلك أنه لما «أفاء الله ﷻ خيبر على رسول الله ﷺ فأقرهم رسول الله ﷺ كما كانوا وجعلها بينه وبينهم فبعث عبدالله بن رواحة فخرصها عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود أنتم أبغض الخلق إلي، قتلتم أنبياء الله ﷻ وكذبتم على الله وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر فإن شئتم فلكم وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض قد أخذنا فاخرجوا عنا»[(٢)].

وهذا العدل يجعل الناس سواسية في ميزان الحق وقد أمر الله تعالى المؤمنين عامة، والقضاة والحكام منهم خاصة بالحكم بالعدل بين الناس كافة، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ

---

(١) تفسير ابن كثير (ص: ٥٤٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده، برقم (٣٠٥٩).

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وفي تاريخ المجتمعات المسلمة صفحات مشرقة للعدل وإقامة القسط بين الناس.

قال جعد بن هبيرة لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان، أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا. قال: فلهزه عليٌّ، وقال: «إن هذا شيء لو كان لي لفعلت ولكن إنما ذاك شيء لله».

ولقد قاتل الخوارج عليًّا رضي الله عنه وبغوْا عليه، فقاتلهم، وفي آخر الأمر قتلوه، ولم يمنعه هذا من أن يعدل فيهم حين قيل له: أكفّار هم؟ قال: «من الكفر فرُّوا»، وقال عنهم في موضع آخر: «إخواننا بغوْا علينا».

ولنضرب مثلاً في العدل بالسلطان المسلم نور الدين زنكي «فإنه كان أحسن الملوك سيرة وأعدلهم حكماً، وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائناً من كان، القوي والضعيف عنده في الحق سواء، وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يَكِلُ ذلك إلى حاجب ولا أمير. ومن عدله أنه كان يعظّم الشريعة المطهرة ويقف عند أحكامها، ويقول: نحن سُخُر لها نُمضي أوامرها، فمن اتّباعه أحكامها: أنه كان يلعب بدمشق بالكرة فرأى إنساناً يحدّث آخر ويومئ بيده إليه، فأرسل إليه يسأله عن حاله فقال: لي مع الملك العادل حكومة، وهذا غلام القاضي يحضره إلى مجلس الحكم يحاكمني على الملك الفلاني، فعاد إليه ولم يتجاسر أن يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق، فلما ذكر له قوله خرج من الميدان وسار إلى القاضي، وأرسل يقول له: إنني قد جئت محاكَماً فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري، فلما حضر ساوى خصمه، وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت المِلكُ لنور الدين، فقال نور الدين حينئذ لمن حضر: هل ثبت له عندي حق، قالوا: لا، فقال: اشهدوا أنني قد وهبت له هذا الملك الذي قد حاكمني عليه وهو له دوني، وقد كنت أعلم أنه لا حق له عندي، وإنما حضرت معه لئلا يظن أني ظلمته، فحيث ظهر

أن الحق لي وهبته له»[1] أمثلة رائعة في العدل وإقامة القسط بين المسلمين وأهل الذمة والمحاربين على حد سواء.

● ● ●

(١) مختصر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة (ص٣٢ ـ ٣٣).

خلاصة الوحدة الثالثة

أولاً: الآثار على الفرد:

١ ـ **هداية العقل**: تقوم العقيدة الإسلامية على أساس من رعاية العقل وهدايته، وإقامة البرهان، فلا قهر ولا إكراه في قبول الهدى، ومن هداية الوحي للعقل الإجابة على الأسئلة الكبرى في الحياة عن الوجود وخالقه والإنسان.

٢ ـ **سكينة النفس**: إن انشراح الصدر وطمأنينة القلب ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله، فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقه يتوالى عليها الهم والغم، أما النفس المؤمنة الموحدة فقد اتحد لديها مصدر ورودها وصدورها في كل أمر ونهي، فهى تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله.

٣ ـ **استقامة السلوك**: الاعتقاد الصحيح يرتبط به العمل الصالح والسلوك المستقيم، ومن ثم تكرر في القرآن الربط بين الإيمان والعمل الصالح، والحق أن ثمرة الإيمان الخالص هي العمل الصالح على مراد الله ومراد رسوله.

وإذا عمر الإخلاص قلب العبد انطلقت الجوارح ولا بد في طاعة الله تعالى ولا يتخلف ذلك أبدًا.

٤ ـ **تقوية الأمل واستمرار العمل**: الصعوبات في حياة الإنسان كثيرة، والابتلاءات عظيمة وذلك يواجه النفس البشرية بما يثبط عزيمتها، ويُسْلمها إلى يأسها، والإيمان وحده الذي يبعث أنوار الأمل في ظلمه اليأس، فتشرق النفس بالطمأنينة رضا بالقضاء والقدر.

٥ ـ **الثبات في الشدائد**: إن هذا التوحيد والإيمان الذي مصدره الوحي المعصوم عصمه للقلب في الشدائد، وكما أن عقيدة التوحيد والفطرة من شأنها أن تثبّت المؤمن في الشدائد، فإن الشدائد نفسها تجلو هذه العقيدة وتذهب صدأ القلوب الذي ينشأ عن الغفلة، وعقيدة الإيمان باليوم الآخر من شأنها أن تهوّن من وقع كل مصيبة حيث يحتسبها المؤمن ويطلب أجرها بالصبر عليها.

٦ ـ **تعميق المسؤولية الفردية**: إن الإيمان بالله ﷻ يغرس في وعي المؤمن وفي أغوار وجدانه الإحساس بالمسؤولية والاندفاع الذاتي نحوها، فالمؤمن يشعر

بمراقبه الله تعالى، ويعمل وهو يعلم أن الله ﷻ معه، يراه ويعلم به ويراقبه ولا يخفى عليه شيء من أمره.

٧ ـ **الفوز في الآخرة**: إن امتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه من الموحدين هو غاية المطالب ونهاية الرغائب لجميع المؤمنين، والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك، ولا يخلد في النار إلا كافر أو منافق، فالمؤمن إما أن يعامله الله بفضله فيغفر له، وإما أن يعامله بعدله فيأخذه بذنبه فيطهره منه، ثم يؤول أمره إلى الجنة.

ثانيًا: الآثار على المجتمع:

١ ـ تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني: وقد جعل النبي ﷺ تمام إيمان العبد وكماله معلقًا بمحبة المؤمنين ومحبة الخير لهم، كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» كما أن الإيمان يتضمن المعاني الإنسانية التي يقوم عليها التعارف الإنساني مع غير المسلمين.

٢ ـ **الانضباط السلوكي والأمني**: إن للعقيدة الإسلامية أثرها الواضح في ضبط السلوك الإنساني وتقويم النزعات البشرية؛ فالعقيدة تربط أفعال العبد بالإيمان، وأعمال الطاعات كلها إيمان وهي سبب في زيادة رصيد الإيمان، وقد ارتبطت الأحكام الأخروية بالجزاء الدنيوي، فإن ارتكب العبد جناية في حق المجتمع فأفلت من عقوبة الدنيا المقدرة؛ فإنه لن يفلت من عقوبة الآخرة.

٣ ـ **التكافل والتعاون الاجتماعي**: لم يغفل القرآن المكّي الذي كانت جُلّ موضوعاته تدور حول العقيدة وقضاياها أن يرعى حق الضعفة في المجتمع من اليتيم والمسكين؛ فيشير إليهم وينبه على الاهتمام بهم، ويجعل ذلك من مقتضيات الإيمان ودلائله.

٤ ـ **العدالة في الحكم والقضاء**: إن الإيمان يقيم في المجتمع ميزان العدل مع الأقارب والأباعد، والمؤمن الذي يعلم أن الله تعالى هو العدل وهو الحكيم يعمل على تحقيق العدل في جميع أمره، والعدل أساس الملك ونظامه، وصمام الأمان في المجتمعات، فبالعدل قامت السماوات والأرض.

• • •

أسئلة على الوحدة الثالثة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ هداية العقل أثر مبارك من آثار العقيدة الإسلامية.

٢ ـ في النفس قلق على المستقبل ولا يُزيل هذا القلق: إلا التخطيط الجيد لهذا المستقبل.

٣ ـ تلقى الصحابة عن رسول الله ﷺ القرآن أولاً، ثم تعلموا من القرآن الإيمان.

٤ ـ أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح.

٥ ـ لا علاقة بين العقوبة الدنيوية والجزاء الأخروي.

٦ ـ القرآن المكّي تدور كل موضوعاته حول العقيدة وقضاياها.

٧ ـ أخوة الدين أثبت من أخوة النسب إلا في الميراث.

٨ ـ الأخلاق المستقيمة أمور مكتسبة ولا علاقة لها بالإيمان.

٩ ـ تدعو العقيدة الإسلامية إلى تقوية الأمل في الدنيا والعمل لها.

١٠ ـ المسؤولية الجماعية تلزم بها القوانين الوضعية، بينما تقوي العقيدة المسؤولية الفردية.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

١ ـ لا يجزع المؤمن من ذهاب صفاء والدنيا وحلول كدرها:

أ ـ لأن الدنيا دار المكابدة والمعاناة.

ب ـ لأنه يعلم أن العيش عيش الآخرة.

ج ـ كلا المعنيين صحيح.

٢ ـ قال تعالى في سورة فاطر: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ من المقصود هنا:

أ ـ الأنبياء أصحاب الشرائع.

ب ـ الموحدون من أمة محمد ﷺ.

ج ـ آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران.

٣ ـ من أصاب حدًّا فأقيم عليه في الدنيا:

أ ـ كان كفارة له من عذاب الآخرة.

ب ـ يعاقب عليه في الآخرة.

ج ـ كلا المعنيين صحيح.

٤ ـ ضنك في العيش:

أ ـ دلالة على قلة الدين وذهاب البركة.

ب ـ ابتلاء من الله لعباده.

ج ـ كرامة من الله للمقربين من عباده.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ تحدث بإيجاز عن ثلاثة من آثار العقيدة على الفرد.

٢ ـ تعد هداية العقل من أهم آثار العقيدة على الفرد، وضّح ذلك في ضوء ما درست.

٣ ـ تكرر في القرآن الكريم الربط بين الإيمان والعمل الصالح، ما وجه الربط بينهما، وضح ذلك بمثال.

٤ ـ يقول الشيخ السعدي: «إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته»، في

ضوء هذه العبارة بين وجوه حياة المؤمن الطيبة في الدنيا.

٥ ـ تحدث بإيجاز عن اثنين من آثار العقيدة على المجتمع.

٦ ـ يمثل التآخي والاجتماع أحد الركائز الهامة التي قام عليها المجتمع الإسلامي الأول في المدينة النبوية، وضح ذلك بمثال.

٧ ـ تحدث عن دور العقيدة وأثرها في رعاية حقوق الضعفاء، وتحقيق التكافل والتعاون.

٨ ـ للعدل صفحات مشرقة في تاريخ المجتمعات الإسلامية اذكر صورة من ذلك.

• • •

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

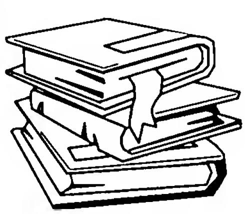
١ ـ حاول أن ترصد آثار الإيمان في الفرد والمجتمع من الناحية الواقعية، واضرب أمثلة حقيقية من خلال معايشتك ومشاهدتك، ثم اذكر بعض صور اختفاء آثار الإيمان مع التعليل والتحليل.

٢ ـ تحقيق الأخوة الإيمانية والتعارف الإنساني أثر من آثار العقيدة الإسلامية المباركة على المجتمع. اكتب مقالاً يؤكد على هذا المعنى مستشهداً بالتاريخ القديم والواقع المعاصر.

• • •

الوحدة الرابعة

من مسائل العقيدة الإسلامية



الوحدة الرابعة

مسائل في العقيدة الإسلامية

مبررات دراسة الوحدة:

هناك مسائل في العقيدة الإسلامية لها أهمية خاصة لسببين: الأول: أن حولها بعض الشبهات والأفهام الخاطئة، الثاني: أن لها ارتباطاً بالواقع لكثرة ذكرها والحديث عنها والحوار حولها.

وهذه المسائل وإن انحرف فيها بعض الناس فإن أهل الحق والعدل ظلوا بالحق ناطقين وبالعدل قائمين وبالحجة والبرهان ظاهرين.

عزيزي الدارس. . .

هذه جملة من المسائل المهمة التي يجدر بك أن تكوّن ثقافة صحيحة عنها؛ لتسلك مسلك الوسطية والاعتدال، وتنأى عن الإفراط والتفريط، فاقرأ وتفهم واستدل، وناقش وحاور ملتزماً في كل ذلك بأدب جمّ، وعمق في العلم والفهم.

• • •

الأهداف التعليمية للوحدة الرابعة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تبين جوانب العلاقة بين العقيدة والشريعة.

٢ ـ تتعرف على حرية الاعتقاد في نصوص القرآن وتاريخ المسلمين.

٣ ـ تعرف الكبائر وصلتها بالعقيدة، وحكم مرتكب الكبيرة.

٤ ـ توضح الصلة بين تحكيم الشريعة والعقيدة.

٥ ـ تحدد حكم الاستهزاء بالدين مع بيان أنواعه وصوره.

٦ ـ تبين معنى الولاء والبراء، والصور الممنوعة والمشروعة في البراء من الكافرين.

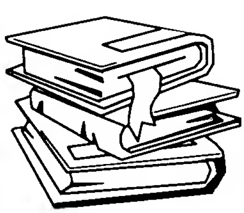
٧ ـ تعريف معنى الغلو في الدين وأسبابه وأنواعه وطرق علاجه.

● ● ●

الوحدة الرابعة

في مسائل العقيدة الإسلامية

١ ـ العلاقة بين العقيدة والشريعة.
٢ ـ حرية الاعتقاد في الإسلام.
٣ ـ الكبائر وصلتها بالعقيدة.
٤ ـ تحكيم الشريعة.
٥ ـ الاستهزاء بالدين.
٦ ـ الولاء والبراء.
٧ ـ الغلو في الدين.
٨ ـ بين العقل والنقل.



الوحدة الرابعة

المسألة الأولى: العلاقة بين العقيدة والشريعة

عرفنا من قبل العقيدة ومدلولها، والشريعة المراد بها الأحكام الشرعية التفصيلية في مجال العبادات والمعاملات وغيرها، وبيان الصلة بين العقيدة والشريعة مهم، وسنعرض لذلك من جانبين:

الجانب الأول: وحدة العقيدة في الرسالات الإلهية:

لقد أرسل الله الرسل جميعاً برسالة واحدة، وهي رسالة التوحيد وعبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. لأن الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك، هو الدين الذي أرسل الله به الرسل، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وتلك حقيقة لا شك فيها وهي أن دين الأنبياء والرسل جميعًا واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] وقال تعالى فيمن تقدم من الأنبياء وعن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال سبحانه عن ملكة سبأ: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ودين الأنبياء على تباعد ما بينهم من الأزمان والأماكن واحد يصدق بعضهم بعضًا، وتشهد رسالاتهم بوحدة مصدرها ومن أنزلها وهو الله تعالى.

فأول ما جاء به النبيون وأرسل به المرسلون الدعوة إلى توحيد الله وحده، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فكل رسول قال لقومه مقالة واحدة: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولذا لما جاء نبينا ﷺ بالرسالة الخاتمة لم يكن فيها من جديد في جانب الاعتقاد والتوحيد، إذ أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

وكما اتفقت الرسالات في الدعوة إلى التوحيد اتفقت أيضًا في الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء والثواب والعقاب.

وأما ما نراه الآن من اختلاف وبعد عن التوحيد الخالص وإفراد الله بالوحدانية فسببه التحريف الذين وقع في الكتب والرسالات السابقة لبعثة نبينا محمد ﷺ كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

وقد بين الله سبحانه في القرآن الكريم طبيعة رسالة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام وأنه لم يدع الناس إلى سواها كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

ومع اتفاق الرسل في الدعوة إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر والاستكثار من العمل الصالح، ومحاربة الشرك بمختلف صوره فإن حكمة الله اقتضت وقوع الاختلاف في الشرائع وتفصيلات الأحكام، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وذكر الطبري في تفسيره عن رسولنا محمد ﷺ أن الله «قد جعل له ولأمته شريعة غير شرائع الأنبياء والأمم قبله الذين قص عليه قصصهم، وإن كان دينه ودينهم في توحيد الله، والإقرار بما جاءهم به من عنده، والانتهاء إلى أمره ونهيه واحدًا، فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكل واحد منهم ولأمته، فيما أحل لهم وحرم عليهم»(١). اهـ

والأحكام العملية تختلف باختلاف الرسل وينسخ لاحقها سابقها، وأما

---

(١) تفسير الطبري: (١٠/٣٨٦).

الدين فهو الأصول الثابتة التي لا تختلف باختلاف الأنبياء، وهذا معنى قوله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[1]، قال ابن حجر: «ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع»[2].

الجانب الثاني: العلاقة بين العقيدة والشريعة:

يشتمل الدين الإسلامي الذي شرعه الله سبحانه للبشرية ـ من الناحية الموضوعية ـ على قسمين:

القسم الأول: قسم الاعتقاد: والأصل فيه التمسك بالكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومجانبة الهوى والبدعة. ويجب فيه التزام ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام والتابعون لهم وسلف الأمة في القرون المفضّلة.

القسم الثاني: قسم التشريع: وهو مبنيٌّ على القسم الأول وقائم عليه، وهو مختص بالأحكام التشريعية من الحلال والحرام، وهذا هو القسم العملي التطبيقي الذي أساسه القسم الإيماني الاعتقادي، وهذا التقسيم اقتضته الناحية التعليمية، وإلا فالدين واحد والعقيدة والشريعة مرتبط بعضها ببعض، ومما يوضح الصلة بين العقيدة والشريعة:

أولاً: أن العمل بدون عقيدة صحيحة لا نفع فيه، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]، قال الشنقيطي في تفسيره: «في الآية دليل على أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا مع الإيمان بالله»[3]، بل إن تلك الحقيقة مثبتة في رسالات الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

ثانياً: ورود أحكام الإسلام مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر، ومبنية على

(١) رواه البخاري، كتاب الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام برقم (٤٣٦٢).

(٢) فتح الباري (٦/٤٨٩).

(٣) أضواء البيان (ص ١٠٦)

الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وأنه سبحانه عليم خبير بصير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والمتأمل يرى آيات التشريع والأحكام كثيراً ما تتضمن تذكيراً بتقوى الله كما في سورة الطلاق المليئة بالأحكام التفصيلية عن الطلاق، ومع ذلك ملئت بالتذكير بأهمية التقوى.

ولقوة الترابط بين جانب الاعتقاد وجانب العمل، جاءت تشريعات الإسلام مرتبطة بالعقيدة حتى في أكثر الأمور تعلقاً بالمادة، ففي اللباس يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

وفي الزواج: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وبعد أن بين القرآن أحكام العقود والأطعمة والزواج والوضوء والطهارة أتبعها بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ٧].

ثالثًا: إن لفظ الإيمان إذا أطلق في الكتاب والسنة فلا يقتصر على اعتقاد القلب، بل يشمل القول والعمل، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] (أي: ثواب صلاتكم) وفي الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون (أو بضع وستون) شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١) فسمى الصلاة إيماناً، وجعل إماطة الأذى من خصال الإيمان وشعبه، وذكر النبي ﷺ كثيراً من الأعمال وربطها بالإيمان كما في حديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً...**»،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم (٥٠).

وعلى ذلك فالأعمال وطيدة الصلة بالإيمان بل هي جزء منه كما دلت على ذلك النصوص.

رابعًا: أن المخالفات التي يرتكبها المسلم كلها ذات صلة بالإيمان، إذ الإيمان ينقص ويضعف بالمعصية كما يزيد ويقوى بالطاعة؛ وذلك لأن المخالفات إما أن تكون شركاً أكبر يخرج من الملة كدعاء غير الله، أو شركاً أصغر كالحلف بغير الله، أو معاص لا يطلق عليها شرك لكنها تشتمل على اتباع الهوى واتباع خطوات والشيطان وحب الدنيا والخضوع لرغبات الناس المخالفة للدين، «فالأمر الذي يتعلق بالشرك بالنسبة للمعاصي هو ميل القلب إلى غير الله تعالى، حيث يتسرب إلى قلب المؤمن اعتبار غير الله تعالى في طلب الرضا واجتناب السخط فيزاحم في ذلك وجود الإيمان بالله تعالى في قلب المؤمن»(١).

المسألة الثانية: حرية الاعتقاد في الإسلام

لقد كفل الإسلام حرية الاعتقاد، وقرر حق كل إنسان في أداء شعائر دينه، وشرع الأحكام التي تصون هذه الحرية وتحميها، وتمنع كل اعتداء واقع أو متوقع عليها، فكان بذلك رائدًا وموجهًا لكل النظم الوضعية التي لم تعترف بحرية العقيدة إلا بعد مجيء الإسلام بزمن طويل.

فكان منهج الإسلام في دعوته للناس يعتمد على الإقناع القائم على الحجة والدليل، دون الإكراه على قبول العقيدة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: «أي: لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فانه بيِّن واضح جليّ دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه؛ بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه على بيّنة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً»(٢).

---

(١) شمول العقيدة، د. عبدالعزيز عبدالله الحميدي (ص٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (ص: ٣٢١).

ولقد بين الله لرسوله ﷺ طريق الدعوة ومنهجها فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالدعوة إلى الإسلام تكون أول ما تكون عن طريق المحاجّة والإقناع وإقامة الحجة وبيان البرهان ومن ثم الدخول فيه عن طواعية واختيار.

فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه بقوة السيف لأن إيمان المكره غير مقبول عند الله؛ لما فيه من عدم الإخلاص لله، ولما في ذلك من قهر للنفس الإنسانية، ولما يزرعه من الحقد بين النفوس، ولما يؤدي إليه من ردود الفعل وترقب الفرص للانقضاض على الإسلام وأهله.

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط، وإنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده بل أمر اللَّه أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال اللَّه تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٧] ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم. . . وكذلك هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بالقتال حتى بدؤوا هم بقتاله ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم في دياره وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق»[1].

ولقد خاطب الله نبيه ﷺ فقال: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

«وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم اللَّه للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني.

إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف الإنسان فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء. ومع حرية الاعتقاد

(١) بدائع التفسير، لابن القيم الجوزية جمع: يسري السيد محمد (٤١٤/١).

حرية الدعوة إلى العقيدة والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة»[1].

فكان هذا أول إعلان لحرية العقيدة ومنع الإكراه على الدخول في الدين، وهو حق لم تكفله الدساتير الوضعية إلا بعد ذلك بما يزيد على عشرة قرون.

فالإسلام رغم عالميته ورغم أنه أرسل للناس كافة ورغم أن الله تعالى قد ختم به رسالاته السماوية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠] رغم كل ذلك فإنه لم يكره أحدًا على اعتناقه ولم يجبر الناس على الدخول فيه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

حرية الاعتقاد في نصوص القرآن:

لقد سلك الإسلام طريقين لحماية حرية الاعتقاد:

أولهما: منع الإكراه على الدين، فليس لأحد أن يُكره أحدًا على الدخول في الدين، وتاريخ الدعوة الإسلامية يؤكد أن المسلمين لم يلجأوا إلى القوة في فرض عقيدة التوحيد، ذلك أن منع الإكراه في الدين جاء بنصوص قاطعة صريحة لا تحتمل التأويل، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي هذا دليل لا يقبل الجدل على أن الإسلام لا يرضى بإكراه أحد على الدخول فيه، ويعتبر هذا الإكراه اعتداء على حرية العقيدة.

ثانيهما: أن الإسلام أوجب على صاحب العقيدة أن يفرَّ بعقيدته إذا أحس بعدوان عليها أو مصادرة لها، فإن لم يفعل كان آثمًا وظالمًا إلا إذا كان عاجزًا عن الهجرة بدينه والفرار بعقيدته، وذلك يدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٢٩١).

ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

والحق أن حرية الاعتقاد قائمة على أسس متينة وركائز قوية في الإسلام نوجزها فيما يلي:

١ ـ اعتبار كرامة الإنسان أساساً في معاملته، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠] ولقد أكد الرسول ﷺ عندما مرت به جنازة فقام واقفاً فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال: «**أليست نفساً**»[١].

٢ ـ اعتبار الاختلاف سنة كونية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]، وقد اقتضت مشيئة الله تعالى تنوع الناس في الاعتقادات بين الإيمان والكفر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ﴾ [التغابن: ٢]، وعلى هذا ترتبت حرية الاعتقاد وعدم الإكراه على الإيمان والإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

٣ ـ اعتبار العدل أساساً للعلاقة مع الناس أجمعين، مؤمنين وغير مؤمنين، أصدقاء وأعداء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨].

٤ ـ اعتبار الواجب في الدعوة إلى الإسلام هو العرض بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن، وأن الاستجابة موكولة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]»[٢].

ونختم بذكر الضوابط العامة للحرية استكمالاً للفهم الشامل لهذا المبدأ؛ إذ أنه من المعلوم أنه ليست هناك حرية مطلقة بلا ضوابط، وإلا كانت فوضى، وأبرز الضوابط هي:

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي برقم (١٢٢٩).

(٢) انظر حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، د. تيسير خميس العمر (ص٢١٤ ـ ٢١٦).

١ ـ الموازنة في الحرية بين الحقوق والواجبات، فكما أن من الحرية المطالبة بالحقوق وحفظها لأصحابها فإن من ضوابطها الالتزام بأداء الواجبات؛ لأنها حقوق للآخرين، ولا تقبل حرية يأخذ المرء فيها ما له ولا يؤدي ما عليه.

٢ ـ الالتزام في الحرية الشخصية بعدم تجاوز حدود العدل والإنصاف بالاعتداء على حقوق الآخرين المعنوية والمادية.

٣ ـ الالتزام بالحرية بعدم المساس بالأنظمة العامة للأمة والآداب المرعية في المجتمع.

حرية الاعتقاد في تاريخ المسلمين:

ولقد عاش أهل الذمة من اليهود والنصارى في داخل الدولة الإسلامية ينعمون بحرية في الدين لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، فلم يتعرض لهم أحد من حكام المسلمين وولاتهم في أمور دينهم بسوء، بل طبق المسلمون معهم ذلك المبدأ المشهور: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

ولقد أكدت عهود الرسول ﷺ ووصاياه هذه الحقيقة، فقد جاء في عهده لأهل نجران في اليمن: «**ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وبِيَعِهِمْ، وصلواتهم، لا يُغيروا أسقُفًا عن أسقُفيته، ولا راهبًا عن رهبانيته، ولا واقفًا عن وقفانيته**»[(١)].

وجاء في عهده ﷺ لليهود حين قدم المدينة: «**وأن يهود بني عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين، لليهود دينهم، وللمؤمنين دينهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يرتغ إلا نفسه وأهل بيته**»[(٢)].

ولقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمانًا لأهل إيلياء جاء فيه: «أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم»[(٣)].

وصالَح خالد بن الوليد رضي الله عنه أهل الحيرة: «على أن لا يهدم لهم بِيعَةً ولا

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وأبو عبيد في الأموال (ص١٨٢).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (ص١٩٥)، وابن هشام في السيرة النبوية (١/٥٠١ ـ ٥٠٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/٢٢٤).

(٣) تاريخ الرسل والملوك: الطبري (٣/٦٠٩).

كنيسة، وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاؤوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم»[(١)].

وجاء في صلح عمرو بن العاص لأقباط مصر: «هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصُلُبِهِم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص»[(٢)].

ولقد كان المسلمون على مدى التاريخ خير من وفَّى بذمته، وصان عهده مع المخالفين لهم في الدين، ولم يحدّثنا التاريخ عن واقعة واحدة نقض فيها المسلمون ـ كحكومة أو أمة ـ عهودهم أو غدروا بأهل ذمتهم.

على عكس ما فعل الصليبيون عندما تمكّنوا من المسلمين فلم يرقبوا فيهم إلّاً ولا ذمة، وقصة دخولهم للأندلس وقتل المسلمين وحرقهم فيها وطردهم بالملايين منها أكبر شاهد على أن أعداءنا لا يعرفون للأديان حرمة ولا للإنسان كرامة.

والإسلام لا يمنع غير المسلمين من الإقامة في دار الإسلام، ولا يحول بينهم وبين أداء شعائرهم طالما أن ذلك يتم في حدود التزام المقيمين بأحكام العهد أو الأمان.

فإذا ما حاول أهل الذمة أو المستأمنين الطعن في عقائد المسلمين، أو التشكيك في مبادئ الإسلام وأحكامه، أو صدّ المسلمين عنه، أو نشر دينهم بين المسلمين، كان لولي الأمر أن يمنعهم من ذلك؛ لأن هذا يعد اعتداء على عقيدة الأمة التي يعيشون وينعمون بالحرية والأمن في ظلها، وحرية الشخص تقف عندما تصطدم بحرية غيره أو تكون عدوانًا عليها، وهذا هو الذي يقصده فقهاء الإسلام عندما يشترطون في عقد الذمة ومنح الأمان أن يخضع أهل الذمة والمستأمنين لأحكام الإسلام.

تشريعات وشبهات:

هناك تشريعات إسلامية يعد سوء فهمها شبهة ترد على حرية الاعتقاد، وهنا

(١) الخراج، لأبي يوسف (ص١٥٨).

(٢) تاريخ الرسل والملوك، للطبري (١٠٩/٤).

نذكر تشريع الجهاد، وقتل المرتد ونوضح صلتهما بحرية الاعتقاد:

١ ـ **الجهاد وحرية الاعتقاد**: من منطلق حفظ العقيدة ومبادئ الإسلام وأحكامه شرع الله تعالى الجهاد؛ وذلك لإزالة الموانع التي تحول بين دعوة الإسلام وبين الخلق، فالإسلام دعوة حق وخير وعدل وسلام، فيها تحرير للإنسان من طغيان أخيه الإنسان، وبلوغ هذه الدعوة من حق كل إنسان ثم له أن يعتنقها أو يرفضها ولا مكره له عليها، ولكن إن وجد من يمنع من بلوغ الدعوة، ويصد عن معرفة الناس بالإسلام، ويحول بينهم وبين أن يعرفوا محاسنه ويتأملوا أدلته فإن هؤلاء يحرمون الناس من حقهم، ويصادرون حريتهم، ويفرضون عليهم آرائهم ومعتقداتهم، ثم يصرون على ذلك وهنا يأتي دور الجهاد لحماية الحرية بمقاتلة من يصادرونها، فالجهاد وسيلة لإعادة حق الحرية والاختيار للناس وحق تقرير مصيرهم بأنفسهم، واختيار عقيدتهم بمحض إرادتهم، وليس الجهاد قتالاً لمجرد القتال والانتصار وكسب المغانم بل هو وسيلة للدعوة وخدمة إيصالها للناس؛ ولذا لم يكن القتل والقتال إلا في ميدان المعركة وأما بعد انتهائها وانقشاع غبارها فلا قتل ولا إكراه ولا إساءة، بل حتى الأسرى لا تهضم حقوقهم ولا يكرهون على ما لا يرغبون كما فعل الرسول ﷺ مع أسرى بدر.

وقد كان الفاتحون المسلمون إذا أرادوا فتح بلد دعوْا أهلها إلى ثلاث خصال:

إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال، فهذا التخيير الذي فرضه الإسلام على المحاربين دليلٌ واضح على عدم الإكراه على الدخول في الإسلام، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالجهاد إنما شرع لضمان حرية الاعتقاد لكل فرد، فلا يفرض عليه أحد عقيدة لا يرتضيها، ومن هنا ندرك عظمة ما فعله الرسول ﷺ مع أهل مكة بعد فتحها، ومن قبل ذلك ما فعله بأهل الطائف كذلك، حيث عفا عن الناس وترك لهم حرية الاختيار بين البقاء على عقائدهم أو الدخول في الإسلام.

٢ ـ **حكم الردة وحرية الاعتقاد:**

حدّ الردة المتقرر في الشريعة هو قتل المرتد لقول الرسول ﷺ: «**من بدَّل**

دينه فاقتلوه»[١]، وقوله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[٢].

وها هنا شبهة مفادها:

أنه إذا كان للمرء حرية الاعتقاد فلماذا يقتل المرتد عن الإسلام؟

والجواب على ذلك أن الحرية الدينية تُعطَى للإنسان قبل الدخول في الإسلام فإذا دخل فيه عن قناعة وإيمان وإذعان ودون إكراه فمعنى ذلك أنه أقر بأن الإسلام دين الحق، وأن أدلته وحججه صحيحة وأن آدابه وأحكامه صالحة، وأصبح بذلك مسلماً، وعضواً في مجتمع المسلمين يختلط بهم، ويطلع على أحوالهم ويعرف أسرارهم، فإذا ارتدّ عن الإسلام بعد ذلك فمعنى ذلك أنه كذب بما أقر به عن قناعة، وجحد ما حكم بصحته عن بينة، وخَطَّأ ما أيقن بصوابه على بصيرة وذلك كله غير مقبول ولا معقول، وقد جاء تشريع الإسلام بقتل المرتد لِحكَم وأسباب كثيرة منها:

١ ـ **حماية حق وحرية التدين**: إن اعتبار عقوبة الردة جريمة تستوجب أشد أنواع العقوبات في الإسلام لا يعد اعتداء على حق الإنسان في التدين، بل إنه يصون هذا الحق ويحميه ويبعده عن العبث والتلاعب، فإذا عرف من يفكر في الدخول في الإسلام أنه إذا أعلن الدخول فيه فلن يسمح له بإعلان تركه والكفر به، فكر طويلاً وقلّب وجوه النظر قبل الدخول فيه، حتى إذا دخل في الإسلام كان دخوله ناتجاً عن بحث ودراسة، وحجة وبرهان[٣].

٢ ـ **حماية الإسلام من الإساءة والعدوان**: إن الإسلام لا يقبل الإيمان الذي جاء نتيجة تقليد الآباء والأجداد، بل يطلب ممن يريد الدخول فيه أن يتروى ويستعمل العقل ويستعرض الأدلة، حتى إذا دخل الإسلام بعد هذه الدراسة كان إيمانه به عن يقين، فإذا خرج منه بعد ذلك كان خروجه منه دليلاً على أنه دخل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله برقم (٢٧٩٤). وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم (٦٤١١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم: (٣١٧٥) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: ما يباح به دم المسلم.

(٣) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أ.د. حسين حامد حسان (ص٢٧ ـ ٢٨).

فيه كاذباً[(١)].

ويصاحب الردة عدوان على الإسلام بإنكار شرائعه أو تكذيب كتابه أو الإساءة إلى رسوله ﷺ تبريراً لخروجه من الإسلام، وكثيراً ما يكون ذلك مصحوباً بحقد إذ «أن الردة أشد من الكفر وأن الذي يتورط فيها اشد عداءً ومحاربة للإسلام وأشد عناداً له وحقداً عليه من الكافر الذي ولد في الكفر وعاش في الكفر»، وشاهد ذلك في التاريخ واضح؛ إذ الردة عن الإسلام نادرة جداً لكنها كانت تترافق مع العدوان على الإسلام كما قال الندوي في ذلك: «أني كلما تتبعت الحوادث التاريخية واستقصيتها استقصاء المؤرخ فقد سايرت ركب التاريخ الإسلامي خطوة خطوة، رأيت المرتد عن دين الله، هو كالثائر الموتور الذي يشتعل حماساً ضد الإسلام وبغضاً متأججاً ملتهباً، وأن كل من قرأ التاريخ لا بد أن يؤيدني في استخراج هذه النتيجة»[(٢)]، ومثل هذا العدوان فيه تعد على الله وكتابه ورسوله ويستحق عقوبة القتل كما سنوضحه لاحقاً.

٣ ـ **حماية المسلمين من الزندقة والبلبلة**: إن الردة تقترن في أحيان كثيرة بقصد آثم وهدف غير مشروع، وهو فتنة المسلمين عن دينهم، وإظهار هذا الدين أنه دين باطل، بدليل أن كثيراً ممن يدخل فيه يعلن الخروج منه بعد قليل.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران: ٧٢].

فهذه الآية الكريمة أشارت إلى أن بعض أهل الكتاب كانوا يتخذون من الدخول في الإسلام ثم الخروج منه وسيلة للنيل من الإسلام نفسه، وفتنة المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في عقائده وأحكامه، وصد الناس عنه[(٣)].

٤ ـ **حماية النظام العام في المجتمع المسلم**: تَعتبر دساتير الدول المعاصرة الخروج على المبادئ الأساسية العامة لنظام الدولة جريمة كبرى وخيانة عظمى تعاقب عليها بأقصى العقوبات التي تصل إلى القتل والإعدام، وفي الوقت نفسه

(١) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أ.د. حسين حامد حسان (ص٢٧ ـ ٢٨).
(٢) ردة ولا أبا بكر لها، لأبي الحسن الندوي (ص٢٤)
(٣) الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية، أ.د. حسين حامد حسان (ص٢٨ ـ ٢٩)

فإنها تنص على أن لكل مواطن أن يغير دينه متى شاء وكيف شاء وأن ذلك داخل في حريته.

ومن هذا المنطلق يرى أولئك حد الردة على أنه مخالف للحرية الشخصية وذلك بسبب الفهم الخاطئ للإسلام عن قصد أو جهل، فالدولة في الإسلام تقوم على أساس الدين عقيدة وشريعة فمبادئها الأساسية ونظمها العامة قائمة على الإسلام ونابعة منه، وبالتالي فإن نظم الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مضبوطة بأحكام الشريعة الإسلامية، ومن ثم فإن الردة تعتبر خروجاً على نظام الدولة العام وخرقاً وعدواناً على قيم ومبادئ المجتمع، فاستحقت أن تكون جريمة كبرى عقوبتها القتل تماماً كما هي جريمة الخروج على النظام العام في الدول الأخرى.

وهذه الدول لا تقوم على أساس الدين بل تعلن العلمانية اللادينية وتجعل الدين شأناً خاصاً بالأفراد في صلتهم بمعبوداتهم وعقائدهم، ولا دخل له بالأنظمة والتشريعات الحياتية في المجالات المختلفة، ومن هنا لا يصبح الارتداد عن الدين والخروج من دين إلى دين مسألة ذات أهمية بالنسبة للدولة ونظامها، لأنه لا علاقة للدين بذلك، بينما الإسلام شرع حد الردة لأن نظامه قائم على الدين فمن خرج عن الدين خرج عن نظام الدولة والمجتمع[١].

وعليه فإن حد الردة لا يمكن بحال أن يعتبر تهديدًا لحرية الاعتقاد، وإنما هو صيانة لهذا الحق، وحماية للمجتمع وثوابته من التلاعب بالأديان، والاتجار بالعقيدة، واتخاذ التحول عن الدين وسيلة من وسائل الحرب على الإسلام وأهله.

المسألة الثالثة: الكبائر وصلتها بالعقيدة

تعريف الكبيرة لغة واصطلاحًا:

الكبائر لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف

(١) المصدر السابق (ص٢٢ ـ ٢٧).

الصغر، يقال: هو كبير، وكُبَار، وكُبَّار[1]، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢].

والكِبْر: العَظَمة..ويقال: أكبرت الشيء: استعظمته»[2].

التعريف الاصطلاحي:

الكبائر هي: كل ما يترتب عليه حد في الدنيا، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن[3].

وهذا القول هو أمثل الأقوال في هذه المسألة وهو المأثور عن جمهور السلف.

أقسام الذنوب: لقد دلت نصوص القرآن والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء، على أن الذنوب تنقسم إلى: كبائر، وصغائر.

فمن القرآن قول الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، قال القرطبي: «لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، ودل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء»[4].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، «فسمى الكبائر فواحش، وسمى مقابلها اللمم، فثبت أن المعاصي عند الله قسمان: معاص كبيرة فاحشة، ومعاص دون ذلك يكثر أن يلم بها المؤمن»[5].

---

(١) قال الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٩٨): «الكُبَار أبلغ من الكبير، والكُبّار أبلغ من ذلك».

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٩١٥ ـ ٩١٦).

(٣) الكبائر للذهبي (ص: ٦).

(٤) تفسير القرطبي (٥/ ١٥٨).

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٥/٢٦).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(٣)].

وسئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تزني بحليلة جارك**»، فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨][(٤)].

قال ابن القيم: «دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر»[(٥)].

وجملة النصوص الواردة تدل على أن عدد الكبائر غير محصور بالسبع الموبقات ولا بغيره فإن النصوص في مجموعها عدد أكبر، وقد اجتهد الإمام الذهبي وصنف كتاباً في الكبائر جمع فيه كل كبيرة ينطبق عليها الوصف والتعريف المختار.

حكم مرتكب الكبيرة:

إن مرتكب الكبيرة ليس منافقًا محضًا في الدرك الأسفل من النار، كما أنه

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة برقم (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قوله: ومن أحياها برقم (٢٦٥٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ﴾ برقم (٢٥٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها برقم (١٢٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ برقم (٤١١٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب برقم (١٢٤).

(٥) الجواب الكافي، لابن القيم (ص٨٧).

ليس من المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٤]؛ بل له طاعات ومعاص، وحسنات وسيئات، ومعه من الإيمان ما لا يخلد معه في النار، وله من الذنوب والكبائر ما يجعله معرّضًا للعذاب في النار بقدر ذنبه.

وجاء إيضاح ذلك في قول شارح الطحاوية: «ومذهب أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إذا ماتوا وهم موحّدون لا يخلدون في النار، بل هم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر الله ﷻ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم الله في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته.

وقد جانب الصواب وخرج عن حد الاعتدال في الحكم على مرتكب الكبيرة طوائف؛ منهم من حكم على مرتكب الكبيرة بأنه كافر خارج عن الملة، وأنه خالد مخلد في النار:

وهذا القول باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة منها:

- أن الله سبحانه أمر بقطع يد السارق دون قتله، ولو كان كافرًا مرتدًّا لوجب قتله.

- أمر الله سبحانه أن يُجلد الزاني والزانية مائة جلدة، ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما.

- قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ٩ ـ ١٠]، فقد وصفهم الله بالإيمان والأخوة وأمرنا بالإصلاح بينهم، على الرغم مما وقع بينهم من التقاتل.

ومنهم من قال: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإطلاق، وهو مستحق للمغفرة في الآخرة، وقالوا: لا تضر مع الإيمان معصيته، كما لا ينفع مع الكفر طاعة: وهذا القول باطل ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا**

فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه»[1].

وهذا يرد على قولهم: إن مرتكب الكبيرة مغفور له في الآخرة، لأن الحديث نص في دخول بعض الموحدين النار، وأن مرتكب الكبيرة يكون في مشيئة الله في الآخرة.

والمذهب الحق هو الوسط بين تلك الطوائف وهو:

- أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ لأن ارتكابه للكبيرة انتقص من كمال إيمانه الواجب، وإن لم يقدح في أصل إيمانه.
- وأن مرتكب الكبيرة إن مات غير تائب عن كبيرته فهو في مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بغير عذاب، وإن شاء عذّبه إلى حين ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة[2].
- وأن النبي ﷺ يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد[3].

والإصرار على الذنب خطره عظيم وأهل الإيمان يَحذرون من الصغائر قبل الكبائر، ويجتنبون الإصرار ويتصفون بعكسه كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[آل عمران: ١٣٥]، والكبائر أعظم خطراً لما ورد فيها من الوعيد الدنيوي والأخروي، وينبغي للمسلم أن يقلع عن كل الذنوب صغيرها وكبيرها، وأن يجتهد في تكفير سيئاته:

- بإخلاص التوحيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].
- وبالتوبة الصادقة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار برقم (١٧)، ومسلم، كتاب الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها برقم (٣٢٢٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٧٥).

(٣) انظر: الرد على البكري (ص٤١٢).

- وبالاستغفار الدائم كما كان الرسول ﷺ يستغفر في اليوم والليلة مائة مرة[1].
- وبالعمل الصالح فإن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وفي وصية الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[2].

وليعلم المسلم بأن المعصية لها آثارها الوخيمة على نفسه وقلبه وفكره وسائر شؤون حياته، كما قال ابن القيم عن نتائج المعصية، وأن فيها: «قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونفرة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومحق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم، وضنك العيش، وكسف البال»[3].

المسألة الرابعة: تحكيم الشريعة

تحكيم الشريعة في واقع الحياة وفي جميع مجالاتها يعد من صلب قضايا العقيدة في الإسلام، فالإسلام دين الحياة، ولا يقتصر على جوانبَ الإيمان والعبادة بل يشتمل على الأحكام الشرعية في المعاملات المالية والأحوال الشخصية والقضايا الجنائية وغيرها، والإسلام دين متكامل مترابط، وتقسيمه إلى عقيدة وشريعة إنما هي قضية علمية تعليمية ولا تدل على انفصال بين الجانبين، بل العكس هو الصحيح كما مر بنا من قبل.

فالعقيدة أساس للتسليم بأحكام الشريعة وقبولها والعمل بها، والعمل بأحكام الشريعة إنما هو تحقيق وتصديق للإيمان وما يتصل به من التعلق بالله وابتغاء رضاه.

صلة تحكيم الشريعة بالعقيدة:

وها هنا نعرض لصلة تحكيم الشريعة بالعقيدة من خلال منهجية متكاملة

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار برقم (٤٨٧٠).
(٢) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس برقم (١٩١٠).
(٣) الفوائد، لابن القيم (ص: ٤٧).

مترابطة، نوضحها من خلال العناصر التالية:

أولاً: إثبات صلة تحكيم الشريعة بتوحيد الألوهية:

وبيان ذلك من عدة وجوه:

أ ـ الربط بين التحكيم للشرع وقبوله والتسليم به وبين الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فالآية نص في عظمة هذه الرابطة، ففي الآية إقسام بالله، على نفي الإيمان حتى يتم التحاكم للشرع وليس ذلك فحسب بل لا بد من القبول والتسليم، وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(١)، وهذا المعنى جاء في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ب ـ الربط بين الرجوع إلى الشرع عند النزاع وبين الإيمان بالله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال ابن كثير: «وقوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال مجاهد وغير واحد من السلف أي إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر»(٢).

(١) قال النووي. حديث صحيح في كتاب الحجة عن ابن عمر.

(٢) تفسير ابن كثير (٥٠٢).

ج ـ التأكيد على أن التشريع حق لله تعالى وهو من لوازم ألوهيته التي يجب لمن آمن به أن يخضع له بها، فكما يخضع بالعبادة لله، فيجب أن يخضع لحكمه عملاً به ورضوخاً له، فالحق جل وعلا قال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فكما أن من حق الله إفراده بالعبادة فكذلك من حقه جل وعلا إفراده بالحكم، وفي مجال المقارنة ليس هناك إلا حُكْمان: حكم الله وحكم الجاهلية قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

د ـ وصف التحليل والتحريم من غير الله بأنه عبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وقد ورد عن عدي بن حاتم أنه قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: **يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: **أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»(١).

ووجه كون تحكيم الشريعة من توحيد الألوهية أو العبادة هو أن تلقّي الشرائع والخضوع لها من مظاهر الذِّلة والعبودية واللجوء لله تعالى، كذلك جعل الله تعالى طاعة المشركين في تحليل الميتة شركًا في الألوهية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

هـ ـ الحكم على من لم يحكم بما أنزل الله بالفسق والضلال والكفر، حيث جمع الله جل وعلا لمن لم يحكم بما أنزل الله بين الكفر والفسوق والظلم فقال سبحانه:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦].

(١) رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة التوبة برقم (٣٠٢٠).

وهذه الآيات وإن نزلت في أهل الكتاب فإن حكمها عام لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما قال العلماء، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

و ـ وصف من أراد التحاكم إلى غير حكم الله بأنهم متحاكمون إلى الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] فإن الله أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله (يزعمون) من نفي الإيمان، فإن (يزعمون) إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته موجبها وعمله بما ينافيها.

والخلاصة أن تحكيم الشريعة من توحيد الألوهية، ووجه ذلك: أن العبادة خضوع وذل واستجابة، وتلقي الشريعة والخضوع لها هو كذلك مظهر من مظاهر الذلة والعبودية واللجوء لله تعالى.

ثانياً: إثبات صلة تحكيم الشريعة بتوحيد الربوبية:

لما كان الله ربَّ العالمين له الخلق والأمر كان إسناد الأمر إلى غيره شِرْكًا في الربوبية؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

فوصف الله اليهود والنصارى الذين جعلوا التحريم والتحليل للأحبار والرهبان بأنهم اتخذوهم أربابًا؛ وذلك لأن الرب هو الذي يحرم ويحلل ومن جعل ذلك لغير الله فقد أشرك في الربوبية.

ثالثاً: إثبات صلة تحكيم الشريعة بتوحيد الأسماء والصفات:

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

فمن صفاته تعالى أنه الحَكَم والحكيم، وذلك من أسمائه، وحكمه هو أحسن حكم.

وهو تعالى العليم الخبير، ومن ذلك علمه وخبرته بعباده وما يصلحهم من الشرائع والأحكام، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] فكيف يصح توحيد الله بأسمائه: الحكم - الحكيم - العليم - الخبير... إلخ مع نقض ذلك بنبذ أحكامه وشريعته وإيثار غيرها عليها؟

أحوال الحكم بغير ما أنزل الله وحكم كل منها:

إن الحكم بغير ما أنزل الله مخالفة لأمر الله وفعل الرسول ﷺ، وقد ورد الحكم لفاعله بالفسق والظلم والكفر، وهذا توضيح لذلك:

أ - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، الفسق: هو الخروج عن الطاعة، وجعل الحكم بغير ما أنزل الله فسقاً لأنه خروج عن دائرة العبودية لله تعالى إلى ادعاء حق من حقوق الألوهية لغير الله من المشرعين، ويعد خروجاً عن إفراد الله بالعبودية إلى إشراك غير معه.

ب - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والحكم بما أنزل الله هو الحق وما عداه باطل، ولا شك أن الحكم بغير ما أنزل وضع للحكم في غير موضعه، وهو ظلم للنفس أولاً، وظلم لمن يُشرّع لهم الحكم ثانياً.

ج - ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، والكفر هو الجحود والتغطية، ومن حكم بغير ما أنزل الله فقد جحد حق الله في الحكم والتشريع.

والتفصيل الذي يذكره العلماء في شأن الحكم على من حكم بغير ما أنزل الله يمكن إيجازه في حالتين:

الحالة الأولى:

من حكم بغير ما أنزل الله، جاحداً لحكم الله، معتقداً أن الحكم والتشريع ليس حقاً لله، أو اعتقد أن حكم الله تعالى لا يصلح للناس ولا ينفعهم، وأن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله، أو أنه يجوز له أن يحكم بغير ما أنزل الله، فمن اعتقد شيئاً من ذلك فهو كافر كفراً اعتقادياً أكبر مخرجاً له من ملة الإسلام والعياذ بالله.

وذلك لأن مثل هذه الاعتقادات تعود على أصول الاعتقاد بالنقض، فإن المعتقد لفساد حكم الله وأن حكم غيره أفضل وأولى فإنه يُجَهِّلُ الله في حكمه، ويتضمن ذلك مضادّة ما أثبته الله لنفسه من العلم والحكمة والرحمة، وكذلك معارضة ما تضمنته آيات القرآن من الأحكام الربانية وردها، كما أنه ينقض حق الله في التشريع وانفراده به فيعطي ما لله لغير الله، وكل ذلك يكفر من عمله اعتقاداً له.

الحالة الثانية:

من حكم بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن الواجب هو تحكيم شرع الله، وأنه لا يجوز تحكيم شرع غير شرع الله، وإنما حمله على ذلك اتباع شهوته أو هواه، أو ممالأة غيره من الناس ومداهنتهم والخوف منهم، فهذا لا يحكم بكفره ويدخل في عموم وصف الفسوق والظلم، وإن أطلق عليه الكفر فالمراد به الكفر الأصغر وهو الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا لا يخرج صاحبه من الملة، ولكنه مرتكب لمعصية كبيرة وآثارها خطيرة، ولكنه لا يكون كافراً؛ لأن الكفر مرتبط بالاعتقاد وليس بمجرد العمل دون الاعتقاد.

أقوال العلماء في الحكم بالقوانين الوضعية دون الشرعية:

وها هنا مسألة مهمة وهي مسألة الإقرار العام باعتماد نظام حكم وقانون بشري غير مؤسس على الشريعة وتعميمه للحكم به في بلاد إسلامية، وذلك ما وقع في فترة الاستعمار وامتد بعد انتهائه، وتلك المسألة بيّنها العلماء بياناً شافياً، وهذه جملة مختارة من أقوالهم:

قال محمد الأمين الشنقيطي: «وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعة الله ﷺ على ألسنة رسله أنه لا يَشُكّ في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم»[1].

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين»، ثم أخذ يعدّد أنواع الحكم بغير ما أنزل الله التي

---

(١) أضواء البيان (ص: ٦٩٥).

تخرج من الملة فذكر أن أعظمها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقّة لله ورسوله ﷺ إيجاد المحاكم الوضعية التي مرجعها القانون الوضعي كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو غير ذلك من مذاهب الكفار وقال: أيّ كفر فوق هذا الكفر وأيّ مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ بعد هذه المناقضة؟[(١)].

وقال محمد الخضر حسين: «فصل الدين عن السياسة هَدْمٌ لمعظم قواعد الدين، ولا يُقْدِمُ عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين»[(٢)].

وقال أحمد شاكر: «إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضحٌ وضوح الشمس، هي كفرٌ بَوَاحٌ لا خفاء فيه ولا مداراة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام ـ كائنًا من كان ـ في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئ حسيب نفسه»[(٣)].

ومثل هذه الأقوال قالها علماء الإسلام في زمن مضى عندما جاء التتار بقيادة جنكيز خان وعملوا ـ فترة من الزمن ـ على تحكيم أحكام خاصة تسمى الياسق، وقد قال في ذلك ابن كثير في البداية والنهاية: «فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كَفَرَ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟! من فعل ذلك فقد كفر بإجماع المسلمين»[(٤)].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «والإنسان متى أحل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء»[(٥)].

وهذا يدل على أن المسألة في غاية الوضوح عند العلماء قديماً وحديثاً لما فيها من الأدلة كما مر بنا.

---

(١) تحكيم القوانين لمحمد بن إبراهيم (ص١ ـ ٧).

(٢) رسائل الإصلاح لمحمد خضر حسين، ومؤامرة فصل الدين عن الدولة لمحمد كاظم حبيب.

(٣) عمدة التفسير: (١٧٤/٤).

(٤) البداية والنهاية: (١١٩/١٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٦٧/٣).

وفي ختام هذه المسألة نحمد الله تعالى على ما ينص عليه نظام الحكم في المملكة العربية السعودية في مادته الأولى على أنها: «دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، والمملكة تعلن تطبيق الشريعة، وتجعل الشريعة هي المرجع في المحاكم».

المسألة الخامسة: الاستهزاء بالدين

الإيمان يتضمن التعظيم والتقديس لله ﷻ؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، ولأنه الرب المربي بالنعم العظيمة، وهو كذلك المعبود الذي تخضع الرقاب لعظمته وتسجد الجباه لعبادته، ثم التوقير والإجلال لرسول الله ﷺ لأنه أفضل وخاتم الرسل الذين هم صفوة الخلق الذين فضلهم الله واختصهم بالوحي، وكذلك تعظيم واحترام القرآن؛ لأنه كلام رب العالمين وهدايته للخلق أجمعين، ويشتمل على تعظيم الشعائر التي أمر الله تعالى بها أو أرشد إليها رسوله ﷺ، ومن هنا فإن كل إنقاص أو إساءة تنافي ذلك التعظيم فهي مجافاة ومخالفة لحقائق الإيمان ومتطلباته، ومن هنا تأتي أهمية تناول مسألة الاستهزاء بالدين.

معنى الاستهزاء بالدين:

الاستهزاء لغة: مأخوذ من الهزء، أو الهزؤ، يقال: هزئ به ومنه: أي استهزأ به، ومعناه: سخر منه، وأصل مادة الاستهزاء معناها: الاستخفاف والاستهانة قال الطبري: «والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهراً، وهو بذلك من قيله وفعله به، مُورِثه مَسَاءةً باطناً، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر»[1].

الاستهزاء اصطلاحاً: هو الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه إما على سبيل الجد أو الهزل، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وبالإشارة والإيماء[2].

---

(١) تفسير الطبري (١/١٣٣).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الأثر (٢/٥٠١)، روح المعاني (١/١٥٧)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٣/٢٤٨) مادة (استخفاف).

والخلاصة هي: أن الاستهزاء يشتمل على معانٍ وصور عدة، فهو ذكر العيوب والنقائض على وجه الاستخفاف والإهانة، ويكون بعمل أو قول يتضمن الإضحاك على سبيل الانتقاص والازدراء.

أنواع وصور الاستهزاء بالدين:

الاستهزاء بالدين أمرٌ عام، غير أنه يتجلي في صور مختلفة يمكن أن نعتبرها أنواعاً لهذا الاستهزاء، وقد جاء في القرآن إجمال لهذه الأنواع في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، وأما تفصيل صور الاستهزاء فنوجزه فيما يلي:

١ ـ **الاستهزاء بالذات الإلهية**: وهذا أعظم أنواع الاستهزاء، ويتضمن التعرض بالذم أو الانتقاص أو السخرية لله ﷻ، وقد ورد في القرآن ذكر بعض المقالات الكفرية في هذا الشأن مع الرد عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨١ ـ ١٨٢].

٢ ـ **الاستهزاء بالقرآن الكريم**: وذلك بالاستهزاء بما ورد في آيات القرآن من الوعد والوعيد وتكذيبها والسخرية منها، كما يشتمل ذلك على إنكار ما ورد في القرآن من أخبار الغيب، أو سب كتاب الله أو إهانة المصاحف التي فيها آيات القرآن كلاً أو جزءًا، ومما ورد في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١] وكذلك قوله تعالى في وصف فعل الكافرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] بل قد جاء التحذير من مجرد مجالسة المستهزئين بآيات الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

٣ ـ **الاستهزاء بالرسول الكريم** ﷺ: وذلك بالطعن في نبوته، أو الانتقاص

لقدره، أو إلصاق التهم الباطلة به على سبيل الازدراء والاحتقار، أو سبّه أو شتمه، أو الإتيان بقول أو فعل أو إشارة تتضمن السخرية والتهكم والضحك استخفافاً بمقامه ﷺ وقد فعل ذلك المشركون، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦]، وقد ورد النهي عن أي شيء قد يشابه فعل المستهزئين ولو لم يكن مقصوداً حتى ورد النهي عن ألفاظ وكلمات مما يستخدم لغرض السخرية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [البقرة: ١٠٤]، قال ابن جرير: «اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا راعنا فقال بعضهم: هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي ﷺ»(١)، وبالجملة فإن الاستهزاء وقع مع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجر: ١١].

٤ ـ **الاستهزاء بالمؤمنين**: والاستهزاء بالمؤمنين إنما هو استهزاء بما يؤمنون به، وما يؤدونه من متطلبات إيمانهم من العبادات والأحكام، وذلك ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨]، كما أن هذه السخرية كانت متكررة كما يتضح من قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢١٢] وصيغة المضارع في يسخرون تدل على الاستمرار، وسجلت آيات القرآن صوراً من الاستهزاء الذي مارسه المنافقون تجاه المؤمنين وأفعالهم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩] قال ابن كثير في سبب نزول هذه الآية: «عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مُراءٍ وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت الآية»(٢)، قال ابن تيمية ـ بعد إيراده القصة ـ عن المنافقين: «فلمزوا هذا وهذا، فأنزل الله ذلك،

---

(١) تفسير الطبري (٤٦٩/١).

(٢) تفسير ابن كثير (ص: ٨٩٦).

وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله ورسوله»[1].

وآيات القرآن وصفت صوراً من هذا الاستهزاء بشيء من التفصيل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين: ٢٩].

إن الواقع اليوم يصدّق آيات القرآن السالف ذكرها؛ حيث نشهد عدواناً آثماً على الإسلام، بالهجوم على القرآن الكريم، والإساءة إلى الرسول الكريم ﷺ، والعدوان على أحكام وشرائع الإسلام، في حملة يشنها أعداء الإسلام، والطامّة أن بعض المنتسبين إلى الإسلام خاضوا كخوضهم واجترؤوا على الدين سخرية وانتقاصاً.

ومن صور ذلك: اتهام القرآن بالإرهاب ووصم الإسلام بأنه لا يعترف بالأديان الأخرى ويضطهد أتباعها، ووصف الرسول ﷺ بأنه دموي يحب القتل - وانتقاد التشريعات الإسلامية كحجاب المرأة المسلمة، وغير ذلك.

حكم الاستهزاء بالدين :-

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، عن عبدالله بن عمر قال: قال: رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ونـزل القرآن فقال عبدالله بن عمر: وأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال القرطبي: «قال القاضي أبو بكر ابن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جداً أو هزلاً، وهو كيفما كان كفر، لا خلاف فيه بين الأمة فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل، ثم قال: قال علماؤنا: انظر إلى قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٦/٢٣).

(٢) تفسير القرطبي (١٤٦٣/١).

قال محمد بن عبدالوهاب: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب، وبيّن أن الاستهزاء بآيات الله كفرٌ، ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدرًا بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه لَمَنَعَهُ أن يتكلم بهذا الكلام»[1].

وفي فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء: «سب الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة والاستهزاء بالمتمسك بها نظرًا لما تمسك به كإعفاء اللحية وتحجُّب المسلمة، هذا كفر إذا صدر من مكلف، وينبغي أن يبين له أن هذا كفر، فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2] [التوبة: ٦٥، ٦٦].

مخاطر الاستهزاء بالدين

إن الاستهزاء بالدين له مخاطر عظيمة منها:

١ ـ تعرض فاعله للحكم العظيم بالخروج من الدين، وبعض الفاعلين قد يتساهلون ويقولون من الأقوال ويأتون من الأفعال ما يعرضهم لأعظم الأخطار ويظنون أن مجرد قصد الضحك والهزل ليس فيه حرج عليهم، والرسول ﷺ يحذّر وينبه بقوله: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**»[3].

٢ ـ تهوين حرمة الدين والتقليل من عظمته، مما تذهب معه التقوى من النفوس وخشية الله من القلوب، وتعظم الجرأة على ارتكاب المحرمات والاستهانة بإعلان المنكرات.

٣ ـ التزهيد في الالتزام بأحكام الدين وشرائعه لأن شيوع الاستهزاء بأعمال وشرائع الإسلام ينفّر الناس من التزامها خوفاً من أن تنالهم ألسنة السخرية.

٤ ـ إضعاف الأمة الإسلامية وتمكين الأعداء منها؛ لأن قوة الأمة وعزتها

(١) فتح المجيد، لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (ص٣٩٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٢٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان برقم (٥٩٩٧).

في دينها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نحن قوم أعزّنا الله فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله»، وأي عزة تبقى لنا حين نترك ديننا أضحوكة للسفهاء ولا نقيم له وزناً، ويهون عندنا فلا نعظِّمُ له حرمة، إن تحقق ذلك هو غاية منى الأعداء حيث يجدون أن أهل الإسلام هم الذين يسهلون العدوان عليه.

المسألة السادسة: الولاء والبراء

الولاء والبراء مسألة مهمة من مسائل العقيدة، وقد ضلت فيها أفهام وزلت فيها أقدام، ووقع فيها شيء من سوء الفهم، وقدر من خطأ الممارسة، وها نحن نعرض لهذه المسألة لتوضيحها وبيان أدلتها، وتحرير مفاهيمها، مع الإيجاز والاختصار:

تعريف الولاء والبراء:

الولاء: لغة: الواو واللام والياء، أصل صحيح يدل على قرب، وذلك أن الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، والولي ضد العدو، وكل من يليك أو يقابلك فهو ولي.

والولاية: النصرة، ووالى فلاناً: أحبه وتولاه واتخذه ولياً.

والولاء: القرب والمحبة والنصرة. والموالاة: المتابعة، الولاية بفتح الواو وكسرها تعني النصرة: يقال: هم على ولاية: أي مجتمعون في النصرة، ووالَى بين الأَمْرِ مُوالاةً ووِلاء: تابَع. وتوالَى الشيء: تَتَابَع. والمُوالاةُ: المُتابعَةُ وافْعَلْ هذه الأَشياء على الولاءِ أي مُتابَعَةً[1].

المفهوم العام للولاء: يقوم على النصرة والتحالف والحب والطاعة وإلقاء مقاليد الأمور لمن يكون له الولاء.

البراء: لغة: البعد عن الشيء والسلامة من السقم، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

قال الراغب: «أصل البرء والبراء والتبري: التفصّي مما يكره مجاورته».

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤١٢/١٥).

المفهوم العام للبراء: يقوم على البعد والبغض وعدم الود والامتناع عن النصرة والإعانة.

الولاء والبراء في النصوص الشرعية:

المحبة القلبية الفطرية قد تميل إلى الشيء لما فيه من لذة أو شهوة لكن إن كان ذلك الشيء محرماً، فإن المسلم لا يميل له بل يبتعد عنه، ولا يستحسنه بل يستقبحه، فهو وإن كان محبوباً شهوة إلا أنه غير محبوب ديانة، وأمثلة ذلك كثيرة ومنها أن النفس تحب المرأة الحسناء الجميلة وتميل إلى معاشرتها، لكن النفس المؤمنة تكره الزنا لحرمته، ولأنه من الفواحش والقبائح التي ذمها الشرع وحذر منها، ومن ثم صار الزنا مبغوضاً للمؤمن وإن كان فيه لذة، وهذا يوضح مفهوم المحبة الشرعية فهي موافقة ما أمر الله به أو أباحه، والبغض الشرعي وهو كراهة ما حرمه الله ونهى عنه.

وفي ضوء المعنى العام للولاء والبراء، الذي يوضح أن مدارهما على المحبة والبغض، وبالربط بمفهوم المحبة والبغض من الناحية الشرعية يمكن القول إن:

مفهوم الولاء الشرعي: القرب من المسلم ومحبته ونصرته وإعانته.

ومفهوم البراء الشرعي: البعد عن غير المسلم وبغضه وترك نصرته وإعانته.

والمقصود حب أصل الإيمان والتوحيد الذي عليه المسلم، وبغض الكفر سواء كان إلحاداً أو شركاً، ومحبة أصل الإسلام بما فيه المكارم والمحاسن، وبغض ما يشتمل عليه الكفر من القبائح والرذائل.

والمسلم يُحَبُ لأصل إيمانه وتوحيده، وقد يُبغَضُ من جهة أخرى إذا كان مرتكباً للمعاصي أو واقعاً في المحرمات، فيُحَبُ من وجه ويُبغَضُ من وجه آخر، والبغض إنما هو للمعصية والمنكر الذي يرتكبه، ومما يوضح ذلك قول ابن تيمية: «على المؤمن أن يعاديَ في الله ويواليَ في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم، فليتدبر المؤمن: أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك... وإذا اجتمع في الرجل الواحد خيرٌ وشرٌّ، وطاعة ومعصية، وسنّة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجباتُ الإكرام والإهانة؛ كاللص تُقطع يده لسرقته، ويُعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته»(١).

وقد دلت النصوص الشرعية على أهمية ووجوب الولاء والبراء في آيات كثيرة وأحاديث عديدة، ومن ذلك.

١ - أدلة من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

٢ - أدلة من السنة:

قال رسول الله ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله»**(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي، والحاكم، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، بإسناد صحيح انظر صحيح الجامع الصغير (٢٥٣٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٢٨).

وقال رسول الله ﷺ: «**من أحب في الله وأبغض في الله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[2].

ومن جملة ما ورد في الأدلة السالفة ندرك أن الولاء للمؤمنين واجب وأنه وثيق الصلة بالعقيدة والإيمان، وكذلك فالبراء من الكافرين واجب ولازم وهو أيضاً من قضايا الإيمان، وكل ذلك مرتبط بالعاطفة محبة وميلاً واستحساناً، وبالقول إقراراً وثناءً وتوفيراً، وبالفعل نصرة وإعانة وتأييداً.

حكم موالاة الكافرين:

هناك مرتبتان في موالاة الكافرين لكل منها حكم على النحو التالي:

مرتبة الموالاة العامة: وهي الموالاة المرادفة للتولي، وتتضمن محبة الكفار والميل إليهم مع كفرهم المذموم والمبغوض شرعاً، وكذا مناصرتهم بالمال والنفس والرأي، والدفاع عنهم، وإتباع نظمهم - التي تبيح ما حرم الله - عن رضًا واستحسان، والقبول لكفرهم وشركهم، وهذا النوع من الموالاة يكفر فاعله؛ لأن فعله يتضمن مخالفة صريحة لصريح آيات القرآن الكريم، كما أن فيه مناقضة لمقتضيات إيمانية من المسلمات كتحكيم غير شرع الله ونحو ذلك.

مرتبة الموالاة الخاصة: وهي نوع من الموالاة يكون في ظرف محدد أو صورة معينة، مثل مداهنة الكفار ومصانعتهم لأجل مصلحة دنيوية، مع عدم إضمار الاعتقاد الفاسد في الموالاة العامة، وعدم الرضا بالكفر واعتقاده، ومثال ذلك ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه عندما كتب إلى قريش يخبرهم بعزم النبي ﷺ على المسير إلى مكة لفتحها حيث يقول علي بن أبي طالب: «بعثني

---

(١) أخرجه أبو داود (٧/٢١٥)، والإمام أحمد (٣/٤٤٠)، والبغوي في شرح السنة (١٣/٥٤)، وصححه الحاكم (٢/٦٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (١٥)، ومسلم، برقم (٦٠).

رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، قلنا: لها أخرجي الكتاب قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟**» قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه قد صدقكم**»، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «**إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع لى من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١)، فهذا الفعل غير مخرج من الملة ولكنه معصية عظيمة وكبيرة خطيرة، وإنما استثني حاطب رضي الله عنه لما له من سابقة وفضل شهود غزوة بدر كما ذكر النبي ﷺ، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن عطية في تفسيره في شأن موالاة غير المؤمنين حيث قال: «ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه»(٢).

صور من مقتضيات البراءة من الكافرين:

إن البراءة من الكافرين لها صور كثيرة نورد هنا نماذج منها مما دلت ونبهت عليه آيات القرآن الكريم:

الصورة الأولى: البراءة المنهجية العقدية:

يجب على المسلم أن يتبرأ من الكفر وعقائده الفاسدة، وما يشتمل

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة فتح مكة وما بعث حاطب بن أبي بلتعة، برقم (٣٩٣٩).
(٢) تفسير ابن عطية (ص: ٥٢٢).

عليه في أصول الدين والاعتقاد؛ لأن للمسلم عقيدته الخالصة وشريعته الخالدة ودينه الكامل ومن هنا جاءت ضرورة البراءة من كل ما يخالف عقيدة الإسلام، وبهذا أُمِرَ الرسول الكريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، وضرب الله للمؤمنين المثل بإبراهيم ﷺ وأتباعه المؤمنين في براءتهم من الكافرين في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤)﴾ [الممتحنة: ٤].

الصورة الثانية: عدم الركون إلى الكافرين:

إن الاعتماد على الكافرين، والتعويل عليهم في أمور الفكر والتصور، في الحكم والتشريع، وفي الآراء والمواقف، كل ذلك من الركون إليهم وموالاتهم وهو أمر نهى الله عنه، وحذر منه، وخاطب بذلك النبي ﷺ حيث قال: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥]، وفي هذا المعنى أيضاً جاءت مخاطبة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وإذا خوطب بذلك الرسول ﷺ فإن الخطاب لأمته، ثم إن النبي ﷺ قطعاً لا يركن للكافرين ولا يوافقهم فيما يخالف دين الله ولكن المراد التحذير والتهديد لأمته، فإذا كان قد خوطب بذلك الرسول ﷺ وهو بعيد عنه، فكيف بغيره من سائر أفراد أمته، ومع ذلك فقد ورد الخطاب المباشر لعموم أفراد الأمة في قوله: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ [هود: ١١٢ ـ ١١٣].

الصورة الثالثة: عدم إعانة الكافر على المسلم:

قال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[1]، وحرمة المسلم عظيمة، ونصرته واجبة، وحق المسلم على المسلم كبير، ولذا فإن الإساءة له والعدوان عليه إثم كبير وجرم خطير، فسِبَابُ المسلم فسوق وإخافته حرام، والمناجاة دونه إثم، وكل ذلك منهيٌّ عنه من قبل المسلم تجاه المسلم، فكيف إذا وقع ذلك من الكافر على المسلم ظلماً وعدواناً، ثم كان المسلم في هذا موالياً للكافر ونصيراً له؟

لا شك أن هذا فعل شنيع ومخالفة لموالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١]، وهذه الآية نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه السالفة الذكر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١] قال ابن كثير: «وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على منع بيع العبد المسلم للكافر لما في صحة ابتياعه من التسليط عليه والإذلال له»[2]، وبعد النهي عن موالاة الكافرين وتقديمهم على المؤمنين استنكر الحق جل وعلا الميل والعون للكافر على المؤمن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ۝١٤٤﴾ [النساء: ١٤٤].

الصورة الرابعة: عدم اتخاذهم بطانة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨]، قال الجصاص: «بطانة الرجل خاصته الذين يستنبطون أمره، ويثق بهم في أمره، فنهى الله تعالى المؤمنين أن

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة في باب: تحريم ظلم المسلم برقم (٤٦٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (ص: ٥٤٤).

يتخذوا أهل الكفر بطانة من دون المؤمنين وأن يستعينوا بهم في خواصّ أمورهم، وأخبر عن ضمائر هؤلاء الكفار للمؤمنين فقال:

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يعني: لا يقصرون فيما يجدون السبيل إليه من فساد أموركم، فجَعْلُ الكافر في الموضع الذي يأمر وينهى ويجري أمره على المسلمين، أو أن يكون رأيه هو المؤثّر المعتبر في حال الأمة المسلمة، أو جَعْلُه المطلع على أسرارها الخطيرة كل ذلك منهي عنه، قال ابن كثير في شأن أهل الذمة: «لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشون أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب»(١).

الصورة الخامسة: ترك التشبه بهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وكل ذلك نهي عن المتابعة والمشابهة، ومما يوضح دلالة ذلك قول المصطفى ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، ومن المعلوم أن التشبه المقتضي للموافقة لهم والاقتداء بهم، والرضى عنهم هو في حقيقته القبول باعتقادهم والرضى بأفعالهم مع ما فيها من مخالفة الإسلام وشريعته، وإذا كان هذا التشبه على الإطلاق ودخول الاعتقاد بصواب ما هم عليه من مخالفة شريعة الإسلام، وإن كان دون ذلك أي من غير هذا الاعتقاد وإنما هو لون من ضعف الشخصية أو صورة من صور الهزيمة النفسية فهو إثم ومعصية إن كان التشبه مقصوداً للفاعل، وفي شرح الحديث السابق قال صاحب عون المعبود: «فَقَدْ يُحْمَل هَذَا عَلَى التَّشَبُّه الْمُطْلَق فَإِنَّهُ يُوجِب الْكُفْر، وَيَقْتَضِي تَحْرِيم أَبْعَاض ذَلِكَ، وَقَدْ يُحْمَل عَلَى أَنَّهُ مِنْهُمْ فِي الْقَدْر الْمُشْتَرَك الَّذِي يُشَابِههُمْ فِيهِ، فَإِنْ كَانَ كُفْرًا أَوْ مَعْصِيَة أَوْ شِعَارًا لَهَا كَانَ حُكْمه كَذَلِكَ»(٢)، فالأمر ليس هيناً والنصوص فيها دلالة على النهي الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نقر عليها، ولا

---

(١) تفسير ابن كثير (ص: ٣٩٤).

(٢) عون المعبود (١١/٥٢).

بد من التنبيه على أن ما يدخل في ذلك إنما هو في التشبه بأمر خاص بالكفار معروف عنهم وهو سمة مميزة لهم، وعلامة دالة عليهم لا يشاركهم فيه غيرهم، وأن يكون هذا التشبيه مقصوداً عند الفاعل، والتحذير الوارد من هذا التشبه سببه ما يتضمنه عادة من الإعجاب والتعظيم.

صور ليست من مقتضيات البراءة من الكفار:

وبعد إيضاح ما سبق نورد هنا صوراً مشروعة مباحة وبعضها مطلوب وواجب وكلها لا تدخل في البراءة من الكافرين، بل هي من سمات هذا الدين، وتوضيحها يكمل الصورة، ويوصل إلى الفهم المتوازن غير المختل، وإلى المعرفة المتوافقة لا المتناقضة، وهذا يجمع لنا بين مسائل مهمة كالجمع بين بغض الكافر ودعوته إلى الإسلام، وبين البراءة من الكافر وسماحة الإسلام، فإلى هذه الصور أولاً ثم التعليق على مدلولها ثانياً.

١ - **أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:** جعل الله سبيل الدعوة مع الكفار وغيرهم هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. فالإسلام يحتم على أهله دعوة الناس إلى الخير وأَمْرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والحرص على هدايتهم والرغبة الأكيدة في تحولهم إلى الإسلام ولما كان هذا لا يأتي إلا بالدخول إلى النفوس من مداخلها واستجلاب رضاها وراحتها فإن الإسلام أمر بمجادلتهم ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك أن النفوس الشاردة، والقلوب القاسية لا تُقبل على الإسلام ولا تلين إلا بالملاينة والملاطفة وإظهار العطف والشفقة والحرص، كما أمر الله موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، ومن هنا فليس من الإحسان إلى الناس وبذل الجهد في هدايتهم ودعوتهم أن يكون المسلم متجهم الوجه، مقطب الجبين، غليظ القول، شديد الفعل، بل ينبغي أن يكون كما قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فليس من البراءة الابتداء بالجفوة والمقابلة بالقسوة بل أصل الابتداء بحسن عرض الدعوة وتقريب النفوس وتأليف القلوب، حتى إن الإسلام جعل من مصارف الزكاة مصرف ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم من غير المسلمين يدفع لهم المال ترغيباً لهم وتقريباً، فاتخاذ الشدة والغلظة والقسوة سمة في معاملة غير المسلمين بدعوى البراءة منهم فَهْمٌ قاصر وممارسة خاطئة، والأمثلة من سيرة النبي ﷺ كثيرة، فها هو يعامل عدي بن حاتم أحسن معاملة ويعرض عليه الإسلام عرضاً جميلاً، كما ورد في قصة إسلام عدي بن حاتم حيث، قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فقال القوم هذا عدي بن حاتم، وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما دفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي، قال: فقام فلقيته امرأة وصبي معها، فقالا: إن لنا إليك حاجة، فقام معهما حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله، فهل تعلم من إله سوى الله**»، قال: قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: «**إنما تفر أن تقول الله أكبر وتعلم أن شيئاً أكبر من الله**»، قال: قلت: لا، قال: «**فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضُلاّل**»، قال: قلت: فإني جئت مسلماً، قال: فرأيت وجهه تبسّط فرحاً»(١)، فها هو ﷺ يلقاه ببشاشة ويبسط يده بلطف ويخاطبه بلين ويدعوه بحكمة، وهذا نموذج يحتذى به.

٢ ـ **حسن المعاملة في المجالات الإنسانية والاجتماعية**: ويدل عليه عموم قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]، على أن غير المقاتلين المحاربين يشرع البر بهم، ولذلك صور كثيرة منها:

أ ـ الدعاء بالهداية لهم: جاء في البخاري عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله فقال الطفيل: يا رسول الله، إن دوساً قد كفرت وأبت،

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب برقم (٢٨٧٨).

فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، فقال ﷺ: «**اللهم اهد دوساً وائت بهم**»، وجاء في السير أن رسول الله دعا لثقيف فقال: «**اللهم اهد ثقيفاً**»

ب ـ عيادة مرضاهم: روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده: فقعد عند رأسه فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد الله الذي أنقذه من النار**» فها هنا الرسول الكريم يزور هذا الغلام اليهودي ويدعوه إلى الإسلام ويفرح باستجابته.

ج ـ الإهداء لهم وقبول هداياهم: جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أهدى إلى عمر بن الخطاب حلة من حرير فقال: يا رسول الله تكرهها وترسلها لي؟ فقال ﷺ: «**إني لم أرسلها لك لتلبسها ولكن ألبسها بعض نسائك**» فأهداها عمر بن الخطاب لأخ له مشرك بمكة. وهذا دليل واضح أيضاً على أنه يجوز الإهداء للكفار ما لا يحل لبسه للمسلمين كالحرير وكذلك قبل رسول الله هدايا المقوقس، وقبل الشاة المصلية من اليهودية في خيبر، بل إن من علامات نبوته قبوله للهدية ورفضه للصدقة، وقد أهداه سلمان الفارسي ليكتشف علامات نبوته ﷺ فقبل هديته، وعندما قدّم صدقة له لم يأخذها وتركها لأصحابه من المحتاجين.

د ـ التصدق عليهم والإحسان لهم: روى البخاري عن أسماء بنت الصديق أنها ذكرت للنبي ﷺ أن أمها قد أتتها وهي راغبة ـ أي: عن دين الإسلام ـ أفتتصدق عنها؟ فأمرها النبي ﷺ أن تصلها، وهذا بالطبع موافق ومقرر لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

والخلاصة من كل هذا أن حسن المعاملة للكفار في هذه المجالات الاجتماعية والعلاقات الإنسانية جائزة بل مستحبة كما قال النبي ﷺ: «**في كل كبد رطبة أجر**». وهي في ذات الوقت تعطي الكافر انطباعاً حسناً عن أخلاق المسلمين وتكون سبباً في دخوله الإسلام كما هو مشاهد ومعروف.

٣ ـ الزواج من نساء أهل الكتاب وحل طعامهم: أباح الله للمسلم أن يأكل مما ذبحه الكتابي، وأن يتزوج المرأة الكتابية، وهذا مجمع عليه بين المسلمين،

ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥] الأكل من طعام اليهود والنصارى لا ينافي ولا يعارض البراءة منهم، بل هو مما استثنى، وكذلك الزواج من نسائهم. ومعلوم أنه يحصل مع الزواج من نسائهم كثير من المودة والمحبة الزوجية الفطرية التي تقوم بين الأزواج عادة شريطة ألا تؤدي هذه المودة إلى اطلاع هذه الزوجة على عورات المسلمين أو إعانة قومها على الإسلام وأهله. وكذلك الأمر بالنسبة لأكل طعام أهل الكتاب لا شك أنه لا يمنع أن يأكله المسلم هديةً أو بيعاً. وأكل منها أصحابه، ومعلوم أن الإهداء والبيع ونحو ذلك قد يحصل به تعارف ونوع صداقة ومودة وكل ذلك لا ينافي ولا يناقض الأصل الذي شرحناه آنفا وهو البراءة من الكفار.

ومن المهم التأكيد على هذه المعاني والتطبيقات الشرعية المباحة والمندوبة بل والواجبة في بعض الأحوال، وذلك تنبيهاً على خطأ الممارسة المبني على فهم خاطئ للبراءة من الكافرين، وخاصة أن كثيراً منهم جاهل بالإسلام يحتاج أن يعلم، أو عرض له عن الإسلام ما ينفّره منه ويحتاج أن يؤلف قلبه ويقترب، وفي الوقت نفسه فإن المبالغات غير المشروعة في إبراز سماحة الإسلام إلى حد المداهنة وموافقة غير المسلمين على ما لديهم رغم مخالفته للإسلام صراحة ذلك لا ينفع الإسلام والمسلمين بل مآله إلى تضييع وإضعاف المسلمين وإلى انتقاص غير المسلمين للمسلمين لأن الذي يتنازل عن دينه، ويجامل في مبدأه لا يحظى بالاحترام عند الآخرين.

المسألة السابعة: الغلو في الدين

الغلو في الدين مسألة وردت في نصوص القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، وفي عصرنا الحاضر كثر تناول مسألة الغلو معروفة بمصطلحات أخرى كالتطرف، والتشدد والإرهاب ونحو ذلك، وكانت هناك نظرات وآراء لم تلتزم بالكتاب والسنة، فحصلت أخطاء في تحديد دلالة المصطلح، وتبع ذلك توسع في إطلاق المصطلح على صور وأعمال مشروعة بل واجبة، حتى تجاوز

الأمر لدى بعض الفئات حدوده حيث ربط الغلو بالإسلام نفسه، فاعتبر الإسلام دين الشدة والغلو، مع أن الحقيقة أنه دين اليسر والوسطية، وبإيجاز غير مخل نعرض هذه المسألة بما يحدد المعنى ويكشف المخاطر، ويوضح الأسباب وكل ذلك انطلاقاً من القرآن والسنة.

تعريف الغلو في الدين:

الغلو: **لغة**: أصل الكلمة (غَلَوَ) يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا يغلو غلوًّا، فهو غالٍ، وغلا في الأمر أي: جاوز حده.

غلا في الأمر يغلو غلوًّا أي: جاوز فيه الحدّ[1].

الغلو اصطلاحاً: المبالغة في الأمر والتشديد فيه بتجاوز الحد المشروع على سبيل التدين[2].

ومن خلال التعريف نستنبط أن الغلو في الدين يشتمل على ثلاثة أمور:

المبالغة والزيادة عن الحد.

الحد الذي هو مقياس للصواب هو الحد الوارد في الشرع.

تجاوز الحد المشروع بقصد التدين والتقرب إلى الله ﷻ، وفعل ما يعتقد أنه خير وإحسان.

ومن هنا فإن المقياس الضابط لتحديد الغلو هو المقياس الشرعي، فلا يطلق على فعل أو قول أو رأي أنه غلو إلا إذا كان متجاوزاً للحد المشروع وأما إطلاق وصف الغلو بدون هذا المقياس المنضبط فإنه خلل كبير بل خطر عظيم؛ لأن الغلو مجاوزة الحد، وإذا كان تعيين الحد غير راجع إلى الشرع المتميز بأنه معصوم وكامل، فإنه سيرجع إلى آراء البشر وأعراف المجتمع وذلك كله لا عصمة له ولا كمال فيه ثم إنه يتغير ويتبدل بحسب الظروف والأحوال وبتعاقب العصور والأزمان، وهذا يؤدي إلى تبادل الاتهامات بالغلو أو ضده.

---

(١) الصحاح، للجوهري (٢٤٤٨/٦).

(٢) انظر الاعتصام، للشاطبي (٣١٤/٣)، فتح الباري، لابن حجر (٢٧٨/١٢)، اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢٨٩/١).

والله ﷻ بيّن أن الحد الذي لا ينبغي تجاوزه هو حده الذي شرعه في كتابه وبلغه رسوله ﷺ في سُنّته، فمن تجاوز هذا الحد فهو غال، ومن التزمه فهو معتدل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ويقول كذلك: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧] والمعنى ظاهر أن من ترك الحد المشروع وهو الحق فإنه سيصدر عن أهواء الضلال، وينحرف عن جادة الصواب.

أنواع الغلو:

هناك نوعان أساسيان في الغلو:

الأول: الغلو الكلي الاعتقادي: وهو الغلو الواقع في كليات الشريعة وأمهات مسائلها فيما يتعلق بالعقائد، مثل: الغلو في الصالحين أو ادعاء العصمة لهم، أو تكفير المسلم العاصي، ونحو ذلك، فالمراد بالكلي: ما كان من الكليات والمقاصد الكبرى لا الجزئيات والمسائل الصغرى، والمراد بالاعتقادي: ما كان متعلقاً بالعقيدة وأساسياتها، قال الشاطبي في بيان من تسمى فرقة خارجة عن أهل السنة والجماعة ـ: «إن هذه الفرق إنما تصير فِرَقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كليّ في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات»[(١)].

ومثال ذلك: ما رواه أبو سعيد الخدري في قصة الرجل الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ وإعطائه صناديد نجد أكثر من غيرهم وفيه: «ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال ﷺ: «**يخرج من ضئضئي هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[(٢)].

الثاني: الغلو الجزئي العملي: وهو الغلو الواقع في الجزئيات المتعلقة

---

(١) الاعتصام (٢/٢٠٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب برقم (٤٠٤)

بالعمل والفروع دون الاعتقاد والأصول، فهو ليس صادراً عن اعتقاد فاسد بل هو مجرد ممارسة عملية خاطئة.

ومثال ذلك: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

الفرق بين نوعي الغلو:

ولمزيد من الإيضاح نذكر الفرق بين نوعي الغلو والمذكورين سابقاً:

الغلو الاعتقادي يتعلق بالفكر ويقوم على الإقناع به والدعوة إليه فهو مؤثر ومتعد إلى الآخرين، والغلو العملي متعلق بالسلوك دون حرص على دعوة الآخرين.

الغلو الاعتقادي يتعلق بالمجموعات والفرق، والغلو العملي يتعلق بالأفراد.

العلو الاعتقادي ضرره عام على الأمة، والغلو العملي ضرره مقتصر على الغالي وحده.

أسباب الغلو:

إن بيان أسباب الغلو مهم في الوصول إلى طرق ووسائل علاجه، والأسباب كثيرة وأهمها ما يلي:

١ ـ **الابتداع**: قال الشاطبي: ثم استمر تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى أن

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح برقم (٤٦٧٥).

نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، وأحفُّوا إلى البدع المضلة»[1]، فالخوارج غلوْا في رأيهم في المخالفين والعصاة، فحكموا بكفرهم وخروجهم من الإسلام، واستحلوا دماءهم، ومر بنا الاعتراض الذي كان على قسمة النبي ﷺ وهو تشدد وغلو، يعترض على ما فعله رسول الله ﷺ وهو النبي المرسل والعادل المقسط ﷺ، فالابتداع مخالفة للسنة وفي بعض صوره تكون مخالفته للسنة بالزيادة والمبالغة والتشدد.

٢ ـ **الجهل**: عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[2]، فالعالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يوقن أن الخير والهدى فيهما، وأن تجاوزهما والزيادة عليهما سبب الهلاك وطريق الضلال، ثم إن العلم عاصم ـ بإذن الله ـ من الاجتراء على حرمات المسلمين أو التسرع في الحكم على الآخرين، فصاحب العلم عنده من دلالات النصوص وهدي السلف ما يمنعه من ذلك، ولذا فإننا نرى العلماء أكثر الناس حضًّا على التزام الكتاب والسنة، وتحذيراً من الغلو والزيادة عليهما.

والجاهل لا يعرف النصوص أو أكثرها، وإذا علم بعض النصوص لم يعرف معناها، وربما فهمها على غير وجهها الصحيح، وإذا فهم تلك النصوص لم يحسن الجمع بينهما وبين النصوص الأخرى، وربما ضرب بعضها ببعض، أو عمل ببعضها دون الآخر، وفي غالب الأحوال يكون عند الجهلة جرأة في الفتوى من غير بصيرة وعلم، ولديهم سرعة وغلو في الحكم على الناس من غير رويّة ولا ورع، ويقع منهم استهانة بحرمة الدماء المعصومة بالإسلام أو بالذمة والعهد الشرعي، والواجب على من جهل أن يسأل أهل العلم وأن يطلب العلم حتى لا يضلّ ولا يُضل.

٣ ـ **اتباع الهوى**: الهوى لغة.. قال الجرجاني: الهوى: ميلان النفس إلى

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (٢٢/١).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم برقم (٩٨)، ومسلم، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن برقم (٤٨٢٨).

ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[1]، والهوى يدعو صاحبه إلى حب التفرد وعظمة الزعامة، وربما وجدنا من يتشدد في آرائه، ويغلو في أعماله، وذلك ليعظم عند أتباعه إعجاباً به، والهوى مضل ويدعو إلى مخالفة الشرع؛ إذ الهوى معارض للهدى، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «**إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**»[2]، بل جاء في القرآن ما يبين أن الهوى يكون عند أصحابه إلهاً معبوداً وشرعاً متبوعاً كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ ومن هنا فالحذر من الأهواء لازم وضبطها بالشرع واجب حتى لا يقع تجاوز الحد والغلو.

٤ ـ **التقليد والتعصب**: نعى الله على المقلدين وذم مسلكهم في قولهم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]، وبعض الغلو من تقليد لمن سبق من الشيوخ أو الآباء والأجداد، وبعضه تعصب لمن وقعت محبته وتعظيمه عن أتباعه فهم موافقون له في كل رأي خطأ كان أو صواباً، ومتابعون له في كل فعل شراً كان أو خيراً، حتى جعلوا قوله ورأيه مثابة الشرع المتبع، قال الشوكاني في تعريف التقليد: «أن تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي ما يروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد»[3]، والتاريخ يشهد والواقع يكشف أن الغلاة والمتشددين كان تقليدهم لزعمائهم وتعصبهم لآرائهم من أعظم أسباب غلوهم واستمساكهم بما هم عليه من شدة وعنف، والواجب إنما هو اتباع أثر السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٥ ـ **المبالغة في الغيرة الإيمانية والحماسة الإسلامية**: كان رسول الله ﷺ لا يغضب فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه قائمة، والمؤمن الحق يتأثر عندما يرى المنكرات شائعة، والمحرمات منتشرة، ويغار على حرمات الله، ويعتصره

(١) التعريفات للجرجاني (ص٢٥٧).
(٢) رواه أحمد في مسنده برقم (١٨٩٥١).
(٣) أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص ٧).

الألم، وتثور في نفسه دوافع إنكار المنكر تحققاً بإيمانه وتمثلاً لإسلامه، كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، والغيرة على حرمات الله محمودة وقد أثنى بها رسول الله ﷺ على سعد بن عبادة حين قال: «**أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني**»[(٢)].

ومع ذلك فإن هذه الغيرة القلبية والحماسة النفسية لابد أن تكون منضبطة بضوابط الشرع؛ لأن المسلم لا يتحرك حسب مشاعره وردود أفعاله بل هو ملتزم بأحكام القرآن والسنة، وبما يترتب عليه فعله وقوله من تحقيق المصالح الشرعية ودفع المفاسد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له قواعد وضوابط شرعية، وقد ذكر العلماء لذلك أربع مراتب:

١ ـ أن يزول المنكر ويخلفة المعروف. ٢ ـ أن يقل المنكر ولا يزول كله.

٣ ـ أن يزول المنكر ويخلفة مثله. ٤ ـ أن يزول المنكر ويخلفة ماهو أعظم منه.

فالمرتبة الأولى والثانية مشروعة ومطلوبة، والثالثة موضع اجتهاد فقد ينكر وقد لا ينكر بحسب المصلحة الشرعية، وأما المرتبة الرابعة فمحرمة لا يجوز في مثلها إنكار المنكر، وينبغي أن يعلم أنه لا يصح النهي عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وزوال فعل الحسنات»[(٣)].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار المؤمنين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾، وهو ذروة سنام الإسلام كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد**»، وذلك كله مطلوب ومحمود، ولكن الحماسة والغيرة وحدها لا تكفي بل لا بد من الانضباط الشرعي ومراعاة تحقيق المصلحة، فهذا الصحابي الجليل العباس بن نضلة قال في بيعة العقبة الثانية: «يا رسول الله لو شئت أن نميل على أهل الوادي

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم (٧٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب: من رأي مع امرأته رجلاً فقتله برقم (٦٣٤٠)، رواه مسلم، كتاب اللعان برقم (٣٧٥٥).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص٣٣).

ميلة واحدة لفعلنا، فقال ﷺ: «**إنا لم نؤمر بذلك**»، والرسول ﷺ طاف حول الكعبة في عمرة القضاء في العام السابع من الهجرة والأصنام حولها، ومظاهر الشرك موجودة، ولا شك أن الرسول كان يكره ذلك أشد الكره ويضيق به أعظم الضيق لكنه لم يعب تلك الأصنام ولا كسرها؛ لأنه كان في عهد وصلح مع كفار قريش، فكظم غيظه ووفّى بوعده، وبعد عام واحد دخل مكة في رمضان من العام الثامن للهجرة فاتحاً منتصراً، ثم أسقط بعصاه تلك الأصنام وحطمها وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

فوجود المنكرات يسبب عند البعض ردود فعل يكون فيها مبالغة وتجاوز للحد المشروع، ويتولد غلو في إنكار المنكرات قد يؤدي إلى مفاسد أعظم.

علاج الغلو في الإسلام:

الإسلام أبعد ما يكون عن الغلو، ثم إن شرائعه جاءت باليسر والسماحة، كما تضمنت أوامره ونواهيه الأمر بالتوسط والنهي عن الغلو، ومن ثم جاء منهج الإسلام في معالجة الغلو كاملاً شاملاً من جهة، ومحكماً وضابطاً من جهة أخرى، ونرى ذلك من خلال جانبين مهمين، الأول: جانب الوقاية والحماية بتشريع وتقرير كل ما يخالف الغلو ويمنع من الوقوع فيه، والثاني: جانب التحذير والتنفير من الغلو ببيان مخاطره وأضراره، وهذا بيان لكل جانب على حدة.

الجانب الأول: لقد قرر الإسلام العظيم النهج القويم المخالف للغلو والمجافاة وذلك من وجوه عدة:

أولها: الاعتدال والوسطية:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فأمة الإسلام أمة الوسط التي لا تجنح إلى أحد الطرفين الذميمين الإفراط والتفريط، أو التشدد والتسيب، وقد تكرر هذا المعنى في مواضع متعددة في القرآن الكريم وتناول أموراً كثيرة في سائر أحوال الناس دقيقها وجليلها: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ١١٠]، وهذا التوسط هو دأب سلفنا الصالح كما وصفهم عمر بن عبدالعزيز في بعض رسائله مبيناً حقيقة الإسلام في وصفه للسلف رضوان الله عليهم: لقد قصر دونهم أقوام فجفَوا وطمح عنهم آخرون فغَلَوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

قال ابن القيم: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين الضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد».

السمة الثانية: اليسر في الإسلام:

وقد جاءت الآيات بينة واضحة في إرادة اليسر وقصده ووصف الإسلام وتشريعاته به، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكما قال الحق سبحانه وتعالى في أصل هذا الدين ونعمة الله على البشرية ببعثة محمد ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إنها شريعة النبي محمد ﷺ التي ترفع الأغلال وتضع الإصر والأحمال والأثقال بما جاءت به من التيسير ورفع الحرج. وكما قال النبي ﷺ وهو أعظم الناس التزاماً بهذا الدين وأكثرهم أخذاً بشرائعه وعباداته مقرراً حقيقة هذا الدين: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»(١)، وقال ﷺ في بيان صفة بعثته ورسالته وهو يقول: «**إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً**»(٢)، وعندما سئل النبي ﷺ عن خير الدين أجاب بقوله: «**الحنيفية السمحة**» وقال النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر برقم (٣٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب: بيان أن تخيير أمرأته لا يكون طلاقاً برقم (٢٧٠٣).

فيما رواه الإمام أحمد والطبراني بسند رجاله ثقات: «**إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره**» واليسر المقصود هنا هو الذي نقل لنا التزامه وتطبيقه في سيرة النبي ﷺ وسنته.

ليس اليسر هو الترخص والتفريط الناشئ عن عجز الناس وخور هممهم وضعف عزائمهم وقلة تعلقهم بأمر الله وثوابه سبحانه وتعالى فإن ذلك عجز وليس يسراً وهذا أمر مهم في كل ما نذكره أن المقياس والمرجع في فهمه وتحديده هو الكتاب والسنة الثابتة.

وإليكم أمثلة وجيزة من سيرة النبي ﷺ لنرى تأكيده ﷺ على هذا اليسر والالتزام به فيقول: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[(١)] ولما جاءه الرجل يشكو إطالة إمامهم في الصلاة حتى شق عليهم قال ﷺ: «**أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**»[(٢)]، وعندما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري قال لهما: «**يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفرا، تطاوعا ولا تختلفا**»[(٣)]، وعندما رأى حبلاً متدلياً من إحدى سواري المسجد سأل عنه فقالوا: حبل لزينب (أم المؤمنين) تصلي فإذا تعبت تعلقت به فقال: «**ليصل أحدكم نشاطه فإذا تعب فليرقد**»[(٤)] وكذلك كان موقفه ﷺ حينما رأى رجلاً واقفاً في الشمس، وكان قد نذر ألّا يتكلم ولا يستظل، فقال ﷺ: «**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**» قال ابن حجر: «إن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب ولا سنة كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله فلا ينعقد به النذر»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التمنّي، باب: ما يجوز من اللَّوْ برقم (٦٦٩٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب: تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود برقم (٦٦١)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام برقم (٧١٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب برقم (٢٨١١) ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير برقم (٣٢٦٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب: مايكره في التشدد في العبادة برقم (١٠٨٢).

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب: من رأى عليه كفّارة إذا كان في معصية برقم (٢٨٧٠).

السمة الثالثة: السماحة:

وهي سمة تدل على ذلك اليسر وتظهر في أصول الأمر والتشريعات كما قال الله سبحانه وتعالى في شأن الأمر الأعظم في حياة الأمة ودورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

سماحة في عرض هذا الدين وفي الدعوة إليه وفي البيان له حتى تقتنع به العقول وتقبل عليه القلوب وتتعلق به النفوس وتلتزمه الجوارح وتتحرك به لإعلانه ونشره والدعوة إليه والله سبحانه وتعالى يبين ذلك في قصة موسى عليه السلام مع الطاغية الذي بلغ به الطغيان أن قال أنا ربكم الأعلى، جاء الأمر إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

السمة الرابعة: الاستقامة:

والاستقامة هي ملازمة النهج الصحيح الذي ثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولقد أمر الله سبحانه نبيه المصطفى ﷺ بذلك أمراً وضحاً في دلالته على الوسطية والسماحة واليسر بعيداً عن تلك الأطراف الذميمة من الإفراط والتفريط أو الغلو والتشديد فقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ [هود: ١٢١]، أي لا تزيدوا عن الحد ولا تتجاوزوه حتى في معاملة الأعداء فإن من سمة أهل الإسلام العدل والإنصاف والاستقامة كما قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

فليس ثمة طغيان وليس ثمة تفريط وترك واتباع للأهواء وموافقة للأعداء كما قال ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير دينكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(١)، فهذا القول: «**استقيموا ولن تحصوا**» أي لن تستطيعوا البلوغ إلى الكمال، فاستقيموا ـ كما جاء في الحديث الآخر ـ تفسيره: «**سددوا وقاربوا**» أي: اجتهدوا ليس المقصود باليسر والسماحة الأخذ بالأدنى بل قد كان رسول الله ﷺ هو المثل في الأخذ بالأعلى من الأمر المشروع والعبادة العظيمة مع ما كان له من خصائص لم يشاركه فيها غيره من الصحابة.

(١) سبق تخريجه.

الجانب الثاني: جانب النهي عن الغلو:

وقد جاء النهي عن الغلو في أساليب شتى منها:

الأسلوب الأول: النهي عن التجاوز والدعوة إلى الالتزام، وهذا هو الضابط الأساسي في الفهم والعمل لقضية الغلو، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وحذر ﷻ من ذلك التعدي والتجاوز فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] والرسول ﷺ يؤكد هذا المعنى فيقول: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[١].

الأسلوب الثاني: التحذير من الغلو بالنص على النهي عنه في الشرائع السابقة: كما ورد ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وبيّن الله ﷻ صوراً من آثار ذلك الانحراف من الناحية العملية وأنكر ذلك وحذر منه كما في قوله:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

والنبي ﷺ حذر من ذلك عندما ربط نهيه بالتشبيه بما كان من الأمم السابقة فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**»[٢] أي عندما قالوا: المسيح ابن الله، أو قالوا المسيح هو الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الأسلوب الثالث: النهي عن الغلو في صوره العامة كلها صغيرها وكبيرها: لأن النهي عن الغلو في صغائر الأمور هو من باب أولى نهي عن الغلو في الأمور

---

(١) أخرجه الدارقطني من حديث أبي ثعلبة.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ برقم (٣١٨٩).

الكبيرة، ولأن النهي عن المقدمات منع للوصول إلى النتائج ولأن منهج الإسلام منهج متكامل فيه وقاية وحماية كما فيه علاج من بعد وقوع الضرر أو الأذى.

ومن ذلك ما ورد في الصحيح عن ابن عباس في حجة الوداع أن النبي ﷺ أمره أن يلتقط له الحصى التي يرمي بها في منى، قال: فالتقطت له حصيات كالخذف أي: صغيرة في حجمها كما هو معروف، فقال النبي ﷺ: «**نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين**»[1]، رغم أن المسألة في ظاهرها يسيرة وهي تحديد حجم الحصى، ولكنه ﷺ حذر من الغلو حتى لا يأخذ الناس كبار الحجار ظنًّا منهم أنها أبلغ في تحقيق المراد بأمر الله فنهى عن ذلك ثم جعل النهي عن الغلو عامًّا رغم أن الحدث خاص ورغم أن المسألة ربما تعد مقارنة بغيرها يسيرة فقال: «**إياكم والغلو في الدين**»[2] كما بين أهل العلم في شرح الحديث قالوا: وإن كان الأمر خاصاً فإن النهي عام عن كل ما فيه غلو وتجاوز للحد المشروع في صغير الأمور وكبيرها.

الأسلوب الرابع: التحذير والتنفير من الغلو ببيان سوء عاقبته وخطورة مغبته وأنه لا يؤدي حتى إلى مقصود صاحبه: فإن المتشدد في العبادة أو الطاعة فوق الحد المشروع إنما يريد التقرب إلى الله والاستزادة من الخير ومضاعفة الأجر والثواب، لكن النتيجة التي أخبر بها الشارع تؤدي إلى غير ذلك فجاء التحذير من هذا الغلو ببيان عاقبته السيئة الوخيمة كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ إذ يقول ويكرر: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»[3] والهلاك هنا معناه عامٌّ فقد يهلك فينقطع عن تلك الطاعات والعبادات ويعجز عنها وقد يهلك بانحرافه في اعتقاده ومخالفته لأمر الله وهدي رسوله ﷺ وقد بيّن صفة ذلك الرسول ﷺ عندما قال: «**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**» إن المنبت في صفة السفر لا يريد أن يرتاح، يريد أن يبلغ الغاية في أقصر وقت وبأعلى قوة وهمة، فإذا به ينقطع في وسط طريقه لا يستطيع الاستمرار ثم يفقد الوسيلة التي بها يسير إلى الغاية؛ إذ تنقطع دابته أو تهلك، فيكون هلاكه حينئذ مقطوعاً به.

(١) رواه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى برقم (٣٠٠٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم، كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون برقم (٤٨٢٣).

ويقول ﷺ: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً قد تشددوا فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**»، وهذا أمر واضح ومهم وبيّن وله كثير من الأدلة التي تبينه.

بعض صور الغلو ومخاطرها:

صور الغلو كثيرة، وسنذكر منها ثلاثة أولها: التكفير، وثانيها: التشديد في العبادة، وثالثها: المبالغة في الزهد.

الصورة الأولى: التكفير:

إن أعظم صور الغلو تكفير المسلم، والتكفير هو الحكم بكفر المسلم وسلب اسم الإيمان والإسلام عنه.

ويمثل التكفير الغاية العظمى في الغلو لما يترتب عليه من استحلال دم المسلم وعرضه وماله وتنزيله منزلة الكافرين بل ما هو أشد لأنه ينزل منزلة المرتدين الذين كفروا بعد إسلامهم، ودونه مراتب قد تكون أخف ضرراً وأهون شرًّا.

يقول الحق ﷻ محذراً المؤمنين من تكفير من يعلن إسلامه قبل التثبت ولو كان في أصعب الأوقات وقت الحرب والقتال الذي يصعب فيه البحث والتثبت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النساء: ٩٤].

قال المفسرون: السلام يعني الإسلام بدليل قوله لست مؤمناً، والمعنى لا تقولوا لمن أظهر الإسلام لست مؤمناً تسلبون عنه صفة إسلامه وإيمانه، وقيل السلام تحية الإسلام وهي السلام فمن ألقى عليكم السلام وأظهر بذلك شعار المسلمين فلا تقولوا لست مؤمناً، وقيل السلام بمعنى الاستسلام، أي: الخضوع لسلطان الإسلام وإن لم يدخل فيه فإن الإسلام يحقن دمه ويحفظ عرضه وماله ويعظم له حقه بل ويحافظ عليه.

نصوص في التحذير من التكفير:

وقد وردت في التحذير من التكفير نصوص كثيرة منها:

ما رواه أبو ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من دعا رجلاً بالكفر أو**

قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه»[1]، أي: إلا رجع عليه ذلك الوصف.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن من قال: لا إله إلا الله لا يكفره بذنب ولا يخرجه من الإسلام والجهاد ماض إلى يوم القيامة منذ أن بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والإيمان بالقدر**»[2] رواه الترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وصححه.

قال ابن أبي العز ـ رحمه الله: واعلم ـ رحمك الله وإيانا ـ أن باب التكفير عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراء، وتشتتت فيه الأهواء والآراء.

وقال ابن تيمية: أما من في قلبه الإيمان بالله والإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع فهذا ليس بكافر أصلاً والخوارج من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها ولم يكن في الصحابة من كفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره بل حكموا فيهم بحكمهم للمسلمين الظالمين المعتدين.

وأخطار التكفير كثيرة منها:

ـ **أنه يؤدي إلى استحلال الدماء والأعراض والأموال**، بالتأويلات البعيدة والفهم الفاسد، فلا تبقى حينئذ عصمة لنفس مؤمنة ولا دم حرام، وينفرط العقد، ويحصل من الفساد ما الله ﷻ به عليم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً الخلل الذي يستند إليه أهل التكفير في أفعالهم: طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويبنون على هذا التكفير قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان ثم قال: يكفرون الناس ابتداء ويبنون على ذلك استحلال الدماء والأموال فاستحلالهم دماء المسلمين نتيجة لغلوهم وابتداعهم إذ يرون من ليس على طريقتهم خارجاً عن الدين حلال الدم وهذا شأن المبتدعة.

قال أبو قلابة ـ رحمه الله: ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف.

---

(١)(٢) رواه مسلم، الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٩٣).

- **الخروج على الأئمة ونقض الطاعة** في بلاد مسلمة تعلن الإسلام أو تظهره وترفع شعائره وتقيم أحكامه، وإن كان فيها تقصير؛ لأن السبيل الصحيح لمعالجة الأخطاء هو سبيل الإصلاح والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالوسائل والضوابط الشرعية.

قال عبادة بن الصامت ﷺ: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً لكم عليه من الله برهان».

وقد ذكر علماء الإسلام أنه ينبغي مراعاة المصالح والمفاسد، بل قرروا أنه إن ثبت الكفر البواح فإن معالجته ومناهضته بالقتل والقتال إذا كان يفضي إلى المفاسد الأعظم من اختلال الأمن وإزهاق الأنفس وسفك الدماء وعدم تحقق المقصود أنه منهي عنه شرعاً لما يترتب عليه من الفساد.

يقول ابن أبي العز - رحمه الله -: وأما لزوم طاعتهم - أي: الأئمة - وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم لما في الصبر على جورهم من تكفير السيئات ومضاعفة الأجور.

ويقول ابن تيمية: وإن ما أمر به الرسول ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وترك الخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد:

وقال: ولا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا كان ذلك من الفساد لا من الصلاح.

وهذا أمره عظيم والأحاديث التي وردت عن رسول الله ﷺ في ذلك كثيرة وبعض الناس يفهمها فهماً خاطئاً كما في حديث حذيفة المشهور عندما قال له الرسول: «**تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**»، أي: تصبر ولا تنزع يداً من طاعة، قال الشوكاني: «قوله وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع فيه دليل على وجوب طاعة الأمراء وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم فيكون هذا مخصصاً لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠][1].

ولا يفهم من ذلك الاستسلام والسلبية، ولا الرضى والسكوت والإقرار بالأخطاء ولا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما المقصود النهي عن صورة محددة لها مفاسد ومخاطر عظيمة وهي الخروج عن الطاعة والمقاتلة؛ لأن مفاسدها في الجملة أعظم ولا يحصل بها المقصود الذي يزعمه أو يظنه صاحبه.

وأما ما وراء ذلك من الإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح والإرشاد والتعليم وقول الحق فإنه مطلوب بمراعاة الضوابط والآداب الشرعية، وكان كبار الأئمة قالوا بأقوال وخالفوا في مسائل لكنهم لم يخرجوا عن سلطان الأئمة مادامو مظهرين للإسلام ورافعين لرايته وظاهرة في بلادهم شعائره.

الثالث: إذهاب نعمة الأمن، ونشر الخوف وترويع الآمنين: مع أن نعمة الأمن والرزق من أعظم المنن التي منَّ الله بها على العباد عموماً، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ٣ ـ ٤] لكن منهج التكفير يذهب بهذه النعمة ولا يقيم لها حرمة ولا يرعوي من هول وعيد الآيات العظيمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

وفي حديث بريدة رضي الله عنه كان الرسول ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال في شأن القتل والجهاد والقتال:

«اغزوا باسم الله في سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً» رواه مسلم في صحيحه.

إن كان هذا في شأن القتال وفي ميادينه مع أهله المستحقين له فكيف يكون الحال في قتل المسلمين الذي تحصل به الفوضى ولا يأمن الناس بسببه على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) نيل الأوطار (٧/٣٦٠).

الصورة الثانية: التشديد والمبالغة في العبادة بتجاوز الحد المشروع: لا بد أن نعلم أن الله شرع للإنسان ما يصلحه ويصلح له، وجعل شرائعه مناسبة لطاقة الإنسان، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والزيادة على المشروع محرمةٌ ومنهيٌّ عنها.

عن عائشة أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «**من هذه**»؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «**مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا**»[١] قال ابن حجر: «أَيْ: اِشْتَغِلُوا مِنْ الْأَعْمَال بِمَا تَسْتَطِيعُونَ الْمُدَاوَمَة عَلَيْهِ، فَمَنْطُوقه يَقْتَضِي الْأَمْر بِالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يُطَاق مِنْ الْعِبَادَة، وَمَفْهُومه يَقْتَضِي النَّهْي عَنْ تَكَلُّف مَا لَا يُطَاق» (الفتح).

ولما أراد بعض الصحابة أن يواصلوا الصوم كما كان يفعل ﷺ نهاهم عن ذلك لأنه ليس مشروعاً لهم، وقال: «**إني لست كهيئتكم إني يطعمني ربي ويسقيني**»[٢]، وفي رواية أحمد قال: «**لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر**»[٣].

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال: فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إلي فأتيته فقال لي: «**ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟**» فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال: «**فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام**» قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً**» قال: «**فصم صوم داود نبي الله ﷺ فإنه كان أعبد الناس**» قال: قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: «**كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**» قال: «**واقرأ القرآن في كل شهر**» قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل عشرين**» قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل عشر**» قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك**

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه برقم (٤١).
(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام برقم (١٨٢٨).
(٣) رواه أحمد برقم (١٠٦٣٣).

حقاً ولجسدك عليك حقاً»[1].

وهذه النصوص كلها واضحة في أن المبالغة والزيادة عن المشروع غلوٌّ منهيٌّ عنه، وله مخاطر منها:

١ ـ **الانقطاع عن العبادة والتقليل منها**: لأن الزيادة الكثيرة غير المشروعة لا يستطيع الإنسان الاستمرار عليها، بل ـ في كثير من الأحوال ـ يملّ ويتعب وتثقل عليه الطاعة، ثم يؤول به الحال إلى الانقطاع عنها وعن ما دونها من العبادة المشروعة.

٢ ـ **التنفير من العبادة**: إذا كان الغالي مقدماً في الناس وقدوة لهم، فإن كان إماماً وطوّل الصلاة، أو خطيباً وطوّل الخطبة، ونحو ذلك فإنه يشق على الناس ثم يؤول الحال إلى نفرتهم وضيقهم بالطاعة.

٣ ـ **الإخلال بالحقوق الواجبة الأخرى**: إذ أن الزيادة عن الحد غالباً ما يقابلها نقص عن الحد المطلوب المشروع في جانب آخر، فمن زاد عن المشروع في العبادة ربما فرط في حق زوجته، وضيع أمانته على أبنائه ونحو ذلك من الحقوق.

الصورة الثالثة: **المبالغة في الزهد في الدنيا**: لا شك أن الزهد في الدنيا والتخفف منها مطلوب، وهو من أساليب تربية النفس، لكن تجاوز ذلك إلى أن يصل الغلو إلى تحريم بعض المباحات، أو تحميل النفس ما تطيقه من التخلي عن أمور مهمة أو ضرورية من مطالبها وحاجاتها الفطرية من طعام أو شراب ونحوهما، هذا التجاوز محرم ومنهي عنه بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وفي الحديث أن سعد بن أبي وقاص قال: «لقد رد ذلك يعني: النبي ﷺ على عثمان بن مظعون ولو أجاز له التبتل لاختصينا» (متفق عليه)، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما بال أقوام يتنـزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[2].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصوم، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت برقم (١٩٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو برقم (٦٧٥٧).

وقد ضرب النبي ﷺ المثل من نفسه في أحسن صور الاعتدال، فهو في الزهد أزهد الزاهدين وهو القائل: «**ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» والقائل: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، ومع ذلك كان يقول: «**حبب إلي من الدنيا النساء والطيب**»، وهو الذي قال للنفر الثلاثة: «**أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

المبالغة في تحريم المباح من الدنيا له مخاطر منها:

١ - عدم القدرة على الاستمرار؛ لأن ذلك مناقض للفطرة، فالمسلم له غريزة وميل وشهوة، والإسلام جاء بما يشبع الغرائز وفق أحكام الشريعة، فَتَرْك ذلك على سبيل الدوام غير ممكن، وقد يحصل بسببه ردة فعل تقود إلى الانغماس في الدنيا والغرق في بحار شهواتها.

٢ - تشويه صورة الإسلام والتنفير منه، إذ يُظهر هذا السلوك أن الإسلام دين يحرم الطيبات ويجرم المتعة وينعزل عن الحياة، وذلك كله غير صحيح.

المسألة الثامنة: بين العقل والنقل

«العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية، إلا أنه ليس مصدرًا مستقلاً؛ بل يحتاج إلى تنبيه الشرع، وإرشاده إلى الأدلة؛ لأن الاعتماد على محض العقل، سبيل للتفرق والتنازع»(١)، فالعقل لن يهتدي إلا بالوحي، والوحي لا يلغي العقل.

هذا المدخل ينير لنا الطريق ويبعد التناقض والتعارض، فلا العقل مستقل بالمعرفة الكاملة، ولا الوحي مبطل لدور العقل وفائدته.

ولنبدأ ببيان ما المراد بالعقل وما المراد بالنقل:

العقل في اللغة: مصدر عقل يعقل عقلاً، وأصل معنى العقل المنع، يقال:

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٣.

عقل الدواء بطنه أي: أمسكه، وهو مأخوذ من عقال البعير الذي يمنعه من الحركة؛ لأن العقل يمنع أصحابه من العدول عن سواء السبيل[1].

والعقل في الاصطلاح: «جوهر تُدرك به الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة»[2]، وقيل هو: «ملكة يقع بها العلم بالضروريات والاستعداد لاكتساب النظريات»[3].

النقل في اللغة:

النَّقْلُ: تحويلُ الشيء من موضع إلى موضع، نَقَله يَنْقُله نَقْلاً فانتَقَل[4].

وفي الاصطلاح: المراد به هنا ما صحّت نسبته إلى النبي ﷺ من الوحي الذي أخبر به عن الله تعالى، من القرآن والسنن الثابتة عنه ﷺ.

وسميت النصوص الشرعية نقلاً باعتبار انتقالها من السماء إلى الأرض عن طريق جبريل عليه السلام بنزوله بالوحي على المصطفى ﷺ وهو بدوره ﷺ نقله إلى صحابته وأمته.

منـزلة العقل في الإسلام:

الإسلام جعل للعقل مكانة كبيرة في مجال التدبر والتفكر، ومجال الاستنباط وعمران الأرض، ووردت الآيات القرآنية بذلك بوجوه مختلفة ومنها:

١ ـ خص الله أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة: قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال السعدي: «يا أولي الألباب: أي: يا أولي العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأي»[5].

---

(١) انظر لسان العرب مادة (عقل) (١١/٤٥٨)، انظر تعريفات الجرجاني (ص: ١٩٧).

(٢) الكليات لأبي البقاء (ص٦٧).

(٣) انظر تعريفات الجرجاني (ص١٩٧).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١١/٦٧٤).

(٥) تفسير السعدي (ص٩٢).

٢ ـ قصر الله الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، قال القرطبي: «عبرة» أي: فكرة وتذكرة وعظة «لأولي الألباب» أي: العقول، وبعد ذكر عذاب قوم لوط وما نزل بهم قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت: ٣٥][١].

٣ ـ كرم الله العقل وجعله مناط التكليف: عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل**»[٢].

لذلك قال الفقهاء: مناط التكليف العقل[٣] فإذا أخذ ما أوهب (أي العقل) أسقط ما أوجب (أي: التكليف).

٤ ـ ذم الله المقلدين لآبائهم: ذلك أنهم بتقليدهم لآبائهم ألغوْا عقولهم، وتنكروا لأحكامها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

٥ ـ تحريم الاعتداء على العقل: جعل الإسلام الجناية على العقل كبيرة من الكبائر فحرم الخمر وكل مسكر يذهب العقل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة**»[٤]، والاعتداء على العقل في الشريعة جريمة توجب الحد بالجلد لشارب الخمر.

٦ ـ رفض ما لا يستند إلى العقل من الخرافات والأوهام: شدد الإسلام في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول، وتنفر منه كالتطير والتشاؤم والاعتماد على الكهنة والعرافين والمنجمين، وكذلك النهي عن الرمل والودع والخرافات والأوهام بكل صورها وأشكالها.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦٧٤/١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الحدود، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد برقم (١٣٤٣).

(٣) حواشي الشرواني (٢٩١/١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب: بيان أن مسكر خمر وكل خمر حرام برقم (٣٧٣٣).

٧ ـ جعل الإسلام للعقل مجالاً واسعاً في تدبر آيات الكون لمعرفة قدرته وعظمته ﷻ، والتدبر في السنن الكونية والبشرية للإعمار والاعتبار، والتدبر في التشريع لمعرفة رحمة الله وحكمته.

طرق المعرفة في الإسلام:

اعتمد الإسلام في الوصول إلى المعرفة على طريقين اثنين:

١ ـ **طريق الوحي**: وهو الخبر الصادق عن الله الذي بلغنا عن طريق النبوة والأنبياء.

٢ ـ **طريق التجربة** التي تجمع بين الحس والعقل، وهنا تظهر وسطية الإسلام في الجمع بين النقل والعقل.

قال ابن تيمية: «العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين فان اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها»(١).

دور العقل في مجالات العلوم:

العلوم ثلاثة أقسام:

١ ـ **العلوم الضرورية**: وهي التي لا يمكن التشكيك فيها؛ إذ أنها تلزم جميع العقلاء ولا تنفكّ عنهم؛ كعلم الإنسان بوجوده، وأن الاثنين أكثر من الواحد، وكعلم أن السماء فوقنا والأرض تحتنا، إلى غير ذلك مما يسمى بقوانين العقل الضرورية.

٢ ـ **العلوم النظرية**: وهي التي تكتسب بالنظر والاستدلال، وهذا النظر لا بد في تحصيله من علم ضروري يستند إليه حتى يعرف وجه الصواب فيه، ويدخل في هذا القسم كثير من العلوم، كالطبيعيات والطب والصناعات، فهذه للعقل

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

مجال رحب في معرفتها وإدراكها والتوسع فيها.

٣ ـ العلوم الغيبية: وهذه لا تُعلم بواسطة العقل المجرد وحده، بل لا بد للعقل إذا أراد أن يعلمها أن يكون له طريق آخر للعلم بها، كعلمه بما يكون في البلد القاصي عنه، وعلمه بما في اليوم الآخر من بعث وحساب وجزاء، وهذا لا يعلم إلا عن طريق الخبر، ويدخل في هذا القسم مسائل الاعتقاد لا سيما التفصيلية منها، فهذه لا يستقل العقل بمعرفتها، بل لا بد من اعتماده على الوحي[(١)]، وأعظم ذلك التفكر في ذات الله وصفاته، ويدخل فيه التفكير في القدر والخوض فيه والإحاطة به، فهذه طريق العقل إليها خبر الوحي الصادق.

ثم إن كثيرًا من مسائل الاعتقاد بعد معرفتها والعلم بها لا تدرك العقول حقيقتها وكيفيتها، وذلك كصفات الله تعالى وأفعاله، وحقائق ما ورد من أمور اليوم الآخر من الغيبيات التي لا يحيلها أو يردها العقل، ولا يوجبها أو يطلبها.

«ولهذا ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن الكريم لتقرير مسائل الغيب، تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها»[(٢)].

قدرات العقل والحواس الخمس محدودة:

ولمعرفة حقيقة مجال العقل ومحدوديته فإننا نقول: إن الحواس كلها لها طاقة محدودة، ومقدرة معينة لا تستطيع تجاوزها فكل حاسة تتجاوز مجال قدرتها لا تصل إلى المراد ويلحقها الضرر، فعلى سبيل المثال العين تبصر وترى الأشياء لكنها رغم سلامتها لا تستطيع أن ترى الميكروبات الدقيقة رغم أنها موجودة، ولا تستطيع أن ترى الأشعة تحت الحمراء أو فوق البنفسجية وهكذا، وذلك أن لها مجال وقدرة محددة، وإذا أرادت أن تخرج عن هذا أصابها الضرر ولم تحقق المقصود، فلو أن إنساناً أصرّ على أن يعرف حقيقة الشمس بعينه وحدّق فيها في وقت الظهيرة فإنه لن يصل إلى مبتغاه وسوف يضر عينه، وهكذا بقية الحواس

(١) انظر الاعتصام للشاطبي (٢/٣١٨ ـ ٣٢٢).

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن (١/١٧٨).

كالأذن وغيرها. والعقل كذلك له طاقة وقدرة محددة ولا يستطيع أن يخضع كل المعارف وحقائقها لقدرته، والناس يؤمنون ويسلمون بأمور لا تدركها حواسّهم ولا تحيط بها عقولهم، فعلى سبيل المثال الجاذبية الأرضية تقبلها العقول، وإن كانت لا تستطيع معرفة حقيقتها، والكهرباء عبارة عن انتقال الإلكترونات من القطب السالب إلى الموجب لكن تعجز العقول عن معرفة كنهها، وكذلك العين ترى السراب وتظن أن ما تراه ماء، ولكن العقل من واقع التجربة ينكر دلالة الحواس، ومثل ذلك القلم إذا وضع في الماء بدا للعين منكسراً ومتعرجاً وهو في العقل ليس كذلك.

ومن هنا فإن العقل له دائرة لا يستطيع أن يخضعها لمجال عمله ومن ذلك أمور الغيب، ويمكننا أن نقول قاعدة نصها: «**أن ما دخل في دائرة الغيب خرج من دائرة العقل**»، فعلى سبيل المثال الميت إذا وضع في قبره رُدّت إليه روحه وجاءه الملكان، فيُجلسانه ويسألانه كما هو معروف في نص الحديث الصحيح، فكيف هي عودة الروح؟، ولماذا لا يصيح الميت ويطلب الخروج؟ وكيف يفسح له في قبره مدّ بصره إذا كان من أهل النعيم؟ كل ذلك لا يمكن تفسيره ومعرفته بالعقل، فالعقل مجال عمله دائرة الشهادة وأما الغيب فلا.

ومثل ذلك يمكن أن يقال في مثال أقرب وهو مثال الرؤى التي يراها النائم، وكيف نستطيع أن نفسر أن النائم إذا رأى في المنام أنه يجري استيقظ وهو يلهث؟ ما صلة الرؤيا بعالم الشهادة؟

إذاً المطلوب في أمور الغيب ما دامت جاءت من طريق الوحي أن يقبلها العقل ويسلم بها، ولا يخوض في معرفة كنهها، ولو فعل ذلك لما وصل إلى نتيجة، ولأضر ذلك بعقله، كما قلنا بشأن العين عندما تحدق في الشمس، وهذا الذي حصل للفلاسفة وغيرهم ممن أرادوا أن يعرفوا بعقولهم ما وراء عالم الشهادة.

وفي ضوء هذا نفهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وعلى هذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم، وقفوا بعقولهم عند حدها ولم يخوضوا بها في ميادين الغيب الفسيحة، حيث لم يدخلوا في التفكير في ذات الله، ولا في كنه وكيفية صفاته، وزجروا عن ذلك ومنعوا منه فسَلِمُوا من الشكوك والشبهات، واطمأنت قلوبهم بالإيمان واليقين.

وقال صاحب الطحاوية: «فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم مشتبه عليه إلى عالمه» قال الشارح أي: «سلّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة... فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمّله شبهة أو شكاً، أو نقدم آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحد بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

وقال الطحاوي أيضاً: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام» قال الشارح: «أي: لا يثبت إسلام من لم يسلّم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه».

روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري ـ رحمه الله ـ أنه قال: «من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم»، وهذا كلام جامع نافع[1].

النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح:

ومما ينبغي اعتقاده أن نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة؛ ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالا وتفصيلاً، فأما الإجمال: فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول ﷺ، فيلزم من ذلك تصديقه في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة.

وأما التفصيل: فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل؛ بل كل ما أدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقًا وتعضيدًا، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائلها، فهذا لعظم الشريعة، وتفوقها، ومع ذلك فليس في العقل ما يمنع وقوع تلك المسائل التي عجز العقل عن إدراكها، فالشريعة قد تأتي بما يحير العقول لا بما تحيله العقول.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٢١٦ ـ ٢١٧ ـ ٢١٩).

فإن وجد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل، «فلا بد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون أحد الدليلين قطعيًا والآخر ظنيًا، فيجب تقديم القطعيّ نقليًّا كان أم عقليًا، وإن كانا ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقليًّا كان أم نقليًّا.

الثاني: أن يكون أحد الدليلين فاسدًا، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقليًّا أم عقليًا.

الثالث: أن يكون أحد الدليلين صريحًا والآخر ليس بذاك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفي من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بيّنًا وواضحًا عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذٍ.

أما أن يكون الدليلان قطعيين ـ سندًا ومتنًا ـ ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبدًا، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلي وعقلي»(١).

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب: «أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه»(٢).

وقد أعمل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هذا الأصل، وتلقاه عنهم التابعون، وتواترت عبارات أهل العلم بهذا المعنى.

قال الإمام مالك ـ رحمه الله: «أوكلما جاء رجل أجدل من الآخر، رد ما أنزل جبريل على محمد ﷺ»(٣).

وقال الإمام الشافعي: «كل شيء خالف أمر رسول الله ﷺ سقط، ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر هو به»(٤).

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٣٦٦/١).

(٢) درء التعارض لابن تيمية (٢٣١/١ ـ ٢٣٢).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١ /١٤٤).

(٤) الأم للشافعي (١٩٣/٢).

ومن ثمرات الالتزام بهذه القاعدة، إثبات عصمة الشرع الحكيم؛ إذ ليس فيه ما يخالف العقل الصحيح، وسدّ باب التأويل والتفويض، واستقامة الحياة على الوجه الأتمّ الأكمل عند نفي التعارض بين وحي الله تعالى وخلقه، فتنعم البشرية بهدي الله وشرعه.

والذين يقولون بتحكيم العقل نحاجّهم بالعقل نفسه فنقول:

- إن العقول تقرّ وتسلم بأن بينها تفاوتاً واختلافاً، في قوتها وقدرتها، فأيّ عقل هو الذي سيكون المرجع الذي يحتكم إليه عند معارضته للنص؟

- إن العقل نفسه يغير في نظره وحكمه بحسب ما يجدّ له من معرفة أو ما يتوصل إليه بعد المراجعة والتأمل، ومعنى ذلك أننا سنأخذ اليوم قولاً وربما في الغد يأتينا العقل بقول آخر، كما أنه من خلال تفاوت العقول ستكون لدينا آراء وأقوال كثيرة، وهذا يفضي إلى الاضطراب والحيرة، ثم أحياناً يكون بين آراء تلك العقول متناقضات لا يمكن الجمع بينها.

- التجربة تشهد أن الذين خاضوا في تحكيم العقل وتحكّمه في النص ضلُّوا، وبعضهم رجعوا وأقروا بخطأ هذا المنهج ولزوم التسليم للشرع المعصوم كما ذكرنا سابقاً.

وأخيراً فإنه لا بد من اليقين بأن ما جاء به الشرع المعصوم هو الكمال المطلق، الذي تتحقق به المصالح، وتندفع به المفاسد، ويتفق مع الفطر السليمة والعقول الرشيدة، وأنه يحق لنا أن نحمد الله ﷻ على نعمة الدين والعقل معاً إذا كان عقلنا على منهج الصواب في ديننا، فكل ما حرمه الإسلام شهدت العقول بمضرته، وتقدُّم العلوم يكشف المزيد لكل ذي عقل حصيف، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ومنها تحريم الخمر ولحم الخنزير والربا والسفور والاختلاط، ولا بد أن نسلم ونقتنع بعقولنا أن مخالفة الشرع تحصل بها المفاسد، وتتكدر بها الحياة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

ومن نعمة الله على أهل الإسلام أنه كفاهم أمر الغيب، فأنزل عليهم القرآن، وتكفل بحفظه وأرسل إليهم الرسول ﷺ وحفظ سنته، فكفاهم أمر الغيب والدين والعبادة، حتى لا ترهق عقولهم بالبحث فيما لا تستطيع وحتى تفرغ

عقولهم للتفكير في شؤون دنياهم واستخراج خيرات الأرض.

ولذا ينبغي البعد عن خوض العقول في هذه المتاهات الغيبية، بل ينبغي الترفع عن إشغال العقول في المسائل الجدلية التي لا طائل من ورائها، قال ابن حجر ـ ذاكراً أمثلة مما ينبغي عدم خوض العقول فيها ـ: «ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع وهي نادرة الوقوع جداً، فيصرف فيها زماناً كان صرفه في غيرها أولى... وأشد من ذلك في كثرة السؤال البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها... وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة»[(١)].

فالمؤمن الحق يسلم عقلياً ونفسياً بكل ما ورد به النقل، مما لا مجال للعقل فيه من أمور العقائد والغيبيات، ويستخدم عقله فيما ندبه الله إليه من التفكر والتأمل في الخلق والكون، والبحث والاستنباط في أدلة ونصوص الأحكام الشرعية، والتركيز والإبداع في استخراج خيرات الأرض وتطوير علومها وعمرانها.

● ● ●

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢٦٧/١٣).

خلاصة الوحدة الرابعة

المسألة الأولى: العلاقة بين العقيدة والشريعة

تتمثل الصلة بين العقيدة والشريعة في جانبين:

الجانب الأول: وحدة العقيدة في الرسالات الإلهية، وهي رسالة التوحيد وعبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

الجانب الثاني: الصلة القوية بين الجانب العقدي وجانب الشرائع والأحكام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

يشتمل الدين الإسلامي من الناحية الموضوعية على قسمين:

١ ـ قسم الاعتقاد. ٢ ـ قسم التشريع.

تتضح الصلة بين العقيدة والشريعة من عدة نقاط:

١ ـ أن العمل بدون عقيدة صحيحة لا طائل من ورائه، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

٢ ـ ورود أحكام الإسلام مرتبطة بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

٣ ـ قيام الأحكام الشرعية على التذكير الدائم بعقد الإيمان، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

٤ ـ أن لفظ الإيمان إذا أطلق فلا يقتصر على اعتقاد القلب بل يشمل القول والعمل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٥ ـ أن المخالفات التي يرتكبها المسلم كلها ذات صلة بالإيمان.

المسألة الثانية: حرية الاعتقاد في الإسلام

سلك الإسلام طريقين لحماية حرية الاعتقاد:

أولهما: منع الإكراه على الدين، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ثانيهما: أن الإسلام أوجب على صاحب العقيدة أن يفرَّ بعقيدته إذا أحس بعدوان عليها أو مصادرة لها، فإن لم يفعل كان آثمًا وظالمًا إلا إذا كان عاجزًا عن الهجرة بدينه والفرار بعقيدته، وذلك يدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

تقوم حرية الاعتقاد في الإسلام على أسس متينة وركائز قوية منها:

١ ـ اعتبار كرامة الإنسان أساسًا في معاملته، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢ ـ الاعتراف بالاختلاف كسنّة كونية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨].

٣ ـ إقرار العدل كأساس في العلاقة بين الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

٤ ـ أساس الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

المسألة الثالثة: الكبائر وصلتها بالعقيدة

ـ الكبائر هي كل ما يترتب عليه حدٌّ في الدنيا أو جاء فيه وعيد الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن.

ـ مرتكب الكبيرة ليس منافقًا محضاً في الدرك الأسفل من النار. كما أنه ليس من المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [لأنفال: ٤].

ـ وجوه مجانبة الصواب في الحكم على مرتكب الكبيرة:

١ ـ مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار.

٢ ـ مرتكب الكبيرة مؤمن بإطلاق ومستحق للمغفرة.

ـ والمذهب الحق هو المذهب الوسط بين الغلوّ والتفريط وهو القائل:

١ ـ إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

٢ ـ إن مرتكب الكبيرة إن مات غير تائب فهو في مشيئة الله.

٣ ـ إن النبي ﷺ يشفع في أهل الكبائر وإنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد.

٤ ـ إن الشفاعة ثابتة لصالحي المؤمنين.

المسألة الرابعة: تحكيم الشريعة

ـ من صلب قضايا العقيدة تحكيم الشريعة في واقع الحياة وفي جميع مجالاتها.

هناك صلة وثيقة بين تحكيم الشريعة وتوحيد الألوهية ودليل ذلك:

١ ـ ربط القرآن الكريم بين تحكيم الشرع وقبوله والتسليم به وبين الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

٢ ـ الربط بين الإيمان وبين ردّ التنازع إلى الله تعالى ورسوله، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

٣ ـ التأكيد على أن التشريع حق الله تعالى ومن لوازم ألوهيته، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

٤ ـ وصف التحليل والتحريم المأخوذ عن غير الله تعالى بأنه عبادة لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

المبدّل لشرع الله تعالى له حالتان:

الأولى: من حكم بغير ما أنزل الله تعالى جاحدًا، فهو كافر كفرًا اعتقاديًا مخرجًا من الملة.

الثانية: من بدّل مع اعتقاد أن الواجب هو تحكيم شرع الله تعالى، فلا يكفر وإنما يدخل في عموم وصف الظلم والفسق.

المسألة الخامسة: الاستهزاء بالدين

ـ من صور الاستهزاء بالدين ما يلي:

١ ـ الاستهزاء بالذات الإلهية وهو أعظم أنواع الاستهزاء، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

٢ ـ الاستهزاء بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء: ٣٦].

٣ ـ الاستهزاء بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

ـ للاستهزاء بالدين مخاطر عظيمة تتمثل في:

١ ـ تعريض فاعله للحكم بالخروج من الدين.

٢ ـ تهوين حرمة الدين والتقليل من عظمته.

٣ ـ التزهيد في الالتزام بأحكام الدين وشرائعه.

٤ ـ إضعاف الأمة وتمكين الأعداء منها.

المسألة السادسة: الولاء والبراء

ـ الولاء والبراء مسألة مهمة من مسائل العقيدة، ضلت فيها أفهام وزلت فيها أقدام.

ـ يقوم المفهوم العام للولاء على النصرة والتحالف والحب والطاعة وإلقاء مقاليد الأمور لمن يكون له الولاء.

ـ للبراءة من الكافرين صور منها:

١ ـ البراءة العقدية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١ ـ ٢].

٢ ـ عدم الركون إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾ [هود: ١١٣].

٣ ـ عدم إعانة الكافر على المسلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

٤ ـ عدم اتخاذهم بطانة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾ [آل عمران: ١١٨].

٥ ـ ترك التشبه بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

ـ وهناك صور ليست من البراءة من الكافرين ومنها:

١ ـ دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢ ـ حسن معاملتهم إنسانياً.

٣ ـ الزواج من نساء أهل الكتاب. وحل طعامهم.

المسألة السابعة: الغلو في الدين

ـ الغلوّ هو المبالغة في الأمر والتشديد فيه بتجاوز الحدّ المشروع على سبيل التديُّن.

ـ للغلوّ نوعان:

الأول: الغلو الكلي الاعتقادي، وله علاقة بكليات الشريعة وأمهات مسائلها.

الثاني: الغلو الجزئي العملي، وهو المتعلق بالعمل والفروع دون الاعتقاد والأصول.

تتمثل أسباب الغلو في:

١ ـ الابتداع.

٢ ـ الجهل.

٣ ـ اتباع الهوى.

٤ ـ التقليد والتعصب.

٥ ـ تحكيم العقل وتقديمه على النقل.

٦ ـ المبالغة في الغيرة والحماسة الإيمانية.

ـ بيان سوء عاقبة الغلوّ، قال ﷺ: «**إن المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**».

ـ من صور الغلو:

١ ـ التكفير، ويمثل منتهى الغلوّ.

٢ ـ المبالغة في الزهد في الدنيا، وهو منهيٌّ عنه بصريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

المسألة الثامنة: بين العقل والنقل

ـ العقل هو: جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة.

ـ النقل هو: ما صحّت نسبته إلى النبي ﷺ من الوحي الذي أخبر به عن الله تعالى.

ـ تتمثل طرق المعرفة في الإسلام في:

١ ـ طريق الوحي.

٢ ـ طريق التجربة.

ـ تنقسم العلوم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ علوم ضرورية.

٢ ـ علوم نظرية.

٣ ـ علوم غيبية.

ـ ليس هناك تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وإذا وجد ما يوهم التعارض فلا بد من أحد احتمالات ثلاث:

١ ـ أن يكون أحد الدليلين قطعيًا والآخر ظنيًّا، وهنا يجب تقديم القطعي منهما.

٢ ـ أن يكون أحد الدليلين فاسدًا، وهنا يجب تقديم الصحيح على الفاسد.

٣ ـ أن يكون أحدهما صريحًا والآخر غير صريح، وهنا يجب تقديم الصريح على غيره.

• • •

أسئلة على الوحدة الرابعة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ جاء الرسل جميعًا بالدعوة إلى التوحيد الخالص.

٢ ـ يجازى الإنسان بالثواب على العمل الصالح وإن فسدت عقيدته.

٣ ـ إذا أطلق لفظ الإيمان في القرآن أو السنة فإنه يقتصر على اعتقاد القلب.

٤ ـ يعتبر الإسلام هو رائد الدعوة إلى حرية العقيدة.

٥ ـ هناك تشريعات إسلامية تتنافى وحرية الاعتقاد مثل الجهاد وأحكام المرتد.

٦ ـ من الأسس التي تنبني عليها حرية الاعتقاد: اعتبار كرامة الإنسان أساسًا في معاملته.

٧ ـ ليس لتحكيم الشريعة في واقع الحياة صلة بالعقيدة.

٨ ـ من أنكر التحاكم إلى شرع الله تعالى جاحدًا فهو ظالم فاسق.

٩ ـ أشد صور الاستهزاء بالدين الاستهزاء بالقرآن الكريم.

١٠ ـ تجوز الموالاة العامة للكفار بشروط.

١١ ـ من مقتضيات البراءة من الكفار إساءة معاملتهم في المجالات الإنسانية.

١٢ ـ الغلو الكلي الاعتقادي هو الذي يتعلق بالعمل والفروع.

١٣ ـ من أسباب الغلوّ في الدين المبالغة في الغيرة والحماسة الإسلامية.

١٤ ـ من أوجه مخالفة الغلو في الإسلام: النهي عن التجاوز والدعوة إلى الالتزام.

١٥ ـ يعتبر العقل مصدرًا مستقلًّا من مصادر المعرفة الدينية.

١٦ ـ قصر الله الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول.

١٧ ـ يعد طريق التجربة أحد طرق المعرفة في السلام.

١٨ ـ ليس هناك تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

١ ـ حينما أرسل الله تعالى رسله إلى الناس كانت دعوتهم:

أ ـ التوحيد الخالص.

ب ـ اختلفت دعوة الرسل باختلاف الأزمنة والأماكن.

ج ـ ضبط الأحكام العملية.

٢ ـ الدين الإسلامي من الناحية الموضوعية يشتمل على:

أ ـ الجانب الاعتقادي.

ب ـ جانب الشرائع والأحكام.

ج ـ كلاهما.

٣ ـ لكي يحمي الإسلام حرية الاعتقاد:

أ ـ منع الإكراه على الدين

ب ـ أمر المؤمن بالفرار بعقيدته إذا أحس بعدوان عليها.

ج ـ كلا الأمرين.

٤ ـ تتمثل الضوابط العامة للحرية في:

أ ـ الالتزام في الحرية الشخصية بعدم تجاوز حدود العدل والإنصاف.

ب ـ الالتزام في الحرية بعدم المساس بالأنظمة العامة.

ج ـ كلاهما.

٥ ـ يعتبر مرتكب الكبيرة:

أ ـ منافقًا خالصًا في الدرك الأسفل من النار.

ب ـ مؤمنًا داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾.

ج ـ كلاهما خطأ.

٦ ـ يعتبر تحكيم الشريعة في واقع الحياة:

أ ـ من صلب قضايا العقيدة في الإسلام.

ب ـ ليس له علاقة بالجانب العقدي الإيماني.

٧ ـ من ترك التحاكم بشرع الله تعالى جاحدًا منكرًا فهو:

أ ـ ظالم فاسق.

ب ـ كافر خارج عن ملة الإسلام.

ج ـ مسلم مقصر.

٨ ـ من صور الاستهزاء بالدين:

أ ـ الاستهزاء بالذات الإلهية.

ب ـ الاستهزاء بالقرآن الكريم.

ج ـ كلاهما.

٩ ـ الموالاة العامة للكفار:

أ ـ جائزة ولا شيء فيها.

ب ـ غير جائزة وتؤدي إلى كفر صاحبها.

ج ـ كلاهما بحسب قوة المسلمين وضعفهم.

١٠ ـ حسن معاملة الكفار في المجالات الإنسانية والاجتماعية:

أ ـ أحد الصور المنهي عنها في موالاة الكافرين.

ب ـ ليس من مقتضيات البراءة من الكفار.

ج ـ ليست من البراءة عند قوة المسلمين.

١١ ـ الغلو الكلي الاعتقادي:

أ ـ هو الغلو في أمهات مسائل العقيدة.

ب ـ هو الغلو في الجزئيات والفروع.

ج ـ الغلو الشخصي الفردي.

١٢ ـ ينتج الغلو في الدين عن:

أ ـ الابتداع.

ب ـ الجهل.

ج ـ كلاهما.

١٣ ـ العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية وهو مصدر:

أ ـ مستقلّ.

ب ـ غير مستقلّ.

ج ـ مستقل في جانب التشريع.

١٤ ـ اعتمد الإسلام في الوصول إلى المعرفة على:

أ ـ طريق الوحي.

ب ـ طريق التجربة.

ج ـ كلاهما.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ ما هي جوانب الصلة بين العقيدة والشريعة.

٢ ـ ما هي الطرق التي سلكها الإسلام لحماية حرية الاعتقاد؟

٣ ـ كيف ترد شبهة القائلين بأن الجهاد يتنافى وحرية الاعتقاد؟

٤ ـ ما هو حكم مرتكب الكبيرة وأي الآراء هو الرأي الأصوب في الحكم عليه؟

٥ ـ ما هو المعنى الاصطلاحي للاستهزاء بالدين، وما هي صوره؟

٦ ـ هل هناك تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وما الحكم لو وجد ما يوهم التعارض؟

٧ ـ ما هي مراتب موالاة الكافرين وما حكم هذه المراتب؟

٨ ـ اذكر أنواع الغلوّ في الدين.

٩ ـ من أسباب الغلو في الدين: اتباع الهوى، وضِّح ذلك؟

١٠ ـ كيف عالج الإسلام ظاهرة الغلوّ في الدين؟

١١ ـ من صور الغلو في الدين التكفير، تناول مخاطره بالشرح والبيان.

١٢ ـ جعل الإسلام للعقل مكانة كبيرة في مجال التدبُّر، اذكر الأدلة على ذلك من القرآن الكريم.

١٣ ـ ما هي الطرق التي اعتمد عليها الإسلام في الوصول إلى المعرفة؟

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى نكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

اكتب بإيجاز عن:

١ ـ حرية الاعتقاد كمبدأ من مبادئ الإسلام، مع الردّ على شبه القائلين بأن من تشريعات الإسلام ما يتنافى مع حرية الاعتقاد، كالجهاد وأحكام الردّة.

٢ ـ ظاهرة الغلوّ في الدين، وكيف عالجها الإسلام، وما هي الإسباب التي تُنجي الإنسان من الوقوع في الغلوّ.

● ● ●

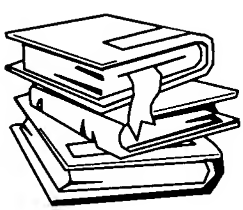
القسم الثالث

العبادة في الإسلام

- الوحدة الأولى: مفهوم العبادة.
- الوحدة الثانية: دوافع العبادة.
- الوحدة الثالثة: حُكم العبادة وشروطها.
- الوحدة الرابعة: العبادة حِكمها ومقاصدها.
- الوحدة الخامسة: مفاهيم وممارسات خاطئة.

الوحدة الأولى

مفهوم العبادة



الوحدة الأولى

مفهوم العبادة

مبررات دراسة الوحدة:

العبادة هي الوظيفة التي خلق الله الإنسان من أجلها، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

وهي رسالة الأنبياء والرسل إلى أقوامهم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ونعت صفوة خلقه بالعبودية ووعد عباده بأعظم نعيم، ووصفهم بأحسن وصف فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

والعبادة تعم جميع أنشطة الإنسان في هذه الحياة قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

عزيزي الدارس: ابدأ الآن في دراسة هذه الوحدة حتى تعلم المعنى الحقيقي للعبادة في الإسلام.

• • •

الأهداف التعليمية للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تعرّف العبادة لغة واصطلاحًا.

٢ ـ تشرح معنى شمولية العبادة للحياة كلها.

٣ ـ تدلل على شمولية العبادة لكيان الإنسان كله.

٤ ـ تذكر آثار الشمول والعموم في مفهوم العبادة.

٥ ـ تحدّد عناصر العبادة الثلاثة: التعلق القلبي، التدبر العقلي، الخضوع الجسدي.

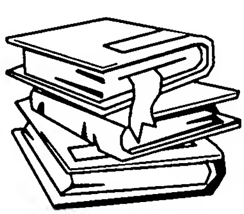
● ● ●

الوحدة الأولى

مفهوم العبادة

- تعرف العبادة لغة واصطلاحاً.
- معنى شمولية العبادة للحياة كلها.
- معنى شمولية العبادة للدين كله.
- شمولية العبادة لكيان الإنسان كله.
- آثار الشمول والعموم في مفهوم العبادة.
- عناصر العبادة الثلاثة:

  التعلق القلبي، التدبر العقلي، الخضوع الجسدي.



الوحدة الأولى

مفهوم العبادة

تعريف العبادة في اللغة:

هي الطاعة والخضوع والتذلل والاستكانة، وأصل العبودية الخضوع والذل.

ويقال: التعبد أي: التذلل، والتعبيد أي: التذليل.

ومن ذلك قولهم: طريق معبد أي: مذلل مسلوك بكثرة الوطء والسير عليه.

ومنه أيضاً: سمي العبد عبداً لذله لمولاه[1].

تعريف العبادة في الاصطلاح:

وقد عرفها الإمام ابن تيمية بقوله:

العبادة هي: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة».

ثم مثّل ـ رحمه الله ـ للأقوال والأعمال الظاهرة من العبادة بقوله: «فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصِدْق الحديث، وأداء الامانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة».

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٢٧١)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (١/٣٢٢).

ثم مثّل ـ رحمه الله ـ للأعمال الباطنة من العبادة بقوله: «وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه... وأمثال ذلك، هي من العبادة لله»(١).

وقيل في تعريف العبادة: هي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته(٢).

أركان العبادة:

والعبادة في الاصطلاح لها ركنان أساسيان هما: كمال المحبة وتمامها، وكمال الذلّ وتمامه، فلا تتحقق العبادة إلا بغاية الحب ومنتهاه مع غاية الذل ومنتهاه، ولا يكفي أحدهما دون الآخر في تحقيق العبادة لله تعالى.

وقد أوضح هذا المعنى الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: «العبادة أصلُ معناها الذلُّ أيضاً يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل بغاية المحبة له... ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله»(٣).

كما أوضح الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى ـ هذا المعنى أيضاً بقوله: «والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي: مذلل، والتعبد التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى

(١) العبودية لابن تيمية (ص٣٨).

(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم (٧/٢٧٤٢)، وانظر أيضاً التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٢٣٤).

(٣) العبودية لابن تيمية (ص٤٤)، وانظر قاعدة في المحبة لابن تيمية (ص٩٨).

تكون محباً خاضعاً»[١].

ويقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «والعبادة: في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وبعير معبد أي: مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[٢].

ومن هنا نعرف أن العبادة هي: كل قول أو عمل، ظاهر أو باطن، مما يحبه الله ويثيب عليه، صادر عن حب تام وذل وخضوع تام لله تعالى. فهو من العبادة التي أمر الله تعالى عباده بها.

أسماء العبادة:

وللعبادة أسماء متعددة، كلها تدور حول معنى واحد، ومن هذه الأسماء: «النسك، والطاعة، والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، والدين».

يقول الإمام ابن تيمية: «والعبادة، والطاعة، والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء، مقصودها واحد»[٣].

وقد ذكر الإمام ابن تيمية أن «الدين» من أسماء العبادة أيضاً فقال: «والدين يتضمن معنى الخضوع والذل، يقال: دنته فدان، أي: أذللته فذل، ويقال: يدين الله ويدين لله: يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له»[٤].

يقول ابن منظور: «النسك: العبادة، والطاعة، وكل ما يُتقرب به إلى الله تعالى»[٥].

مفهوم العبادة الشامل:

عرفنا من تعريف العبادة السابق أن العبادة لا تقتصر على الفرائض والشعائر

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٧٤/١).

(٢) تفسير ابن كثير ص (٧٠).

(٣) العبودية لابن تيمية (ص٧٤).

(٤) العبودية لابن تيمية (ص٤٣).

(٥) لسان العرب لابن منظور (٤٩٨/١٠)، وانظر أيضاً مختار الصحاح (ص٢٧٤).

التعبدية المحضة: كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذكر، والدعاء، ونحوه، بل تشمل العبادة ما هو أعمّ من ذلك من الأمور والأعمال التي يحبها الله تعالى.

فمفهوم العبادة في الإسلام يتسم بالعموم، ويتصف بالشمول، فالعبادة في الإسلام لها معنى شامل، وآفاق رحبة(١).

ثم إن هذه الشمولية لا تنحصر في مظهر واحد، بل هي متعددة المظاهر، مختلفة الأشكال، ويمكن إجمال مظاهر الشمولية في معنى العبادة في المظاهر التالية:

الأول: شمولية العبادة للدين كله.

الثاني: شمولية العبادة للحياة كلها.

الثالث: شمولية العبادة لكيان الإنسان كله.

الأول: شمولية العبادة للدين كله:

العبادة في الإسلام تشمل جميع الأعمال والأقوال التي يحبها الله تعالى ويرتضيها، سواء كانت هذه الأعمال أو الأقوال من قبيل الفرائض والأركان: كالصلوات الخمس، وكالزكاة الواجبة، وكصوم رمضان وصوم النذر والكفارة، وكحج الفرض.

أو كانت من قبيل السنن والمستحبات: كالسنن المؤكدة والنفل المطلق من الصلوات، وصدقة التطوع، وصوم النفل، وحجّ النفل.

وكذلك تشمل العبادة ما كان من قبيل الآداب أو التعاملات مع الغير:

كالأخلاق القلبية: كالصبر، والرضا، والتأنّي، وحسن الظن.

وكآداب الأكل، والنوم، والحديث، وقضاء الحاجة.

وكالأخلاق الاجتماعية: كحسن الخلق، والصدق في الحديث، والوفاء

(١) انظر في مفهوم العبادة: كتاب مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب (ص١٧٣) فما بعدها، العبادة ليوسف القرضاوي (ص٤٧) فما بعدها.

بالوعد، وحسن المعاملة، والوفاء بالحقوق والوعود، وأداء الأمانات، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلى اليتامى والمساكين والضعفاء.

وكالمعاملات المالية كأداء الحقوق، وحفظ الأمانة، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالمعاملات بين الناس.

وهكذا كل عمل يرتضيه الدين ويحث عليه، فهو من العبادة في مفهوم الإسلام.

يقول الإمام ابن تيمية في بيان هذا الباب: «فالدين كله داخل في العبادة، وقد ثبت في الصحيح: أن جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام، قال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، قال: فما الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: فما الإحسان قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، ثم قال في آخر الحديث: «**هذا جبريل، جاءكم يعلمكم دينكم**»[(١)]، فجعل هذا كله من الدين[(٢)].

الثاني: شمولية العبادة للحياة كلها:

الحياة ميدان رحب للعبادة، فكل مجال من مجالاتها يصلح لأن يكون واحة خصبة من واحات العبادة والطاعة لله تعالى، وذلك إذا قرن هذا العمل بالنية الصالحة، والقصد الصحيح، والهدف السامي النبيل.

فبالنية الصالحة تصبح أعمالُ الحياة جميعُها عبادةً لله تعالى، وقربةً يتقرب العبد بها إليه سبحانه، ينال بها الأجر والثواب، وبذلك تكون المدارس والجامعات التي يُتلقى فيها العلم والمعرفة، والأسواق التي تُمارس فيها التجارة، والشركات التي تَضم العديد من الوظائف المختلفة، بل حتى الزيارات بين الأقارب والأصدقاء، وجميع النشاطات البشرية المباحة في أصلها، كل ذلك يكون مجالاً لتحصيل المثوبة من الله تعالى، وتصبح عبادة الله تعالى في حق

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان برقم (٨).

(٢) العبودية لابن تيمية (ص٤٣).

الطالب والمعلم، وفي حق التاجر والموظف، وفي حق غيرهم أيضاً، إذا قصدوا بجميع ذلك رضا الله تعالى، وأرادوا بعملهم هذا ثوابه.

وهكذا تَسَعُ العبادةُ الحياةَ كلها وتشمل جوانبها المختلفة، وتعم جميع أرجائها، ويصبح كل عمل يقوم به المسلم بنية صالحة عبادة يثاب عليها ويؤجر لأجلها.

فالمسلم عندما يطلب العلم ويقضي وقته في تحصيله ودراسته، هو في عبادة لله تعالى يثاب عليها، إذا قصد بطلبه هذا رَفْع الجهل عن نفسه وأراد نَفْع أمته.

وإذا أصبح موظفاً قائماً بعمله على أكمل وجه، فهو في عبادة لله تعالى يثاب عليها، إذا كان يريد بذلك الأجر الحلال، والبعد عن الحرام، ونفع الناس، وقضاء أمورهم.

وإذا عمل تاجراً وراعى حقوق الله في تجارته، فهو في عبادة لله تعالى يثاب عليها، إذا قصد بذلك الرزق الحلال، وتحصيل المال للتوسيع على الأهل والعيال، والصدقة على المحتاجين أو نحو ذلك.

وإذا زرع زرعاً أو غرس غرساً، فهو في عبادة لله تعالى يثاب عليها، إذا قصد بذلك قصداً حسناً.

وإذا تزوّج امرأة فهو في عبادة لله تعالى يثاب عليها، إذا أراد بزواجه الستر والعفاف لنفسه ولزوجه، وقصد الذرية الصالحة والنشء المبارك.

وقد دلت على ذلك جملة من الأحاديث الشريفة؛ من ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ما في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**»[1].

وحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يغرس غرسًا أو**

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة برقم (١٢٩٥)، ورواه مسلم في كتاب الوصية، باب: الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨).

يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[1].

وحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»**[2].

وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «إن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدُّثور[3] بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: **أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بُضع**[4] **أحدكم صدقة»**، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: **«أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»**[5].

وهكذا لا يبقى عمل يعمله المسلم، من أكل، أو شرب، أو كسب معاش، أو زرع، أو زواج، أو إنجاب، أو قضاء حاجة ضرورية، أو زيارة لقريب أو صديق، أو خروج في نزهة أو سفر، أو أي عمل بدني، أو غير ذلك من أمور الحياة المباحة في أصلها، إلا كان في مقدوره أن يجعله بالنية الصالحة طاعةً لله وعبادةً يتقرب بها إليه سبحانه وتعالى، وأن يجعل حياته كلها عبادة لله تعالى.

وبذلك يحقق المسلمُ قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه برقم (٢٣٢٠). ورواه مسلم في كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع برقم (١٥٥٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب البيوع، باب: ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم برقم (١٢٠٩).

(٣) الدثور جمع الدَّثر، وهو المال الكثير. انظر النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/١٠٠).

(٤) المراد بذلك الجماع. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١/١٣٣).

(٥) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٦).

الثالث: شمولية العبادة لكيان الإنسان كله:

العباده تشمل كل كيان الإنسان وجميع جوانبه المختلفة، وتعم جميع أعضائه وجوارحه، فما من عضو من أعضاء الإنسان إلا وله عبادته التي تناسبه وتلائمه، والمسلم يستطيع أن يعبد الله بكل ذلك.

وهذه الأعضاء تنحصر في ثلاثة أقسام رئيسية وهي: القلب، واللسان، وبقية الجوارح كالفم والأذن والعين وغيرها، وعبادة كل عضو منها تنقسم إلى عبادة فعل وإلى عبادة ترك.

وذكر الإمام ابن النجار أن العبادة يدخل فيها الأفعال والتروك، حيث قال: «كترك المعاصي والنجاسة والزنا والربا وكل محرم، والأفعال: كالوضوء والغسل والزكاة مع النية، وقضاء الدين ورد المغصوب والعواري والودائع والنفقة الواجبة، ولو بلا نية»[(١)].

عبادة القلب:

والقلب له عبادته الخاصة به، وهي على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تَرْكِيَة.

فعبادة القلب الفعلية: كالإيمان بالله تعالى وبصفاته، وحب الله وحب رسوله ﷺ، وكالإخلاص في عبادته، والتوكل عليه، والصبر على قضائه، والشكر على آلائه، والرجاء لثوابه، والخوف من عقابه، وكالنية في أول العبادات، والخشوع في الصلاة، وعند ذكر الله تعالى، وحب الفضائل ومكارم الأخلاق، إلى غير ذلك.

وأما عبادة القلب التَّرْكِية: فكالبعد عن الشرك بالله وعن الشك في وجوده، وعن النفاق في الإيمان به، وعن الرياء والحسد وغيره من أمراض القلوب، وبغضِ الرذائل وقبيح الفعال.

عبادة اللسان:

واللسان له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣٨٤/١)، انظر مدارج السالكين لابن القيم (١٠٩/١ ـ ١٢٢).

فعبادة اللسان الفعلية: كالنطق بالشهادتين، وذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الحق، وإرشادهم للخير، وتقديم النصح لهم.

وأما عبادة اللسان التركية: فكالكف عن النطق بالكلام المحرم وما فيه معصية، كالكفر بالله تعالى، والكذب والغيبة، والنميمة، وسباب الناس وشتمهم، وإيذائهم بالقول الفاحش، وشهادة الزور والبهتان، والقذف، إلى غير ذلك.

عبادة السمع (الأذن):

والسمع له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، فعلية، وتركية.

فعبادة السمع الفعلية: كسماع ما أوجب الله معرفته وتعلُّمَه، كسماع العلم النافع، والوعظ والإرشاد الذي تصلح به القلوب وتستقيم به النفوس.

وأما عبادة السمع التركية: فكترك سماع الكلام المحرّم، كالكفر بالله تعالى، أو الغيبة، أو النميمة، أو الأصوات التي لا يحل سماعها، كآلات اللهو المحرمة، وأصوات النساء بالغناء ونحوه، وكترك التجسس على الناس، وسماع كلامهم بغير إذن منهم، إلى غير ذلك.

عبادة البصر (العين):

والبصر له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

فعبادة البصر الفعلية: كالنظر في المصحف للتعلم والقراءة والتدبر، والنظر في كتب أهل العلم للدرس والاستفادة، مما يزيد به الإيمان ويقوى، وكالتأمل في خلق الله تعالى وآياته المشهودة الدالة على معرفته وتوحيده.

وأما عبادة البصر التركية: فكترك النظر إلى العورات، والنساء الأجنبيات، وترك التجسس على المسلمين بالنظر، وترك فضول النظر الذي لا مصلحة فيه ولا منفعة، إلى غير ذلك.

عبادة الذوق:

والذوق له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

فعبادة الذوق الفعلية: فكتناول الطعام بقصد الإفطار من الصوم، أو بقصد التقوّي على طاعة الله تعالى، أو بقصد التداوي والاستشفاء، أو عند الاضطرار عندما يكون ترك الطعام يؤدي إلى الهلاك.

وأما عبادة الذوق التركية: فكترك تناول الطعام المحرم، كالخمر، ولحم الخنزير، والميتة، والطعام المغصوب، ونحو ذلك.

عبادة الشم: (الأنف)

والشم له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، فعلية وتركية.

فعبادة الشم الفعلية: فكشم الطيب المباح الذي يعين على طاعة الله، وتَقْوَى به الحواسُّ، وتنشرح به النفوس.

وأما عبادة الشم التركية: فكترك تعمد شم الطيب في حال الإحرام بالحج أو العمرة، أو شم الطيب المغصوب، أو شمه من النساء الأجنبيات.

عبادة اللمس:

واللمس له عبادته الخاصة به، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

فعبادة اللمس الفعلية: كلمس الأهل والأولاد لإدخال السرور عليهم، ومسح رأس اليتيم إشفاقاً عليه وتحنُّنًا.

وأما عبادة اللمس التركية: فكلمس المرأة الأجنبية، أو لمس الزوجة ومباشرتها في حال الإحرام أو الاعتكاف أو الصوم، ونحوه.

عبادة اليد:

واليد لها عبادتها الخاصة بها، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

فعبادة اليد الفعلية: كالكسب المباح لإعفاف النفس وإعالة من تجب إعالته والقيام بالنفقة الواجبة، وبذل الصدقة، وإعانة المضطرين، وقضاء حوائج المحتاجين، وكتابة العلم، وما فيه منفعة دينية لنفسه أو لغيره، أو نحوه.

وأما عبادة اليد التركية: فكترك القتل، والغصب والنهب، وضرب من لا يحل ضربه، واللعب المحرم، وكتابة الزور، والعبث الذي لا نفع فيه، ونحوه.

عبادة الرِّجْل:

والرِّجْل لها عبادتها الخاصة بها، وهي كذلك على قسمين، عبادة فعلية، وأخرى تركية.

فعبادة الرِّجْل الفعلية: فكالمشي إلى المساجد لصلاة الجمعة أو الجماعة، أو المشي لأداء فريضة الحج أو العمرة، أو بر الوالدين أو صلة الرحم، أو إلى مجالس العلم وحِلَق الذكر.

وأما عبادة الرِجل التركية: فكترك المشي إلى مكان فيه معصية لله ﷻ، كالمشي إلى مكانٍ فيه لَهْوٌ محرم، أو اختلاط محرم، أو سماع كلام محرم، أو فيه ظلم لمسلم، أو أكل حق له، أو نحو ذلك.

وهكذا لا تبقى حاسة من حواس المسلم، ولا عضو من أعضائه، صغيراً ولا كبيراً، ظاهراً ولا باطناً، إلا كان في مقدوره أن يمارس من خلاله طاعة لله وعبادة يتقرب بها إليه سبحانه، وأن يجعله وسيلة موصلة إلى مرضاته سبحانه وتعالى، وذلك بالنية الصالحة، وأن يجعل أعضاءه جميعها عابدة لله تعالى.

آثار الشمول في مفهوم العبادة:

لهذه الشمولية في مفهوم العبادة آثار مباركة طيبة، منها:

١ ـ صبغ حياة المسلمين بالصبغة الربانية، حيث تصبح حياتهم جميعها مرتبطة بالله تعالى، تدور في فلك مرضاته، ولا تخرج عن حدود طاعته، فالمسلم في حاله هذه هو في محراب كبير وعبادة لا تنقطع، ينظر إلى جميع أعماله على أنها طاعة لله وقربة، يحتسب فيها الأجر والثواب، ويعلم أنها لا تذهب سُدًى، ولا تضيع هباء، فيفرح بها وينشط لغيرها.

٢ ـ رحمة الله تعالى بهذه الأمة، والتيسير عليها، ورفع الحرج والمشقة عنها، حيث جعل للعبادة ميادين متعددة، وأنواعاً شتى، ولم يحصرها في نوع واحد، أو عمل مفرد لا يقبل غيره، ولا يعتدّ بسواه، وفي هذا من التيسير

والتخفيف الشيء الكثير، حتى يتسنى لكل مسلم أن يستزيد من الأعمال الصالحة المقرّبة إلى الله تعالى[1].

وقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر ـ رحمه الله تعالى ـ أن أعمال البر لا يفتح في الأغلب للإنسان الواحد في جميعها، وأن من فتح له في شيء منها حرم غيرها في الأغلب، وأنه قد تفتح في جميعها للقليل من الناس، وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك القليل[2].

ثم ذكر ابن عبدالبر قصة بين الإمامين مالك وعبدالله بن عبدالعزيز العمري العابد، وذلك أن عبدالله بن عبدالعزيز العمري العابد كتب إلى مالك يحضّه على الانفراد ويحثه على العبادة والعمل؛ لما يرى في مالك من كثرة الإقبال على العلم، فكتب إليه مالك: «إن الله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة، ونَشْر العلم وتعليمُه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قُسم له، والسلام»[3].

عناصر العبادة:

العبادة في الإسلام متعلقة بكيان الإنسان كله؛ قلبه وعقله وجميع جسده، وهي بهذا الاعتبار لها ثلاثة عناصر:

أولها: التعلق القلبي.

ثانيها: التدبر العقلي.

ثالثها: الخضوع الجسدي[4].

---

(١) انظر العبادة في الإسلام د. يوسف القرضاوي (ص٦٥).

(٢) التمهيد لابن عبدالبر (١٨٤/٧ ـ ١٨٥).

(٣) التمهيد لابن عبدالبر (١٨٤/٧ ـ ١٨٥)، قال ابن عبدالبر: هذا معنى كلام مالك، وانظر سير أعلام النبلاء (١١٤/٨).

(٤) انظر كلام ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة (٣/٢ ـ ٥).

١ ـ التعلق القلبي:

فبالعبادة تسمو روح المسلم، وترتفع بصاحبها عن متاع المادة الفانية، وتعلو به عن حطام الدنيا الزائلة، وتحلّق به في سماء الطاعة، وتتألّق به في آفاق العمل الصالح ورحابه الفسيحة، وتصبح نفسه في سموّ روحيٍّ، فهو في راحة لا تدانيها راحة، وفي سعادة لا توازيها سعادة، وهو في طمأنينة واستقرار، وهو في حلاوة لا تشبهها حلاوة.

إنه يعيش حلاوة الإيمان، التي أخبر عنها النبي الكريم ﷺ بقوله: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»(١).

وجاء في الحديث «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً**»(٢).

ويقول الإمام ابن تيمية:

«القلب فقير بالذات إلى الله من وجهين: من جهة العبادة ومن جهة الاستعانة والتوكل، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم، ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه، من حيث هو معبودُه ومحبوبُه ومطلوبُه، وبذلك يحصل له الفرحُ والسرورُ، واللذةُ والنعمةُ، والسكونُ والطمأنينةُ»(٣).

ويقول الإمام ابن القيم:

«وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير هذا الشأن، فإنه لا شيء أحب إلى

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان برقم (١٦). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيانُ خصالٍ من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان برقم (٤٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً.. فهو مؤمن برقم (٣٤).

(٣) انظر العبودية، لابن تيمية (ص١٠٨).

القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحييها، فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألذّ، ولا أطيب ولا أسر، ولا أنعم من حبه والأنسِ به، والشوقِ إلى لقائه، والحلاوةُ التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيمُ الذي يحصل له بذلك أتمّ من كل نعيم، واللذةُ التي تناله أعلى من كل لذة».

كما أخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طرباً بأنسه بالله وحبه له.

وقال آخر: مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها.

وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى، فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب، وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذوق والوجد.

ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حباً لغيره، ولا أنساً به، وكلما ازداد له حباً ازداد له عبودية وذلاً، وخضوعاً ورقاً له وحرية عن رق غيره[(١)].

وقد أثنى الله ﷻ على الذين يخشعون في صلاتهم، وتسمو بها أرواحهم، ووصفهم بالإيمان وهو خير الأوصاف وأخبر عنهم بالفلاح، ولهم ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/١٩٧ ـ ١٩٨).

وقد ذمّ الله تعالى أصحاب القلوب الغافلة، ووصفهم بأبشع الصفات، وحذّر نبيه الكريم منهم، وأمره بعدم اتباعهم فقال ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

٢ ـ التدبر العقلي:

يدرك المسلم معنى العبادة التي يؤديها، ويعقل قصدها ونيتها، ولا يتصور كمال العبادة بدون تدبر العقل، وإدراك الفكر لها؛ لذا لا تصح العبادة ممن لا يتدبرها عقله، كالمجنون الذي لا يدركها، أو الصغير الذي لا يميزها، وكذا كل فاقد للعقل لا يقدر على قصدها وتصورها؛ ولذا صرح الفقهاء بأن النية شرط في صحة العبادات، أو ركن من أركانها، لا تصح العبادة بدونها.

كما ذكروا ضمن شروط صحة الكثير من العبادات، شرط العقل وشرط التمييز، فلم يصححوا العبادات من فاقد العقل كالمجنون والسكران؛ لأنه لا يعقل النية ولا يتصور العبادة.

وكذلك لم يصححوا في الجملة العبادة من الصبي الصغير غير المميز؛ لكونه لا يعقل النية، ولا يدرك معنى العبادة، كما لم يصححوا العبادة من الساهي الذي لم يقصدها.

وجاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أقيموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من بعدي، وربما قال: من بعد ظهري إذا ركعتم وسجدتم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال: «**يا فلان ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي**»(٢).

وقال الإمام أبو بكر ابن خزيمة في تبويبه لهذا الحديث: «باب الأمر

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب: الخشوع في الصلاة برقم (٧٤٢)، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب: الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها برقم (٤٢٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب: الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها برقم (٤٢٣).

بالخشوع في الصلاة؛ إذ المصلي يناجي ربه، والمناجي ربه يجب عليه أن يفرغ قلبه لمناجاة خالقه ﷻ، ولا يشغل قلبه التعلق بشيء من أمور الدنيا يشغله عن مناجاة خالقه»[1].

وعن عمار بن ياسر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها**»[2].

قال العلامة أبو الطيب العظيم آبادي: «والمعنى أن الرجل قد ينصرف من صلاته ولم يكتب له إلا عشر ثوابها، أو تسعها أو ثمنها... إلخ، بل قد لا يكتب له شيء من الصلاة، ولا تقبل أصلاً كما ورد في طائفة من المصلين»[3]. وسبب ذلك النقص في ثواب الصلاة، هو الإخلال في الأركان والشرائط والخشوع والخضوع والتدبر، وأداء الصلاة في حال الغفلة عن كل ذلك[4].

وقد روي عن سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ قوله: «يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها»[5].

٣ ـ الخضوع الجسدي:

والعبادة كما أنها سموٌّ في الروح، مع التدبر في العقل، هي كذلك خضوع بالجسد، فليست العبادة محصورة في المشاعر المعنوية، أو الأحاسيس النفسية، أو الأفكار العقلية فقط، بل هي مع ذلك عمل جسدي، وخضوعٌ جسمي.

فكثير من العبادات أقوال وأعمال ظاهرة، تؤدى بالجسد عن طريق الجوارح والأعضاء، فالصلاة مثلاً عبادة ذات أقوال باللسان، وأفعال بالقلب والبدن، ولا تتحقق عبادة الصلاة بدونها، وهذه الأعمال هي أعمال جسدية،

(١) صحيح ابن خزيمة (٢٤١/١).
(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: ما جاء في نقصان الصلاة برقم (٧٩٦).
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/٣).
(٤) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود (٣/٣).
(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٦١/٧).

تؤدى خضوعاً وامتثالاً لأمر الله تعالى.

وكذلك غيرها من العبادات كالصوم، وهو إمساك الجسد عن المفطرات.

وكذلك أعمال الحج التي هي في أكثرها أعمال بدنية، إلى غير ذلك من الطاعات.

وقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على اعتبار الخضوع الجسدي في العبادة، ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. . .**».

وإذا ركع قال: «**اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي**».

وإذا سجد قال: «**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»(١).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ، يقول في سجود القرآن بالليل، يقول في السجدة مراراً: «**سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته**»(٢).

● ● ●

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (٧٧١).

(٢) رواه الترمذي في أبواب الصلاة، باب: ما يقول في سجود القرآن برقم (٥٨٠).
ورواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: ما يقول إذا سجد برقم (١٤١٤).

خلاصة الوحدة الأولى

العبادة لغة: الطاعة والخضوع والتذلل والاستكانة، ومن ذلك طريق معبد أي: مذلّل.

واصطلاحًا: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، والظاهرة كالصلاة والصيام والحج . . . إلخ والباطنة كحب الله وحب رسوله والإخلاص والصبر. . . إلخ.

والعبادة لها ركنان أساسيان هما: كمال المحبة وتمامها، وكمال الذل وتمامه، فلا تتحقق العبادة إلا بغاية الحب مع غاية الذل.

وللعبادة أسماء متعددة تدور حول معنى واحد، ومنها: النسك، والطاعة، والاستقامة.

وللعبادة مفهوم شامل لا يقتصر على الفرائض والشعائر التعبدية المحضة كالصلاة والصيام، بل تشمل ما هو أعم من ذلك من الأمور التي يحبها الله تعالى.

فمفهوم العبادة يتسم بالعموم والشمول، ويمكن إجمال مظاهر شمولية العبادة فيما يلي:

أولاً: شمولية العبادة للدين كله، كسائر الشعائر والأعمال الباطنة.

ثانيًا: شمولية العبادة للحياة كلها، فبالنية الصالحة التعبدية تصبح أعمال الحياة جميعها عبادة.

ثالثًا: شمولية العبادة لكيان الإنسان كله بجميع جوانبه المختلفة، وتعم جميع أعضائه وجوارحه، كالقلب واللسان والفم والعينين.

فللقلب عبادته الفعلية والتَّرْكية وللسان عبادته الخاصة به وهي كذلك فعلية وتركية وكذا البصر والذوق والشم واللمس واليد والرجل.

آثار الشمول في مفهوم العبادة:

١ ـ صبغ حياة المسلمين بالصبغة الربانية.

٢ ـ رحمة الله بهذه الأمة والتيسير عليها ورفع الحرج والمشقة عنها.

عناصر العبادة:

١ ـ التعلق القلبي والسموّ الروحي وبهما يسمو المسلم، ويرتفع عن متاع المادة الفانية ويخلق في سماء الطاعة.

٢ ـ التدبر العقلي، فلا يتصور كمال العبادة بدون تدبر العقل وإدراك الفكر؛ لذا فإن العبادة ممن لا يتدبرها عقله كالمجنون أو الصغير الذي لا يدركها لا تكون على الوجه المطلوب.

٣ ـ الخضوع الجسدي، فالعبادة ليست محصورة في المشاعر المعنوية أو الأحاسيس النفسية أو الأفكار العقلية؛ بل هي مع ذلك كله عمل جسدي وخضوع بدني.

• • •

أسئلة على الوحدة الأولى

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ العبادة اصطلاحًا: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

٢ ـ من صور الأعمال الباطنة: الصبر والشكر والتوكل.

٣ ـ من صور الأعمال الظاهرة: الرجاء والخوف والإنابة.

٤ ـ من أركان العبادة كمال المحبة وتمامها.

٥ ـ كمال الذل وكمال المحبة هما ركنا العبادة الأساسيان.

٦ ـ من خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له.

٧ ـ من أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له.

٨ ـ من أسماء العبادة: النسك، والطاعة والاستقامة.

٩ ـ ليس من أسماء العبادة: لزوم الصراط المستقيم والدين.

١٠ ـ تشمل العبادة الدين كله بفروضه وسننه ومستحباته.

١١ ـ بالنية الصالحة تتحول الأعمال العادية إلى أعمال عبادية.

١٢ ـ طلب العلم وتحصيله ومدارسته ليس من أعمال العبادة.

١٣ ـ إذا زرع المسلم زرعًا أو غرس غرسًا فهو في عبادة الله، قصد بذلك قصدًا حسنًا أم لم يقصد.

١٤ ـ تنقسم عبادة كل عضو من أعضاء الإنسان إلى عبادة فعل وعبادة ترك.

١٥ ـ عبادة القلب الفعلية كالبعد عن الشرك والشك والحسد والرياء.

١٦ ـ عبادة اللسان الفعلية كالكف عن الغيبة والنميمة والكذب.

١٧ ـ النظر في المصحف للتعلم والقراءة والتدبر عبادة فعلية للبصر.

١٨ ـ عبادة اللمس الفعلية كمسح رأس اليتيم إشفاقًا عليه.

١٩ ـ الكسب المباح لإعفاف النفس عبادة فعلية لليد.

٢٠ ـ ترك المشي إلى مكان المعصية عبادة فعلية للرِّجْل.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد.

١ ـ العبادة في الإسلام تعني:

أ ـ الطاعة والخضوع والتذلل.

ب ـ إقامة شعائر الإسلام وأركانه.

ج ـ ما ورد في أ، ب.

د ـ النطق بالشهادتين.

٢ ـ أركان العبادة في الإسلام هي:

أ ـ كمال المحبة وتمامها وكمال الذل وتمامه.

ب ـ إقامة الصلاة وأداء الزكاة.

ج ـ الأركان الأربعة بعد الشهادتين.

٣ ـ جميع ما يلي من أسماء العبادة ما عدا:

أ ـ النسك.

ب ـ الذكر.

ج ـ الطاعة.

د ـ الاستقامة.

٤ ـ العبادة في الإسلام تشتمل على:

أ ـ الفرائض والأركان.

ب ـ السنن والمستحبات.

ج ـ الآداب والمعاملات.

د ـ جميع ما سبق.

٥ ـ من الأمور التي يمكن أن تعد عبادة في الإسلام:

أ ـ زرع الأرض بالأشجار التي تثمر.

ب ـ الزواج.

ج ـ التجارة.

د ـ اللهو والآثم.

هـ ـ ما ورد في أ، ب، ج.

٦ ـ جميع الأجهزة التالية في الإنسان تمارس العبادة ما عدا:

أ ـ القلب والعين.

ب ـ اللسان والأذن.

ج ـ اليد والرجل.

د ـ لا شيء مما سبق.

٧ ـ من عناصر العبادة في الإسلام:

أ ـ التعلق القلبي.

ب ـ التدبر العقلي.

ج ـ الخضوع الجسدي.

د ـ جميع ما سبق.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للعبادة.

٢ ـ للعبادة ركنان أساسيان اذكرهما شارحًا لهما بالتفصيل، مستشهدًا بطائفة من أقوال أهل العلم.

٣ ـ للعبادة أسماء متعددة تدور كلها حول معنًى واحد، اذكر هذه الأسماء مع الشرح لمعانيها.

٤ ـ «لا يقتصر مفهوم العبادة على الفرائض والشعائر التعبديّة كالصلاة والصيام والزكاة، بل يشمل ما هو أعمّ من ذلك من الأمور والأعمال التي يحبها الله تعالى» اشرح هذا القول في ضوء ما درسته من شمولية هذا المفهوم.

٥ ـ «الحياة ميدان رحب للعبادة فكل مجال من مجالاتها يصلح لأن يكون واحة خصبة من واحات العبادة، وذلك إذا قرن العمل بالنية» اشرح هذا القول شرحًا وافيًا موضحًا من خلاله شمولية العبادة للحياة كلها.

٦ ـ «تشمل العبادة كل كيان الإنسان وجميع جوانبه المختلفة وتعمّ جميع أعضائه وجوارحة» اشرح هذا المعنى ممثلاً لعبادات الفعل والترك لثلاثة أعضاء.

٧ ـ للشمولية في العبادة آثار مباركة طيبة، اذكر أربعة من هذه الآثار تفصيلاً.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

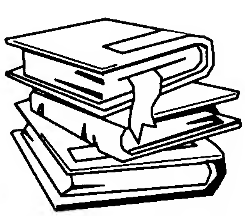
١ ـ أعد بحثاً عن «شمولية العبادة للدين كله، وللحياة كلها، ولكيان الإنسان كله» مركزاً في هذا البحث على آثار الشمول في مفهوم العبادة.

٢ ـ أعد بحثاً مختصراً عن: «كيف رفعت الشريعة الحرج عن المكلفين» وأثر ذلك في المنهج الدعوي والتشريعي في الإسلام.

● ● ●

الوحدة الثانية

دوافع العبادة



الوحدة الثانية

دوافع العبادة

مبررات دراسة الوحدة:

إن الإنسان مجبول على الخضوع والتذلل بأصل فطرته التي فطره الله عليها، فإذا شعر بفقره وحاجته واعترف بقصوره وجهله دفعه هذا الشعور إلى عبادة الله تعالى الذي يتصف بصفات الكمال والجلال سبحانه.

ولا يمكن لهذه الفطرة أن تتخلف في إنسان كائنًا ما كان، قد تنحرف عن الصواب لكنها لا تتخلف، فالذي لا يعبد الخالق؛ فإنه يعبد مخلوقاً مثله يتمثل في هواه أو في وثن أو في شهوة أو مال، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

والرغبة في الجنة والخوف من النار دافع من دوافع العبادة لله تعالى، قال تعالى واصفاً أنبياءه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦]. ووصف عباده بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

عزيزي الدارس: حتى تفهم حقيقة دوافع العبادة ابدأ في دراسة هذه الوحدة.

• • •

الأهداف التعليمية للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١ ـ تعرف دوافع العبادة الفطرية والمكتسبة.

٢ ـ تعلل لدافع الشعور الفطري لدى الإنسان بالرغبة في العبادة.

٣ ـ تحدد ما يعنيه دافع الشكر والعرفان في العبادة.

٤ ـ تستشهد على دافع الحاجة والافتقار في العبادة نقلاً وعقلاً.

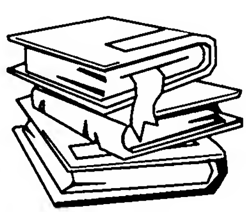
٥ ـ تبرهن على عدم اعتبار دافع العادة والتقليد دافعاً محموداً.

● ● ●

الوحدة الثانية

دوافع العبادة

- دافع الشعور الفطري.
- دافع الرهبة والرغبة.
- دافع المحبة والتعظيم.
- دافع الحاجة والافتقار.
- دافع العادة والتقليد.
- دافع الشكر والعرفان.



الوحدة الثانية

دوافع العبادة

إن لإقبال الإنسان على عبادة الله تعالى والانقياد له دوافعَ تدفع لذلك وبواعث تكمن خلف هذا الأمر، تبعث في المسلم روح الإقبال على الطاعة، والرغبة في العبودية، والإقدام على ممارسة العبادات المشروعة في الإسلام، وهذه الدوافع كثيرة ومتنوعة، ومنها ما هو شرعي مقبول، ومنها ما هو اجتماعي مذمومٌ، ونعرض لهذه الدوافع تفصيلاً فيما يلي:

١ ـ دافع الشعور الفطري. ٤ ـ دافع الشكر والعرفان.

٢ ـ دافع الرغبة والرهبة. ٥ ـ دافع الحاجة والافتقار.

٣ ـ دافع المحبة والتعظيم. ٦ ـ دافع العادة والتقليد.

١ ـ دافع الشعور الفطري:

إن كل إنسان يجد بفطرته السليمة شعوراً فطرياً بالرغبة في عبادة الله تعالى؛ وذلك لأن في فطرته السليمة إيمانًا بأن له رباً خالقاً أوجده من العدم، ومنحه الحياة وأسبابها، ويشعر في أعماق نفسه أن الرب الخالق مستحق أن يعبد، وأن يذل له ويخضع، ولذلك قيل: إن الإنسان عابد بطبعه؛ لما يجد من الشعور الفطري بالرغبة في العبادة، فإن اهتدى لعبادة الله تعالى، وإلا عبد غيره، ولذلك من الناس من عبد الشمس، كما ذكر القرآن الكريم عن قوم سبأ، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤].

ومنهم من عبد القمر والكواكب كقوم إبراهيم، ومنهم من عبد النار كالمجوس، ومنهم من عبد البقر، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد الجنّ، إلى غير ذلك من المعبودات الباطلة.

ومنهم من عبد الحجر كما فعلت العرب حين نصبت الأصنام للعبادة، ولما فتح المسلمون مكة وجدوا حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل النبي ﷺ يطعنها بسيفه فتسقط على رؤوسها ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١][1].

ثم إن هذا الأمر ليعم جميع الناس ويشمل حتى الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق، ويرفضون جميع الديانات فهم أيضاً يعبدون آلهة وطواغيت وأصناماً خاصة بهم، وهي أفكار قادتهم، ونظريات مفكريهم، وأشخاص زعمائهم، وما حمل هؤلاء جميعاً على عبادة هذه الأشياء إلا شعورهم الداخلي بضرورة عبادة إله خالق متصرف سبحانه.

يقول الإمام ابن تيمية مبيناً ذلك:

«وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة، فالإنسان له إرادة دائماً، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه، فلابد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب، إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخذه إلهاً من دون الله: كالشمس، والقمر، والكواكب، والأوثان، وقبور الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أرباباً، أو غير ذلك مما عبد من دون الله»[2].

فالعبودية لله تعالى مغروسة في الفطرة الإنسانية، ومتأصلة في الطبيعة البشرية، وهي عهده الذي أخذه سبحانه على بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: «أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح» برقم (٤٢٨٧). ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة برقم (١٧٨١).

(٢) العبودية، لابن تيمية (ص١١١ ـ ١١٢)، وانظر أيضاً (ص٨٧) فما بعدها.

عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

٢ ـ دافع الرغبة والرهبة:

إن من أعظم دوافع العبادة دافع الرغبة والرهبة، وباعث الرجاء والخوف، الرغبة في ثواب الله تعالى، والرهبة من عذابه وعقابه.

وقد أخبر القران الكريم عن أحوال المؤمنين الصالحين العابدين الطائعين، وذكر من صفاتهم أنهم يخافون الله تعالى، ويرجون رحمته وثوابه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

وأثنى الله سبحانه وتعالى على قوم يذكرون الله ويسألونه خير الدنيا والآخرة، ويتعوذون من عذاب النار، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠١].

وقال سبحانه: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه برقم (١٣٥٨).
ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم (٢٦٥٨).

وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

وذكر سبحانه صفات عباد الرحمن، فذكر منها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٥].

ولذلك جاءت كثير من آيات القران الكريم بذكر الجنة والنار، ترغيباً وترهيباً، تحث على طاعة الله، وتحذر من معصيته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

وكذلك جاءت السنة المطهرة بأحاديث كثيرة، تحث المؤمنين على فعل الطاعات بالترغيب في الجنة والثواب، والتحذير من النار والعقاب.

ومن ذلك حث النبي ﷺ على التوحيد، وتحذيره من الوقوع في الشرك كما ثبت عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**»، وقلت أنا: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»[1].

وكما جاء في الترغيب في الحج والعمرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له**

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: في الجنائز برقم (١٢٣٨). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار برقم (٩٢).

جزاء إلا الجنة»[1].

وورد في الترغيب في الصوم، عن سهل ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»**[2].

٣ ـ دافع المحبة والتعظيم:

إن محبة الخالق العظيم، وتقدير المنعم الجليل، دافع كبير من دوافع عبادته سبحانه، وباعث من بواعث تعظيمه ﷻ، فالله جل وعلا أهل لأن يعبد لذاته الجليلة، ومستحق أن يطاع لصفاته العلية، وواجب أن يستقام على أمره محبة له وتقديراً، وتعظيماً له وتقديساً، وأن يذل له غاية الذل والخضوع، مع محبته سبحانه نهاية الحب والإجلال، وذلك لما له من كمال الذات، وجليل الصفات، وحسنى الأسماء، وجميل الفعال، فصفاته ﷻ أكمل الصفات وأعلاها، فلا نقص فيها ولا قصور، وأسماؤه ﷻ أحسن الأسماء وأعلاها، فهي بالغة في الحسن غايته ومنتهاه.

قال الله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العمرة، باب العمرة برقم (١٧٧٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب: الريان للصائمين برقم (١٨٩٦).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

٤ ـ دافع الشكر والعرفان:

إن نعم الله العظيمة وآلاءه الجسيمة، التى لا يقدر على عدها عاد، ولا يستطيع أن يحصيها محصٍ، لهي من أكبر الدوافع التي تحمل المسلم على أن يصرف عبادته لله ﷻ، ومن أهم الأسباب التي تجعل العبد يقبل على الاستقامة على منهج الله، والطاعة لأوامر الله.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن نعم الله علي عباده لا تحصى كثرة وتنوعاً، فقال سبحانه: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]. كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

وقال سبحانه وتعالى مذكّراً عباده ببعض نعمه عليهم؛ حثاً لهم على التزام التقوى، وتوحيد الله وعدم جعل الأنداد له، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

وهذا سيد الخلق محمد ﷺ، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، يقوم الليل يصلي حتى تتورم قدماه وتتفطر من كثرة القيام؛ شكراً لله تعالى على نعمه، واعترافاً له بآلائه، مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم منه وما تأخر، كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما روي عنها: «أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»، فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع»[(١)].

قال الإمام أبو بكر ابن خزيمة: «في هذا دلالة على أن الشكر لله ﷻ قد يكون بالعمل له؛ لأن الشكر كله لله، وقد يكون باللسان، قال الله: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] فأمرهم ﷻ أن يعملوا له شكراً، فالشكر قد يكون بالقول والعمل جميعاً، لا على ما يتوهم العامة أن الشكر إنما يكون باللسان فقط»[(٢)].

ولذلك كان من أعظم الذنوب وأكبرها، وأكثرها شناعة وفظاعة، أن يجعل العبد مع اللهَ نداً، ويتخذ معه إلهاً آخر، يعبده ويتقرب إليه، مع أن الخالق هو الله تعالى وحده، لا شريك له في ذلك ولا منافس؛ لأنه جحود ونكران وظلم للإحسان من المنعم المتفضل.

يقول الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله، قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك...**»[(٣)].

وقال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

«شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشاً، أي: مهداً كالفراش مقررة موطّأة مثبتة بالرواسي

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، في تفسير سورة الفتح، باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك برقم (٤٨٣٧).

(٢) صحيح ابن خزيمة (٢/٢٠١).

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير في سورة البقرة، باب: فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون. برقم (٤٤٧٧). ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب برقم (٨٦).

الشامخات، والسماء بناء وهو السقف... وأنزل لهم من السماء ماء، والمراد به السحاب ههنا في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد؛ رزقاً لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن»(١).

ثم قال: «ومضمونه أنه الخالقُ الرازقُ مالكُ الدارِ وساكنِها ورازقُهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره»(٢).

٥ ـ دافع الحاجة والافتقار:

إن من دوافع العبادة التي تدفع العبد لطاعة الله تعالى، حاجته إلى مولاه، وافتقاره إلى خالقه الذي يملك أمره، وإلى سيده الذي بيده حياته وموته، ورزقه وعافيته، ويقدر على بعثه ونشره، وحسابه وعقابه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو فقير إلى الله تعالى غاية الفقر، ومحتاج إليه غاية الحاجة، والله تعالى مستغن عنه وعن بقية خلقه غاية الاستغناء، غير محتاج إليهم، بل هم المحتاجون إليه، والفقراء إلى فضله.

يقول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٦].

ويقول سبحانه: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: ١٣٣].

ويقول الإمام ابن القيم: «واعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له،

(١) تفسير ابن كثير ص (٩٨).

(٢) المصدر السابق.

ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب، أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نوره، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به»[1].

وجاء في الحديث الصحيح، عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[2].

٦ ـ دافع العادة والتقليد:

ومن الدوافع التي تحمل بعض الناس على العبادة، دافع العادة السائدة في بيئته، وتقليد العرف الشائع في محيطه، فهو يقوم ببعض العبادات التي غلب على أهل بلده أو عشيرته فعلها، واستهجن الناس تركها، فهو يمارس الطاعات على أنها عادة من العادات، وتقليد من التقاليد، رأى الناس يصلون فصلى، ورآهم يصومون فصام، ورآهم يحجون البيت ففعل مثل فعلهم، لا يستشعر العبودية لله في هذه الطاعة، ولا يستحضر تطبيق شرعه، ولا تنفيذ أمره؛ ولذا فهو لا يجد للعبادة حلاوة، ولا للطاعة لذة، ولا للعمل الصالح متعة، ولا يلمس للقربة في حياته أثراً، فلا يزداد بها إيماناً، ولا يكثر بها صلاحاً، ولا يقل بسببها فساداً وعصياناً.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم (ص١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم برقم (٢٥٧٧).

وهذا الدافع دافع اجتماعي، واقع فيه كثير من الناس، ومبتلى به جمٌّ غفير ممن يمارس العبادة، لكنه دافع غير شرعي، فالعبادة في الشرع ينبغي أن يكون أساسها قصد القربه والامتثال، وابتغاء الأجر والثواب، ولا يعتد بالعبادة شرعاً ما لم يتوفر هذا الشرط، كما جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(١)].

ولذلك جاء التحذير النبوي من التقليد الأعمى، والإمعية المذمومة، التي تجعل العبد مسلوب الإرادة، فاقد السيطرة على نفسه، يعمل بعمل الناس دون أن يكون له اختيار، فإحسانه وإساءته بالتبعية، روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**»[(٢)].

وكذلك حذر الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أصحابه من هذا التقليد الأعمى بقوله: «لا يكون أحدكم إمعة، قالوا: وما الإمعة يا أبا عبدالرحمن، قال: يقول إنما أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، أَلَا ليوطن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر»[(٣)].

وجاء في الحديث «أن الناس يفتنون في قبورهم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، يقال لهم: ما علمك بهذا الرجل (أي: النبي ﷺ) فأما المؤمن الموقن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثاً، فيقال: نَم صالحاً، قد علمنا إن كنت لموقناً به، وأما المنافق المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[(٤)].

● ● ●

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي برقم (١).

(٢) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو برقم (٢٠٠٧).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٢/٩) رقم (٨٧٦٥).

(٤) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس برقم (٨٦).
ورواه مسلم في كتاب الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار برقم (٩٠٥).

خلاصة الوحدة الثانية

إن إقبال الإنسان على عبادة الله تعالى له دوافعه ومن بين هذه الدوافع ما يلي:

١ ـ دافع الشعور الفطري: فكل إنسان بداخله شعور فطري بالرغبة في عبادة الله تعالى؛ لأنه بداخل هذه الفطرة إيمانٌ بأن للإنسان ربًا أوجده من العدم ومنحه الحياة وأسبابها، فالعبودية لله مغروسة في الفطرة الإنسانية ومتأصلة في الطبيعة البشرية.

٢ ـ دافع الرغبة والرهبة: وهو من أعظم دوافع العبادة، ومن صفات المؤمنين أنهم الذين يخافون ربهم من فوقهم ويرجون رحمته سبحانه.

٣ ـ دافع المحبة والتعظيم: وتقدير المنعم سبحانه، فالله سبحانه أهل لأنه يعبد لذاته الجليلة، ومستحق لأن يطاع لصفاته العظيمة، محبة له وتعظيماً.

٤ ـ دافع الشكر والعرفان: فنعم الله تعالى جليلة، وآلاؤه جسيمة لا يحصيها أحد، وهي من أكبر الدوافع للعبادة عرفانًا بعطايا الله التي لا تعد ولا تحصى.

٥ ـ دافع الحاجة والافتقار: فحاجة العبد إلى مولاه وافتقاره إلى خالقه من أعظم دوافع العبادة، يقول تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ [فاطر: ١٥ ـ ١٦].

٦ ـ دافع العادة والتقليد: وهذا دافع اجتماعي لدى كثير من الناس، ومبتلى به كثير ممن يمارسون العبادة تقليدًا لما هو شائع في بيئته وهذا غير محمود، وينبغي أن تكون العبادة بقصد القربة والامتثال.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ يجد كل إنسان بفطرته السليمة شعورًا بالرغبة في عبادة الله تعالى.

٢ ـ يكتسب التدين اكتسابًا ولا يكون بالشعور الفطري ابتداءً.

٣ ـ كل من استكبر عن عبادة الله لابد أن يعبد غيره.

٤ ـ إن من أعظم دوافع العبادة دافع الرغبة والرهبة.

٥ ـ محبة الله وتعظيمه سبحانه كمنعم دافع كبير من دوافع العبادة.

٦ ـ إن نعم الله سبحانه وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى تعد من أهم دوافع العبادة.

٧ ـ يكون الشكر لله باللسان والقلب ولا يكون منه شيء بالعمل.

٨ ـ حاجة العبد إلى أن يعبد ربه أعظم من حاجة الجسد إلى الروح.

٩ ـ من الدوافع الصحيحة في العبادة دافع العادة والتقليد.

١٠ ـ دافع العادة والتقليد في العبادة دافع اجتماعي يقع فيه كثير من الناس.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد.

١ ـ من الأشياء التي عبدها الناس قديمًا نتيجة فطرتهم السيئة:

أ ـ الشمس والنار.

ب ـ القمر والكواكب.

ج ـ الشجر والبقر.

د ـ الجن والحجر.

هـ ـ جميع ما سبق.

٢ ـ من أعظم دوافع العبادة دافع:

أ ـ الشعور الفطري.

ب ـ المحبة والتعطية.

ج ـ الشكر والعرفان.

د ـ العادة والتقليد.

٣ ـ يقول تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] وهذه الآية فيها إشارة لدافع:

أ ـ العادة والتقليد.

ب ـ الضعف والافتقار.

ج ـ الشعور الفطري.

د ـ الشكر والعرفان.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، يشير إلى دافع:

أ ـ الرغبة والرهبة.

ب ـ الحاجة والافتقار.

ج ـ العادة والتقليد.

د ـ الشعور الفطري.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ يجد كل إنسان بفطرته السليمة شعورًا فطريًا بالرغبة في عبادة الله وحده، فصِّلْ القول في هذه المسألة في ضوء ما درسته عن دوافع العبادة، مستشهدًا بنصوص القرآن والسنة.

٢ ـ إن محبة الخالق العظيم وتقدير المنعم الجليل دافع كبير من دوافع عبادته سبحانه وباعث من بواعث تعظيمه، اشرح هذا في ضوء ما درست عن دوافع العبادة مدعمًا إجابتك بالنصوص القرآنية والحديثية.

٣ ـ إن نعم الله العظيمة وآلاءه الجسمية التي لا يعدها عادٌّ ولا يحصيها محصٍ من أكبر الدوافع التي تحمل المسلم على أن يصرف عبادته لله تعالى، وضّح هذا كما درسته في دوافع العبادة، مستدلًّا عليه من القرآن والسنة وأقوال الأئمة.

٤ ـ من دوافع العبادة حاجة العبد إلى مولاه وافتقاره إليه فهو سبحانه مالك أمره وسيده، وبيده حياته وموته ورزقه وعافيته، في ضوء ما درست عن دوافع العبادة اشرح ما سبق شرحًا وافيًا مدللاً على ما تقول من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

٥ ـ وضح الموقف الشرعي من دافع العادة والتقليد.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

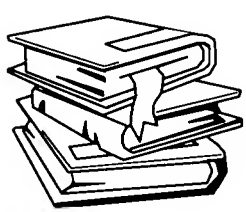
١ ـ ناقش مع زملائك عبر إحدى وسائل الاتصال: أهمية الدافع الشعوري الفطري بين دوافع العبادة.

٢ ـ ناقش «دافع العادة والتقليد» كدافع اجتماعي شائع في العبادة واجتهد في حصر صوره وسلبياته، ثم اجتهد في استنباط منهج الإسلام في التصدي لمسألة التقليد في الإيمان والعبادات.

● ● ●

الوحدة الثالثة

حكم العبادة وشروطها وخصائصها



الوحدة الثالثة

حكم العبادة وشروطها وخصائصها

مبررات دراسة الوحدة:

خلق الله الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»[1].

ولا يكون فعل الإنسان عبادة حتى يتحقق فيه شروط منها: الإيمان بالله تعالى؛ فلا يقبل الله من أي إنسان أي عمل مهما كان نافعاً حتى يؤمن بما أنزل على محمد ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩]، وثاني هذه الشروط هو: الإخلاص لله؛ يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]، وأمر نبيه ﷺ بذلك بقوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

عزيزي الدارس: ابدأ الآن بدراسة هذه الوحدة لتتفقه في أحكام العبادة وشروطها وخصائصها، والله يوفقك ويرعاك.

● ● ●

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٠١) ج٣/ص١٠٤٩، صحيح مسلم (٣) (٥٨/١).

الأهداف التعليمية للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تذكر حُكم العبادة شرعًا، وتعرف معنى فرض العين والكفاية وتمثل لهما.

٢ ـ تعرف الإخلاص لغة وشرعًا وتدلل عليه.

٣ ـ تدلل على ضرورة المتابعة والموافقة للشرع في العبادة.

٤ ـ تدلل على أن العبادة سبيل لتحصيل السعادة والفلاح.

٥ ـ تعدّد خصائص العبادة في الإسلام.

٦ ـ تصنف بعض صور التنوع في العبادة في الإسلام.

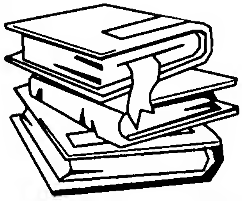
٧ ـ تعرف صور أمثلة اليسر ورفع الحرج في العبادة.

● ● ●

الوحدة الثالثة

حكم العبادة وشروطها وخصائصها

- حُكم العبادة شرعًا.
- شروط العبادة في الإسلام.
- خصائص العبادة في الإسلام: الربانية والتوقيف، التوازن والاعتدال، التنوع والتعدد، العموم والشمول، الاستمرار والدوام، القصد والنية، المباشرة وعدم الوسطاء، اليسر ورفع الحرج.



الوحدة الثالثة

حكم العبادة وشروطها وخصائصها

أولاً: حُكْم العبادة:

معلوم أن جملة الأحكام الشرعية لا تخرج عن الأحكام الخمسة المعروفة، وهي: الواجب، والمسنون، والمباح، والمكروه، والحرام.

والعبادات في الإسلام لا تخرج عن دائرة الطلب، فهي من المطلوب فعله، ولكنها متفاوتة في درجة طلبها، فمنها ما حكمه فرض عين، ومنها ما حكمه فرض كفاية، ومنها ما حكمه سنة مستحبة.

فرض العين: وهي العبادات المطلوبة من كل مسلم بعينه، أو من بعض المسلمين بأعيانهم، وتسمى فرض عين؛ لأنها تجب على المسلم بعينه، فلا تسقط عنه إلا بفعله لها، ويأثم بتركها، وهذه العبادات يلاحظ فيها وقوعها من الشخص بعينه.

ومن أمثلتها: الصلوات الخمس المكتوبات، وصوم شهر رمضان، وأداء زكاة المال، وحج بيت الله الحرام، إلى غير ذلك من العبادات.

فرض الكفاية: وهي العبادات المطلوبة من مجموع المسلمين لا جميعهم، فإذا قام بها بعضهم وبلغوا حدّ الكفاية سقطت عن الباقين، وإذا تركها الجميع أثموا جميعاً، فيأثم القادرون لتركهم واجباً قدروا على أدائه، وأثم غيرهم لإهمالهم وتركهم حثّ القادرين وحملهم على القيام به، وهذه العبادات يلاحظ فيها وقوع الفعل وحصوله بقطع النظر عن الفاعل.

ومن أمثلة هذه العبادات: صلاة العيدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعلم العلوم، وصلاة الجنازة، وغسل الميت ودفنه، إلى غيرها من

العبادات[1].

السنة المستحبة: وهي العبادات المطلوبة غير الواجبة التي إذا فعلها المسلم أثيب عليها، وإذا تركها لم يأثم، فيثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها.

ومن ذلك: صلاة النفل كقيام الليل، وصلاة التراويح في شهر رمضان، والسنة الراتبة، وصيام التطوع كصيام يومي الاثنين والخميس، وصيام الأيام البيض، وهي: اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر، وصدقة التطوع وهي ما سوى الزكاة، وحج التطوع لمن حج حجة الإسلام، إلى غير ذلك[2].

شروط العبادة في الإسلام:

جعل الإسلام لقبول العبادات شروطاً، متى تحققت كان العمل مقبولاً، ومتى تخلفت عنه لم يكن للعمل قبول ولا اعتبار، وشروط قبول العبادة شرطان هما: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لشرعه ﷺ[3].

الشرط الأول: الإخلاص:

إخلاص العبادة لله، وصدق التوجه إليه، وخلوص النية عن الشرك والرياء، أو قصد غير الله تعالى، فقد أمر الله عباده أن يخلصوا دينهم له، وأن ينقُّوا عبادتهم من كل شائبة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

---

(١) انظر الفرق بين فرض العين وفرض الكفاية: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٣٧٤/١) فما بعدها.

(٢) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (٤٠٢/١) فما بعدها.

(٣) انظر: العبودية لابن تيمية ص ٧٤ فما بعدها، (ص١٣٦) فما بعدها، ص (١٧٠) فما بعدها، وكتاب مدارج السالكين لابن القيم (٨٣/١) فما بعدها.

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

كما أمر الله تعالى نبيه أن يجعل حياته كلها خالصة لله تعالى، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

وبيَّن النبي ﷺ، أن قبول الأعمال وحصول ثوابها مرتبط بالنية، فمتى كانت خالصة لله تعالى كان العمل طيباً مقبولاً، وإلا فلا، وذلك في قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(١).

الشرط الثاني: المتابعة والموافقة للشرع:

موافقة العبادة لشرع الله، وأن تكون تبعاً لأحكامه، وكونها مأذوناً فيها شرعاً، وعلى الكيفية التي أرادها الله وارتضاها، فلا عبرة بالعبادات المخترعة، التي لم يأذن بها الله تعالى، ولو صَاحَبَهَا إخلاص ونية صالحة، فإن ذلك غير كافٍ ما لم تكن الطاعة وَفْق شرع الله، لا على أهواء الناس واستحسانهم.

وقد جاء في الحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»(٢).

وقد نقل عن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قوله في معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: قال: أخلصه

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي برقم (١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧). ورواه مسلم في كتاب الإيمان الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال الفضيل: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[1].

فبين ـ رحمه الله ـ أن شروط قبول العبادة هي الإخلاص والمتابعة للسنة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[2].

وقد بيّن الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ لزوم هذين الشرطين «الإخلاص والمتابعة» لقبول العبادة، فقال ـ رحمه الله ـ: «والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودُها واحد ولها أصلان:

أحدهما: ألا يعبد إلا الله، والثاني: أن يعبد بما أمر وشرع، لا بغير ذلك من البدع، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]. فالعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله، وما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم، ليس من الحسنات، ولا من العمل الصالح»[3].

كما بَيَّن الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أهمية هذين الأمرين بقوله: «وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله الا ما أحبه الله ورسوله، وهو المشروع.

---

(١) انظر العبودية لابن تيمية (ص٧٤).

(٢) انظر العبودية لابن تيمية (ص٧٦).

(٣) انظر العبودية لابن تيمية (ص٧٤).

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين، أن يكون لله، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله، وهو الواجب والمستحب، كما قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فلا بد من العمل الصالح، وهو الواجب والمستحب، ولا بد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[١].

وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٢].

وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، وبه أرسل الله الرسل، وأنـزل الكتب، واليه دعا الرسول، وعليه جاهد، وبه أمر، وفيه رغّب، وهو قطب الدين الذى تدور عليه رحاه»[٣].

ثم ذكر الإمام ابن تيمية أن تحقيق هذين الشرطين هو تحقيق للشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، لأن شهادة أن لا إله إلا الله، تتضمن وجوب إخلاص العبادة لله، وشهادة أن محمداً رسول الله، تتضمن وجوب المتابعة لما جاء به رسول الله ﷺ من الشرع.

يقول الإمام ابن تيمية: «وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ففى الأولى أن لا نعبد إلا إياه، وفى الثانية أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه، فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره، وقد بيّن لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي برقم (١).

(٣) العبودية لابن تيمية (ص١٣٦ ـ ١٣٧).

مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة: ١١٢]، كما أنا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسّى به، فالحلال ما حلله الله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه». إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «فالرسل أمروا بعبادته وحده، والرغبة إليه، والتوكل عليه، والطاعة لهم، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم، فأشركوا بالله، وعصوا الرسول، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم، فجعلوا يرغبون إليهم، ويتوكلون عليهم، ويسألونهم، مع معصيتهم لأمرهم، ومخالفاتهم لسنتهم.

وهدى الله المؤمنين المخلصين لله، أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين، فأخلصوا دينهم لله، وأسلموا وجوههم لله، وأنابوا إلى ربهم وأحبوه ورجوْه، وخافُوه وسألوه، ورغبوا إليه وفوّضوا أمورهم إليه، وتوكلوا عليه، وأطاعوا رسله وعزروهم ووقروهم، وأحبوهم ووالوْهم، واتبعوهم واقتفوْا آثارهم واهتدوْا بمنارهم.

وذلك هو دين الإسلام الذى بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، وهو الدين الذى لا يقبل الله من أحد ديناً غيره، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين، فنسأل الله العظيم أن يثبّتنا عليه، ويكمله لنا، ويميتنا عليه وسائر إخواننا المسلمين». انتهى (١).

خصائص العبادة

للعبادة في الإسلام خصائص كثيرة وسنقتصر على هذه المجموعة منها:

١ ـ الربانية والتوقيف.
٢ ـ التوازن والاعتدال.
٣ ـ التنوّع والتعدد.
٤ ـ العموم والشمول.
٥ ـ الاستمرار والدوام.
٦ ـ القصد والنية.
٧ ـ المباشرة وعدم الوسطاء.
٨ ـ اليسر ورفع الحرج.

(١) العبودية لابن تيمية (ص١٧٠).

١ ـ الربانية والتوقيف:

من خصائص العبادة في الإسلام أنها ربانية المصدر، إلهية المنبع، مبناها على الإذن السماوي، الأصل فيها المنع والتوقُّف، حتى يصدر التشريع الرباني بشرعيتها وجوباً أو استحباباً، فهي توقيفية، الأصل فيها الحظر، إلا ما دل الدليل الشرعي عليه.

وليس لأحد من المخلوقين الحق في تشريع أي عبادة مهما كانت هذه العبادة، قولاً أو فعلاً، وإنما هو حق لله تعالى وحده لا شريك له في هذا الحق أبداً.

وقد حذر النبي الكريم ﷺ من الابتداع في الدين والإحداث فيه، كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه حين قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(١).

وكل عبادة لم يشرعها الله تعالى فهي باطلة مردودة، لا يحل لمسلم أن يتعبد الله بها، ولا يتقرب إلى الله بفعلها، بل إن فعلها منكرٌ عظيمٌ وحرام يأثم فاعله ولا يؤجر، ويعاقب ولا يثاب.

يقول الإمام ابن القيم: «فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره وما عدا ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه أحوج ما هو إليه هباء منثوراً، وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء»(٢).

وقد صرحت بذلك النصوص الشرعية، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب: في لزوم السنة برقم (٤٦٠٧).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٨٤/١).

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»(١).

وفي رواية لمسلم قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

وقال الإمام النووي في بيان هذا الحديث: «قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وفي الرواية الثانية زيادة، وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى، يقول: أنا ما أحدثت شيئاً، فيحتج عليه بالثانية، التي فيها التصريح برد كل المحدثات، سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها»(٣).

وقال الإمام ابن حجر: «وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله، فلا يُلتفت إليه»(٤).

ومثّل الإمام ابن عبدالبر للابتداع في الدين فقال: «فمن توضأ على غير ما كان يفعله رسول الله ﷺ، لم يَجْزِهِ، بدليل قوله ﷺ: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٥).

وقد أمر النبي ﷺ أمته أن تأخذ منه شريعتها، وأحكام عبادتها، فقال ﷺ في شأن الصلاة: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(٦).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧). ورواه مسلم في كتاب الإيمان والأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان والأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢).

(٤) فتح الباري (٣٥٧/٥).

(٥) التمهيد لابن عبدالبر (٨٢/٢).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب: الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة برقم (٦٣١).

وأمر أصحابه أن يتلقوْا عنه أحكام المناسك، ويتعلموا أحكام الحج من فعله ﷺ فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ، يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»[1].

وفي رواية: «**لتأخذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا**»[2].

٢ ـ التوازن والاعتدال:

ومن خصائص العبادة في الإسلام التوازن والاعتدال، فهي متوازنة بين المادة والروح، معتدلة بين الدنيا والدين، لا يطغى فيها جانب على جانب، ولا يبغي فيها مجال على مجال.

لا تغلّب جانب الروح فتحرم الجسد حاجاته، كما لا تهمل جانب الروح بالكلية وتطلق للجسد عنانه يفعل ما يشاء.

بل توفق بين متطلبات الروح وبين حاجات الجسد، وتجمع بين مطالب الدنيا وبين حقوق الآخرة.

فهي وسط بين الرهبانية المبتدعة، التي تعارض طبيعة الإنسان التى جبل عليها، فتكبت الجسد وتحرمه حاجاته وغرائزه، وتصادم فطرته التي خلق عليها، وتقسو عليه أيما قسوة، وتعذبه أيما تعذيب، وذلك كحال الذين يتعبدون الله تعالى بتحريم الزواج وكبت الغرائز، والبعد عن النظافة والتجمل، وتعذيب الجسد بما لا يطيق، من تعريضه للأذى، وحمل الأثقال، ومنعه كثيرًا من لذيذ الطعام والشراب، إلى غير ذلك من العبادات المبتدعة، والرهبنة المحدثة، التي لم ينـزّل الله بها سلطاناً، ولم يأذن بها أو يرتضيها.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً برقم (١٢٩٧).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٥٤/٢) رقم (٩٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الحج، باب: الإيضاع في وادي محسر (١٢٥/٥).

كما أنها وسط بين المادية الجافة، التى تلغي جانب الروح وتهمله، ولا تعتني به ولا تلتفت إليه، كحال اليهودية المحرفة، التي تنظر إلى العبادة نظرة مادية بحتة، وتتعامل مع الطاعة تعاملاً دنيوياً صرفاً، لا تكاد ترى للآخرة فيها موقعاً، ولا للجنة أو النار مكاناً، فالعمل الصالح إنما ثوابه عندهم الصحة والعافية، أو الثراء وكثرة المال، أو طول العمر والبقاء في الدنيا.

كما أن ترك الطاعات عقابها عندهم المرض والوباء، أو الفقر والفاقة، أو الموت العاجل وعدم الخلود في الدنيا.

وهكذا تجد نصوصهم المحرفة، تحث على احترام الآباء والأمهات من أجل التعمير في الأرض، وتأمر بعبادة الله تعالى ليبارك في خبزهم ومائهم، ويبعد عنهم الأدواء، ويطيل لهم الأعمار.

وهكذا تغلب النظرة الدنيوية على روح العبادة، وتصبغ الطاعة بصبغة المادة[1].

أما الإسلام فسَمْتُه التوازن بين هذا وذاك، فهو يريد المسلم أن يكون عابداً لله تعالى، عاملاً في حياته لإصلاح دنياه، وبذلك يعطي القلب حقه، كما يعطي الجسد حقه، وقد أمر سبحانه وتعالى بهذا التوازن، وحثّ على هذا الاعتدال بقوله: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]. كما أثنى على من هذا حاله ووصفه في القرآن الكريم بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧].

وقد جاء القرآن الكريم بإرشاد المؤمنين إلى تحقيق التوازن والاعتدال، بين العبادة والدنيا في نظام رباني في غاية الدقة ومنتهى الإحكام، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١٠].

---

(١) العبادة في الإسلام د. يوسف القرضاوي (ص١٧٥).

فأرشد إلى السعي إلى الصلاة عند سماع النداء للجمعة، وترك الانشغال بالدنيا ومتاعها، ثم أذن بعد الانصراف من هذه العبادة المباركة في البيع والشراء والانشغال بالمعيشة، وبذلك يعرف المسلم أن لكل شيء وقته المناسب، وأنه لا ينبغي أن يطغى أحد على أحد.

وقد أرشد النبي ﷺ الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، إلى تحقيق التوازن بين العبادة وبين غيرها من الحقوق، فقال ﷺ: «**يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل**»، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله**»، فشددت فشدد عليَّ، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: «**فصم صيام نبي الله داود** عليه السلام **ولا تزد عليه**»، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام، قال: «**نصف الدهر**». فكان عبدالله يقول بعد ما كَبِرَ: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ[1].

كما علم النبي الكريم ﷺ منهج التوازن والاعتدال لأولئك الرهط الذين جاؤوا إلى بيوته ﷺ، كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حين قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2].

٣ ـ التنوّع والتعدد:

ومن خصائص العبادة في الإسلام أيضاً التنويع والاختلاف، فليست العبادة

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم برقم (١٩٧٥). ورواه مسلم في كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به برقم (١١٥٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ورواه مسلم في كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه برقم (١٤٠١).

في الإسلام على صورة واحدة، أو هيئة مفردة، بل هي متنوعة متعددة، لها صور شتى وأشكال مختلفة، وأنواع كثيرة:

فمنها ما هو بدني ومنها ما هو مالي، ومنها ما هو فردي كما أن منها ما هو جماعي، ومنها ما هو قلبي فقط، ومنها ما هو مع ذلك عملي بالجوارح، ومنها ما هو مؤقت بوقت محدد ومنها ما لم يحدد له وقت معين، ومنها ما هو عبادة محضة ومنها ما هو في الأصل من قبيل العادة ثمّ غدا عبادة بالنية الصالحة، إلى غير ذلك من أنواع، نعرض لبعضها فيما يأتي:

من تنوُّع العبادة:

أولاً: العبادة البدنية والمالية:

والعبادة بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

العبادة البدنية: أي ما يؤدَّى بالبدن، كالقلب والجوارح، مثل: الإيمان بالله تعالى، كالصلوات باختلاف أنواعها، وكالصوم، والجهاد، والذكر، والاستغفار.

العبادة المالية: وهي التي تؤدّى بدفع شيءٍ من المال، مثل الزكاة الواجبة، وصدقة التطوع، وبعض الكفارات.

العبادة البدنية المالية: وقد يجتمع الأمران، البدني والمالي، فتؤدى بالاثنين معاً، ومثال ذلك: حج بيت الله الحرام فإنه مشتملٌ على العمل البدني كالإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف، والسعي، وغير ذلك، كما أن فيه جانباً مالياً كالنفقة في أثناء أداء شعيرة الحج، وكالهدي الذي يذبح لمساكين الحرم وجوباً في حق الحاج المتمتع والقارن، أو استحباباً في حق الحاج المفرد.

ثانياً: العبادة القلبية والعملية:

وتنقسم العبادة البدنية إلى قسمين: عبادة بالقلب، وعبادة عملية بالجوارح.

القسم الأول: العبادة القلبية التي تؤدى بالقلب في أصلها، كالإيمان بالله تعالى، والخشية والخوف والإنابة له سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: العبادة العملية التي تؤدى بالجوارح، كاليد والرجل والعين واللسان، وأمثلة هذه العبادات الصلوات والصيام وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى إلى غير ذلك.

ثالثاً: العبادة الفردية والجماعية:

وتنقسم العبادة باعتبار آخر، إلى عبادة فردية وعبادة جماعية.

العبادة الفردية: وهي التي يؤديها المسلم منفرداً عن غيره، مستقلاً عن الجماعة، كالإيمان بالله تعالى، والإخلاص وغير ذلك من أعمال القلوب، وكبعض أعمال الجوارح كالطواف بالبيت في الحج والعمرة، وركعتي الطواف، والسعي بين الصفا والمروة في أداء النسك، وكصلاة الراتبة، وقيام الليل، وصلاة النفل، وغيره.

العبادة الجماعية: وهي التى يؤديها المسلم في جماعة مع غيره من المسلمين، على سبيل الوجوب كصلاة الجمعة التى يشترط لصحتها وجود الجماعة، وكصلاة العيدين أيضاً يشترط لأصل إقامتها الجماعة أيضاً.

وقد تكون الجماعة على سبيل الندب والاستحباب، كصلاة التراويح وصلاة الكسوف، وصلاة الجنازة.

رابعاً: العبادة المؤقتة وغير المؤقتة:

وتنقسم العبادة أيضاً، إلى عبادة مؤقتة وعبادة غير مؤقتة.

العبادة المؤقتة: وهي العبادة التى حدد لها الشارع وقتاً محدداً، وزمناً معلوماً، ولا بد أن تقع العبادة في زمنها المؤقت لها، لكى تكون أداء، وإلا كانت قضاء، ومن أمثلة ذلك، الصلوات الخمس المكتوبة، وصوم شهر رمضان، وأداء شعيرة الحج ونحو ذلك.

العبادة غير المؤقتة: وهي العبادة التى لم يحدد الشارع لها وقتاً معيناً محدوداً، بل جعل في وقتها اتساعاً، بحيث يمكن أداؤها في أي وقت شاء، وهذا على سبيل الأغلبية وإلا فإنه يستثنى من ذلك أشياء، معروفة في مواضعها.

ومن أمثلتها: الصلاة النافلة ويستثنى منها أداؤها في أوقات الكراهة،

وصدقة التطوع، وأداء العمرة، وذكر الله تعالى، وقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك بعض الأوقات أو الأماكن التي تكره فيها.

٤ ـ العموم والشمول:

ومن خصائص العبادة في الإسلام، العموم والشمول، وهذا العموم والشمول في العبادة له ثلاثة محاور، ومن خلال معرفة هذه المحاور، يظهر لنا المراد بشمول العبادة وعمومها بوضوح وجلاء.

المحور الأول: شمول الأمر بالعبادة وعمومها في جميع الأديان السماوية، ودعوة جميع الرسل، حيث بعثوا جميعاً لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ عبادة ما سواه.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

المحور الثاني: إن الأصل في العبادة شمولها وعمومها لجميع الناس، فرسالة نبينا محمد ﷺ عامة للبشر جميعاً، وللناس كافة، ولم يبعث لقوم دون قوم.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال ﷺ: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[(١)].

ولذلك فإن الجميع مأمور بعبادة الله تعالى، ولا يستثنى من ذلك إلا من لم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» برقم (٤٣٨). ورواه مسلم في أول كتاب المساجد برقم (٥٢٣).

تتوفر فيه شروط التكليف، كغير العاقل، والصغير الذي لم يبلغ حد التكليف، وإنما استثني هؤلاء لعدم القدرة على العبادة وتخلف الأهلية عنها.

المحور الثالث: عموم العبادة في الإسلام في مفهومها الشامل للدين كله ولجميع مناحي الحياة، ولكل الكيان الإنساني وجوارحه، فالعبادة لا تقتصر على الشعائر التعبدية فقط، تشمل جميع الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى، كما أنها لا تقتصر على بعض ميادين الحياة فقط، بل تعم جميع ميادينها، كالحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من المجالات، كما أنها تؤدى بجميع جوارح الإنسان وأعضائه، فكل عضو له عبادته المناسبة له والملائمة[١].

٥ ـ الاستمرار والدوام:

من خصائص العبادة في الإسلام الاستمرار والدوام، والمراد بالاستمرار والدوام هنا أمران:

الأول: استمرار العبادة ودوامها في حياة المسلم كلها في خلال اليوم والليلة، أو الأسبوع، أو الشهر، أو السنة، فهي مستمرة طيلة حياته، ومدى عمره.

فمن العبادات ما هي يومية تؤدى في كل يوم كالصلوات الخمسة. ومنها ما هي أسبوعية تؤدى في كل أسبوع مرة كصلاة الجمعة. ومنها ما هي سنوية تؤدى في كل سنة مرة كصوم شهر رمضان، وكالزكاة لمن ملك مالاً تجب فيه الزكاة. ومنها ما يؤدى في العمر مرة واحدة فقط، كالحج والعمرة.

وبذلك يبقى المسلم في عبادة مستمرة، لا ينقطع عنها بالكلية، فإذا فرغ من عبادة أدركه موسم آخر للعبادة.

الثاني: استمرار العبادة ودوامها من حيث إن الأصل فيها استمرار التكليف بها ودوامه حتى انقضاء الحياة، فالمسلم المكلف مأمور بطاعة الله تعالى وعبادته على سبيل الدوام واللزوم حتى اللحوق بالرفيق الأعلى، إلا أن يعرض له ما يرفع عنه التكليف كزوال العقل مثلاً، ولا تسقط عنه لغير مسقط شرعي، ولذلك لا

---

(١) انظر مبحث مفهوم العبادة الشامل ص (٢٨١ ـ ٢٨٩).

تسقط بسبب سموٍّ روحي، أو اتصال خاص بالله فيما يزعم، أو نحو ذلك من الأسباب المدعاة، التي لو صحت لكان أولى الناس بها سيد الخلق محمد ﷺ، وصحبه الأخيار الأبرار رضي الله تعالى عنهم، ولم يدّع أحدٌ أن التكيف بالعبادة مرفوع عن هؤلاء الصفوة، بل الطاعة عليهم واجبة، والعبادة لهم لازمة حتى لقوا الله تعالى.

واستمع لقوله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. وقد عبد نبينا محمد ﷺ ربه حتى لقيه تعالى، وكان يصلي في مرض موته جالساً في بيته، ولما وجد خفة ونشاطاً خرج إلى أصحابه وهم يصلون فصلى معهم(١).

وعبد أبو بكر الصديق رضي الله عنه ربه حتى لقي الله تعالى ما انقطع عن عبادته. وكذلك الفاروق عمر رضي الله عنه، عَبَدَ الله إلى آخر يوم من حياته، فطُعن وهو في صلاة الفجر يصلي بالناس، وهي من أشرف العبادات وأجلّها.

وكذلك بقية أصحاب محمد ﷺ، أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعظمها إيماناً، وأرفعها درجة وقدراً.

ولذلك فإن مَن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، فقد كفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥](٢).

٦ ـ القصد والنية:

من خصائص العبادة في الإسلام ارتباطها بالنية والقصد، فلا قبول للعمل إلا بنية، ولا اعتداد بها إلا أن يقصدها المسلم وينويها.

وقد جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى**

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/٦٤٩ ـ ٦٥٥).

(٢) انظر رسالة نواقض الإسلام العشرة للإمام محمد بن عبدالوهاب.

دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[١].

مراتب النية:

والنية لها ثلاث مراتب: وهي تمييز العادة عن العبادة، وتمييز مراتب العبادة، وتمييز المقصود من العبادة، وسنبين في الأسطر التالية هذه المراتب الثلاث.

المرتبة الأولى: تمييز العادة عن العبادة:

هناك كثير من الأعمال تشترك في صورتها الظاهرة بين العادات والعبادات، بحيث يمكن أن تكون عبادة كما يمكن أن تفعل على وجه العادة، ومن أمثلة ذلك:

الوضوء، قد يشبه في صورته الخارجية غسل الوجه والأطراف بقصد التنظف أو التبرد، فيكون من قبيل العادة عندها، فمن غسل وجهه ويديه ومسح رأسه ثم غسل رجليه بقصد الوضوء ورفع الحدث، كان وضوءه هذا عبادة ترفع الحدث، وتصح به الصلاة، ومن فعل ذلك بقصد النظافة أو تبريد الأعضاء، كان عمله هذا عادة لا يرفع الحدث ولا تصح الصلاة به.

وكذلك الغسل، فمن عمم جسده بالماء الطهور بقصد الطهارة ورفْع الحدث الأكبر، ارتفع حدثه، ومن عمم جسده بالماء الطهور بقصد تنظيف جسده من الأوساخ ولم يرد رفع الحدث، لم يرتفع حدثه، ولم تصح صلاته بهذا الغسل.

فالنية هنا تميز الأعمال التي من قبيل العبادات عن التي من قبيل العادات.

المرتبة الثانية: تمييز مراتب العبادة:

وهناك بعض العبادات يمكن أن تفعل على أكثر من وجه وقصد، فقد تفعل العبادة نفسها على سبيل الفرض، كما أنها قد تفعل بنفس الصورة على سبيل النفل والاستحباب، فصلاة ركعتين مثلاً، يمكن أن تكون صلاة فرض واجبة،

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي برقم (١).

كصلاة الفجر مثلاً، أو صلاة الظهر قصراً في السفر، كما أنها يمكن أن تكون صلاة سنة مؤكدة كصلاة راتبة الفجر، وهي سنة ما قبل صلاة الفجر، ويمكن أن تكون تحية المسجد مثلاً، كما يمكن أن تكون نافلة مطلقة، وكل هذه الصلوات متشابهة في شكلها الخارجي، وإنما تميزها النية، وكذلك الصوم فقد يكون صوم فرض كصوم رمضان، كما يمكن أن يكون صوم نفل كصوم يوم الاثنين أو يوم الخميس. وكل ذلك إنما يتميز ويتحدّد بالنية.

المرتبة الثالثة: تمييز المقصود من العبادة:

الأصل في العبادات أن تُفعل ابتغاء وجه الله تعالى، وأن يراعى في عملها إخلاص النية لله تعالى، لكن بعض العبادات قد يفعلها أصحابها بقصد ارضاء بعض المخلوقين أو بقصد جلب المدح والثناء أو دفع الذم، أو غير ذلك من المقاصد السيئة، التي لا ترضي الله تعالى، والتي لا تصح معها كثير من العبادات، ويأتي دور النية هنا لبيان المراد والمقصود من العبادة، هل قصد بها طاعة الله تعالى، وتحقق فيها الإخلاص للخالق جل وعلا، فيترتب عليها الثواب، أم أن المقصود بها غير الله تعالى، فلا إخلاص فيها ولا صدق، فيترتب عليها العقاب.

٧ ـ المباشرة وعدم الوسطاء:

من خصائص العبادة في الإسلام المباشرة في أدائها، وعدم توقُّفها على وجود وسيط يكون بين العبد وربه، ولا سادن تؤدى العبادة عن طريقه، بل يؤديها المسلم مباشرة، وبدون شفيع أو وسيط، يتجه إلى ربه بصلاته في خشوع وخضوع، ويتقرب إلي خالقه بالذكر وتلاوة القرآن بقلب صادق مخلص، وإذا قارف ذنباً اتجه إلى الكريم الرحيم بالتوبة والاستغفار مع الإقلاع والندم، لا يستأذن في ذلك أحداً من الناس، ولا يحتاج في شيء من ذلك إلى مخلوق، إذ لا مكان للسماسرة والكهان، ولا الدجالين والمشعوذين.

بل صلته بالله مباشرة، لأن الله تعالى عليم بعباده، سميع لما يقولون، بصير بما يفعلون، وهو معهم بعلمه وإحاطته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: ٤].

وهو سبحانه قريب من عباده، يسمع نداءهم، ويجيب دعاءهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فليس المسلم في حاجة إلى وسيط بينه وبين ربه، بل هو في غنى عن كل وسيط، يكفيه أن يرفع يديه، ليسأل الله تعالى ما يريد، ويطلب منه المغفرة عما بدر منه، لا يُعْلِمُ بذلك أحداً، ولا يستأذن في ذلك مخلوقًا، كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينـزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح**»(١).

وورد عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: «كنا مع رسول ﷺ، كنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس أربَعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**»(٢) أي: ارفقوا بأنفسكم في الدعاء(٣).

وكلما كان العبد قريباً إلى طاعة الله تعالى، بعيداً عن معاصيه، كان ذلك أدعى لقبول دعائه، وأرجى لإجابة سؤاله، كما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**»(٤).

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم (٧٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير برقم (٢٩٩٢).
ورواه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٢٧٠٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/١٥٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: التواضع برقم (٦٥٠٢).

٨ ـ اليسر ورفع الحرج:

من خصائص العبادة في الإسلام اليسر ورفع الحرج، ويمكن إجمال الكلام عن هذه الحقيقة في النقاط التالية:

أولاً: التيسير ونفي الحرج في أصل التكليف:

وقد وردت آيات كثيرة، تنص على نفي الحرج ورفعه عن التكاليف الربانية، والأحكام الشرعية، فقد جاء التصريح بعدم الحرج بعد الأمر بالعبادة والجهاد في سبيله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨].

كما جاء التصريح بذلك في آية الوضوء والتيمم، بعد ذكر أحكام هاتين العبادتين، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٧].

وأخبر النبي الكريم ﷺ عن هذا الدين وأنه يسرٌ وسماحةٌ لا عسرٌ وتشديدٌ، فقال ﷺ: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»(١).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب: الدين يسر برقم (٣٩).

فأمر ﷺ بالسداد وهو التوسط والاعتدال في العمل، وبالمداومة على العبادة في أوقات النشاط، وأن الأولى للعامل أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع[1].

وقال الحافظ ابن حجر: «والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينيه ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس، فخرج وقت الفريضة»[2].

وقال ﷺ: «**إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة**»[3].

ثانياً: التكليف بقدر الطاقة:

ومن اليسر في هذا الدين أن التكليف إنما يكون على قدر الطاقة والاستطاعة، وعدم تكليف غير المؤهل، ومن ليست له قدرة ولا طاقة.

١ ـ عدم تكليف الصغير والمجنون:

ولذلك لم يكلف الله تعالى من ليس أهلاً للتكليف كالصغير والمجنون، اللذين رفع عنهما القلم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر**»[4].

(١) انظر فتح الباري، لابن حجر (١/١١٦).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (١/١١٧).
(٣) رواه أحمد في مسنده برقم (٢١٢٦٠).
(٤) رواه أبوداود في كتاب الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حداً برقم (٤٣٩٨).
ورواه النسائي في كتاب الطلاق، باب: ما لا يقع طلاقه من الأزواج برقم (٣٤٣٢).

ولذلك لما مرّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمجنونة بني فلان قد زنت، وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجمها، فرجمها علي، وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، ترجم هذه، قال: نعم. قال: أوتذكر أن رسول الله ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم**»، قال: صدقت، فخلّى عنها[1].

٢ ـ عدم تكليف المرأة ببعض العبادات:

التي هي فوق طاقتها، وفي تكليفها حرج ومشقة، ولذلك لم تكلف المرأة بالصلاة في حال الحيض والنفاس، كما أنها لم تكلف بالنفقة على العيال، وكلف بذلك الرجل مراعاة لقدراتها، وهي كذلك لم تكلف بالجهاد في سبيل الله، ولم يفرض عليها نظراً لطبيعتها التي جبلت عليها.

فعن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: «**جهادكن الحج**» وفي رواية: سأله نساؤه عن الجهاد فقال: «**نعم الجهاد الحج**»[2].

وعند ابن ماجه، عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله على النساء جهاد؟، قال: «**نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة**»[3].

وبقى التكليف على القادر المؤهل له، لكنه تكليف بما يستطاع، وليس بما هو فوق القدرة والطاقة، ولم يكلف الله أحداً بما لا يطيق، قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

(١) رواه أبوداود في كتاب الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حداً برقم (٤٤٠١).
(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: جهاد النساء برقم (٢٨٧٥ ـ ٢٨٧٦).
(٣) رواه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب: الحج جهاد النساء برقم (٢٩٠١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: ٦١ ـ ٦٢].

وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧].

ثالثاً: التخفيف والرخصة:

وبالرغم من وجود التخفيف في أصل التشريع، والتكليف في حدود القدرة والطاقة، فإن من تيسير الشارع أيضاً أنْ شرع التخفيف والرخصة حيث وجدت المشقة والحرج.

ومن أمثلة الرخص والتخفيف في حالة المشقة:

رخص السفر: والسفر له رخص كثيرة؛ منها:

١ ـ قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين، كصلاة الظهر والعصر والعشاء.

٢ ـ الجمع بين صلاتي الظهر مع العصر، وبين صلاتي المغرب مع العشاء جمع تقديم أو جمع تأخير.

٣ ـ سقوط وجوب صلاة الجمعة عليه.

٤ ـ جواز الفطر من الصائم في نهار رمضان.

٥ ـ زيادة مدة المسح على الخفين إلى ثلاثة أيام بلياليها.

رخص المرض: وللمرض رخص يَترخص بها المريض؛ منها:

١ ـ الجمع بين صلاتي الظهر مع العصر، وبين صلاتي المغرب مع العشاء جمع تقديم أو جمع تأخير، كما تقدم في السفر.

٢ ـ ترك القيام أو الركوع أو السجود في الصلاة إذا شق على المصلي.

٣ ـ جواز الفطر من الصائم في نهار رمضان.

٤ ـ سقوط فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى.

٥ ـ التيمم عند عدم القدرة على استعمال الماء أو الضرر باستعماله.

خلاصة الوحدة الثالثة

حكم العبادة:

لا تخرج العبادة في الإسلام عن دائرة الطلب، ولكنها تتفاوت في درجة طلبها؛ فمنها ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية ومنها ما هو مستحب.

فرض العين: وهو ما يتعين فعله على كل مسلم مكلف كالصلاة والصيام والحج. . . إلخ.

فرض الكفاية: وهى العبادات المطلوبة من مجموع المسلمين لا جميعهم، فإذا قام بها بعضهم سقطت عن الباقين، وإذا تركها الجميع أثموا جميعًا، ومن أمثلتها صلاة العيدين والجنازة وغيرها.

السنة المستحبة: وهي العبادات المطلوبة غير الواجبة، وإذا فعلها المسلم أثيب عليها وإذا تركها لم يأثم، فيثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

شروط العبادة في الإسلام:

أولاً: الإخلاص: وهو صدق التوجه وإخلاص النية عن الشرك والرياء، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

ثانيًا: المتابعة والموافقة للشرع: وذلك بأن تكون العبادة مأذونًا فيها شرعًا، وعلى الكيفية التي أرادها الله تعالى وارتضاها وبيّنها رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

خصائص العبادة: للعبادة في الإسلام خصائص تميزها عن عبادات الديانات الأخرى، ومن بين هذه الخصائص ما يمكن إجماله فيما يلى:

١ ـ الربانية والتوقيف.
٢ ـ الاستمرار والدوام.
٣ ـ التوازن والاعتدال.
٤ ـ القصد والنية.
٥ ـ التنوع والتعدد.
٦ ـ المباشرة وعدم الوسطاء.
٧ ـ العموم والشمول.
٨ ـ اليسر ورفع الحرج.

أسئلة على الوحدة الثالثة

أولاً أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ - لا تخرج العبادات في الإسلام عن دائرة الطلب.

٢ - فرض العين هو الفرض الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين.

٣ - فرض الكفاية هو ما يتعين فعله على كافة المكلفين.

٤ - يشترط لصحة العبادة في الإسلام شرطان هما: الإخلاص والمتابعة.

٥ - قبول الأعمال وحصول ثوابها لا يتوقف على النية.

٦ - موافقة العبادة لشرع الله أن تكون تبعًا لأحكامه وكونها ماذونًا فيها شرعًا.

٧ - الربانية تعني أن تكون العبادة إلهية المنبع.

٨ - لبعض المخلوقين الحق في تشريع بعض العبادات.

٩ - من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله وقاعدة من قواعده فلا يُلتفت إليه.

١٠ - من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله: قد يكون مقبولاً إذا كان وجيهًا.

١١ - ينبغي حرمان الجسد من حاجاته حتى يسمو جانب الروح.

١٢ - التنوع والتعدد من خصائص العبادة في الإسلام فليست العبادة على صورة واحدة.

١٣ - تنقسم العبادة من حيث التنوع إلى ثلاثة أقسام هى: عبادة بدنية،

وعبادة مالية، وعبادة بدنية مالية.

١٤ ـ العبادة في الإسلام لا تتنوع ولا تتعدد.

١٥ ـ الحج عبادة مالية فحسب.

١٦ ـ صلاة النافلة من العبادات غير المؤقتة.

١٧ ـ الاستمرار والدوام في العبادة معناه استمرارها في حياة المسلم كلها مدى عمره.

١٨ ـ يأتي دور النية لبيان المقصود من العبادة فحسب.

١٩ ـ من خصائص العبادة في الإسلام المباشرة في أدائها وعدم توقُّفها على وجود وسيط بين العبد وربه.

٢٠ ـ اليسر ورفع الحرج في العبادة لا يكون إلا في أصل التكليف.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد.

١ ـ العبادات المطلوبة من جميع المسلمين لا جميعهم تسمى:

أ ـ فرض عين.

ب ـ مندوب

ج ـ فرض كفاية.

د ـ مستحب.

٢ ـ من علامات الإخلاص في العبادة:

أ ـ صدق التوجه لله تعالى.

ب ـ خلوص النية عن الشرك والرياء.

ج ـ مخالطة العبادة لبعض أمور الجاه وإعلانها.

د ـ ما ورد أ، ب.

٣ ـ ليس من خصائص العبادة:

أ ـ المشقة وعدم رفع الحرج.

ب ـ الربانية والتوقيف.

ج ـ التنوع والتعدد.

د ـ الاستمرار والدوام.

هـ ـ القصد والنية.

٤ ـ من أمثلة العبادة البدنية فقط:

أ ـ الإيمان بالله تعالى.

ب ـ إقامة الصلاة.

ج ـ الزكاة الواجبة.

د ـ الذكر والاستغفار.

٥ ـ من مراتب النية:

أ ـ تمييز العادة عن العبادة.

ب ـ تمييز مراتب العبادة.

ج ـ تمييز المقصود من العبادة.

د ـ جميع ما سبق.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ «لا تخرج العبادة في الإسلام عن دائرة الطلب وإن تفاوتت في درجة طلبها»، اشرح العبارة السابقة مبينًا حكم العبادة وممثلاً لها في درجات طلبها المتفاوته.

٢ ـ «جعل الإسلام لقبول العبادات شروطًا متى تحقّقت كان العمل مقبولاً» اذكر هذه الشروط.

٣ ـ من خصائص العبادة في الإسلام أنها ربانية المصدر، اشرح ذلك في ضوء دراستك لخصائص العبادة مدللاً على ما تقول من الكتاب والسنة.

٤ ـ العبادة في الإسلام توفق بين متطلبات الروح وحاجات الجسد، وتجمع بين مطالب الدنيا وحقوق الآخرة، وضّح هذه المبادئ مؤكدًا على وسطية الإسلام واعتدال شريعته، معضدًا إجابتك بالأدلة.

٥ ـ ليست العبادة في الإسلام على صورة وحدة أو هيئة مفردة بل هي متنوعة ومتعددة، اذكر أمثلة لتنوع العبادة في الإسلام بكل صورها.

٦ ـ تنقسم العبادة إلى مؤقتة وغير مؤقتة، مثِّلْ للقسمين مما درست.

٧ ـ العموم والشمول من خصائص العبادة في الإسلام، ولهذا العموم والشمول ثلاثة محاور، اذكر هذه المحاور بأدلتها التفصيلية.

٨ ـ القصد والنية من خصائص العبادة في الإسلام، وللنية مراتب ثلاث اذكر هذه المراتب ممثلاً لها.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

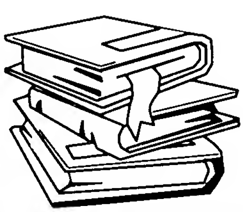
١ ـ «لا تخرج العبادة في الإسلام عن دائرة الطلب، ولكنها تتفاوت في هذه الدائرة في درجة طلبها؛ فمنها المتعين ومنها الكفائي ومنها المستحب». أعد بحثاً في فروض الكفاية وتعينها ما لم تقم، مركزاً الضوء على ضرورة قيام الصناعات الكبرى، والتقنيات الحديثة في بلادنا الإسلامية باعتبارها فروضاً كفائية وليست ترفاً فكرياً أو صناعياً.

٢ ـ رفع الحرج ويسر الشريعة له أصل شرعي صحيح، وله ـ عند بعض الناس ـ فهم خاطىء وأمثلة غير مقبولة، ناقش هذه القضية مع زملائك، وحددوا ضوابط ومرجعية يسر الشريعة، وأسباب خلل الفهم عند الناس.

● ● ●

الوحدة الرابعة

العبادة حِكمها ومقاصدها



الوحدة الرابعة

العبادة حِكمها ومقاصدها

مبررات دراسة الوحدة:

للعبادة في الإسلام غايات سامية، ومقاصد جليلة، وحِكم عظيمة.

فالعبادة حقيقتها الخضوع والتذلل، فهي مظهر الامتثال لشرع الله وأمره.

والعبادة عمل وبذل وعطاء، فهي مظهر الشكر للمنعم على نعمائه.

والعبادة اختبار وابتلاء بما فيه الكلفة، فهي تمحيص لمعادن وقلوب البشر.

والعبادة غاية الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وغاية العبادة التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]، وغاية التقوى سعادة العبد في الدارين.

وهكذا أيها الدارس العزيز ما من أمر تتعبد به الله، إلا وله الحكمة السامية، والمقاصد الجليلة، فإذا أردت أن تنهل من معين تلك الحِكَم فابدأ بدراسة هذه الوحدة.

• • •

الأهداف التعليمية للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تذكر أهداف العبادات وغاياتها السامية.

٢ ـ تدلل على ضرورة الامتثال لأمر الله تعالى وتنفيذ حكمه.

٣ ـ تعرف كثيراً من حِكَم ومقاصد الصلاة والزكاة والصوم والحج.

٤ ـ تكتب عن بعض حِكَم ومقاصد الجهاد.

٥ ـ تحدد معنى التوكل وتذكر بعض مقاصده وحِكَمِهِ.

٦ ـ تذكر شروط التوبة النصوح.

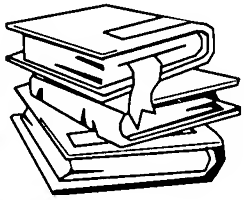
٧ ـ تبين حِكَم ومقاصد الذكر.

● ● ●

الوحدة الرابعة

العبادة حكمها ومقاصدها

- حِكم العبادة.
- حكم بعض العبادات ومقاصدها:
  - الصلاة.
  - الزكاة.
  - الصوم.
  - الحج.
  - التوكل.
  - الخشية.
  - التوبة.
  - الذكر.
  - الدعاء.



الوحدة الرابعة

العبادة حِكمها ومقاصدها

حِكم العبادة ومقاصدها:

العبادات والطاعات في الإسلام لها غايات سامية، وأهداف عظيمة، وحِكَم ومقاصد كثيرة، ومن أهم هذه الحكم والمقاصد ما يلي:

١ ـ **الامتثال لأمر الله تعالى، وتطبيق شرعه**، وتنفيذ حكمه وقضائه الذي فرضه على عباده، وتحقيق العبودية والتسليم المطلق لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢ ـ **تحقيق عقيدة الإيمان بالغيب من خلال هذا الامتثال والتطبيق**، الدال على الإيمان العميق، ومطلق التسليم، وبذلك يتميز الموقن من المرتاب، والمؤمن من الكافر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: ٣].

٣ ـ **القيام بواجب الشكر لله تعالى، وأداء حقه على عباده**، وشكره على نعمه وآلائه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦٢].

٤ ـ **الابتلاء والامتحان بالتكليف بالعبادة والطاعة**، التي عليها مدار الثواب والعقاب: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

هذه هي حكم العبادة بشكل إجمالي ولتوضيح الأمر أكثر نعرض حكم العبادات بصورة تفصيلية كما يلي:

أولاً: الصلاة:

الصلاة عمود الإسلام وركن الدين المتين، وشعيرة من أعظم شعائره، اعتنى الإسلام بها عناية بالغة، وجعلها عبادة يوميّة، تكرر في اليوم والليلة خمس مرات، كما جعلها عبادة لازمة في جميع الحالات والظروف، كالحضر والسفر، والصحة والمرض، والأمن والسلم والخوف الحرب، ومن حكم هذه العبادة العظيمة:

حِكمها ومقاصدها:

١ ـ عبودية لله تعالى وذكر له، وطاعة وامتثال، وربط للمؤمن بربه وخالقه، واعتراف منه بخالقه، وإقرار بألوهيته سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾. [طه: ١٤].

٢ ـ زاد إيماني، وتزكية للروح، وتطهير للنفس، وسموٌّ للقلب، من خلال التدبر والتفكر، والخضوع والخشوع، ولذة المناجاة بين يدي الله تعالى، واتصال العبد بخالقه، وإقباله عليه.

٣ ـ راحة وطمأنينة، وسعادة وحلاوة، ولذة وجمال، يجدها العبد إذا أقبل على صلاته وقام بها حق قيام.

٤ ـ تطهير من الذنوب والمعاصي، وغسل للدرن، وهو سرٌّ من أسرار التكرار اليومي للصلاة.

٥ ـ صلاح للنفس وإصلاح، وتربية للسلوك وتقويم، وتهذيب للإنسان وتسوية، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٦ ـ طهارة وتجمُّل، وزينة وجمال، وطهارة حسية في البدن والثوب والمكان، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

٧ ـ تربية على النظام، وتعويد على الانضباط والبعد على الفوضى، من خلال الالتزام بأوقات الصلاة، وشروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

٨ ـ تنمية لروح الأخوة الإيمانية، وتقوية لمعنى الجماعة والشعور بالجسد

الواحد، والمساواة بين أفراد المجتمع المسلم.

ثانياً: الزكاة:

والزكاة كذلك ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهي عبادة سنوية، تؤدى في كل السنة مرة واحدة في غالب أصنافها، واجبة في الأموال النامية، لازمة لمن ملك نصاباً، ولا تجب على الفقير الذي لا يملك مالاً.

حِكمها ومقاصدها:

١ ـ عبودية لله تعالى: وهي علامة إيمان صاحبها، وصدق مخرجها، وإخلاص باذلها، وبرهان صادق على ذلك.

٢ ـ زيادة للأموال ونماء لها، وبَرَكَةٌ للمال المخرج منه، فلا ينقص المال بالصدقة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

٣ ـ تطيهر وتزكية لصاحبها من الذنوب والمعاصي، وتكثير للدرجات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٠٣].

٤ ـ تعويد على البذل والعطاء، وتخليص القلوب من التعلق بالدنيا، وترفع عن حطامها الفاني، وإعانة للنفس على التخلص من الشح والجشع، والحرص والطمع، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٥ ـ وهي شكر لنعمة المال الذي منحه الله تعالى للعبد، كما أن غيرها شكر لنعمة البدن.

٦ ـ مواساة للفقراء والمساكين، وتفريج لكروبهم، وإدخال السرور عليهم.

٧ ـ تآلف وتكافل، وتعاون وتراحم، فالغني يعطف على الفقير، والفقير يشكر للغني حُسْنَ صنيعه، فيتآلف المجتمع وتزول الضغينة والبغضاء، والحقد والحسد، وتسود المحبة والتعاون، والرأفة والشفقة، وتقوى الصلات بين أفراده، ويصبح كالجسد الواحد، يتألم كله بتألم بعضه.

٨ - حث غير مباشر على تنمية المال، وتكثيره مع عدم كنزه؛ لأن الدافع المادي يحمل على ذلك خشية أن تأكله الصدقة، وفي ذلك إعمار للحياة، وتحريكٌ لأنشطتها.

ثالثاً: الصوم:

وصوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام، وهو عبادة سنوية، تتكرر مرة واحدة في كل سنة، كما أنه عبادة لازمة لمن قوي عليها واستطاعها، ولا يجب على المريض المزمن، ولا الكبير العاجز عنه.

حِكمه ومقاصده:

١ - عبوديةٌ لله تعالى، وعلامة إيمان وتقوى، ودليل إخلاص ومراقبة لله تعالى؛ لأنه عبادة خفية لا يطلع عليها إلا الخالق ﷻ، والصائم يترك طعامه وشرابه وما يحب من الشهوات طاعة لله وامتثالاً لأمره، ورغبة فيما عنده، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ الصوم لي وأنا أجزي به يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(١).

٢ - تعويد على الصبر والتحمل، وقوة الإرادة، والصبر على ألم الجوع والعطش، وترك الشهوات مما يعين على ترك المعاصي.

٣ - التخفيف من متاع الدنيا الزائل، والتعود على الترك أو التقليل من شهوات النفس، وعدم إشباع رغباتها، وكسر ثورة النفس وكبح جماحها، وفيه علاج للتخلص من الشح والجشع والحرص والطمع.

٤ - الشعور بحال الفقراء والمساكين والمحرومين الذين سُلبوا كثيراً من النعم، وتذوُّق طعم الحرمان وألم الفاقة، ومعرفة ما يكابده المساكين، مما يحمل على مواساتهم، والعمل على تفريج كربهم، ومحاولة التخفيف عنهم وإدخال السرور عليهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: فضل الصوم برقم (١٧٦١)، ومثله مسلم برقم (١٩٤٢).

٥ ـ استشعار نعم الله تعالى الكثيرة التي منحها للعبد وأعطاه إياها، وإدراك قيمتها وأهميتها، ومدى أثر فقدها.

٦ - إدراك مدى ضعف العبد وفقره وحاجته، وعدم قدرته على الاستغناء عن الضروريات وعن كثير من الحاجيات والكماليات، مما يحمله على التواضع واستصغار النفس، والبعد عن الكبرياء التي لا تليق بالمخلوقين، ويحمله على تعظيم الرب جل وعلا الغني عن كل أحد.

٧ ـ صحة للبدن وعافية للجسد، ووقاية من الأمراض ونشاط للجسم.

رابعاً: الحج:

الحج كذلك ركن عظيم من أركان الإسلام الخمسة، وهو واجب في العمر مرة واحدة على المستطيع القادر ببدنه وماله.

حِكمه ومقاصده:

١ ـ عبودية لله وذكر له، وتحقيق للتقوى، والتزود من ذلك، ومراجعة النفس ومحاسبتها، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

٢ ـ التطهر من الذنوب، والتخلص من الآثام، وتجديد التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، والرجوع بصفحة ناصعة، وعودة المرء كيوم ولدته أمه.

٣ ـ تعويد على الصبر والتحمل والتضحية من خلال السفر وترك البلد وفراق الأهل والراحة، وبذل المال والنفقة، وتحمل المشاقّ والعنت.

٤ ـ تذكير بالدار الآخرة ورحلة ما بعد الموت، من خلال اللباس، ومفارقة الأهل والوطن، ومواطن الوقوف والرمي والمبيت وكلها تذكّر بمشاهد يوم القيامة، ومشاقه وأهواله.

٥ ـ تجلّي مظهر من أكبر مظاهر الوحدة الإسلامية باجتماع المسلمين في مكان واحد، ومعرفة الأوضاع والأحوال، وتبادل النصح والمشورة، وتحقيق التآلف والمحبة والرحمة والعطف.

٦ ـ قد يقع تحقيق منافع دنيوية كالتجارة، وتبادل الخبرات، واستفادة الناس بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ [البقرة: ١٩٨].

خامساً: التوكل:

هو الثقة بالله تعالى واعتماد القلب عليه ﷻ والإيقان بأن قضاءه نافذ مع الأخذ بالأسباب دون الاعتماد عليها.

حِكمه ومقاصده:

١ ـ الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه سبحانه، والتعلق بقضائه والارتباط بأمره.

٢ ـ علامة على عظيم الإيمان ومعرفة الله تبارك وتعالى وعظمته وقدرته.

٣ ـ راحة نفسية وسعادة قلبية حين يتعلق المسلم بربه ويعتمد عليه.

٤ ـ توفيق الله تعالى للعبد وقضاء حوائجه وتيسير أموره مكافأة له على توكله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

سادساً: الخشية:

هي الخوف من الله تعالى، وهي دافع للعبد على طاعة الله، وحائل بين العبد وبين معصية الله تعالى، وهي من أبرز صفات المؤمنين.

حِكمها ومقاصدها:

١ ـ دليل معرفة الله وعظمته وعزته وقدرته وجليل صفاته.

٢ ـ تحول بين العبد وبين المعاصي والذنوب فتحجزه عن الوقوع فيها، وتدفعه إلى العمل الصالح وتعينه على فعل القربات خشية العقاب وحصول العذاب.

٣ ـ سبب تحصيل الأجر وكسب الثواب من الله تعالى.

٤ ـ سبب للإقبال على التوبة بعد الوقوع في المعاصي خوفاً من العذاب طلباً للنجاة.

سابعاً: التوبة:

هي الرجوع عن الذنب بالندم عليه، والإقلاع عنه، والعزم على عدم العودة إليه، والتحلل من صاحبه إن كان متعلقاً بحق الغير.

حِكمها ومقاصدها:

١ ـ دليل معرفة العبد لربه، وإدراك بعض صفاته كالرحمة والمغفرة والرأفة والحلم والكرم والجود كما تليق بجلاله ﷻ.

٢ ـ دليل إقرار العبد بالذنب والخطأ، واعترافه بالعجز والتقصير والبعد عن العصمة مما يوقعه في المعاصي والذنوب.

٣ ـ شعور المسلم بافتقاره الدائم إلى الله تعالى، واحتياجه إليه، وعدم استغنائه عنه، وأنه لا مفر منه إلا إليه.

٤ ـ التوبة هي سبب فلاح المسلم ونجاحه، وتوفيقه وصلاحه في الدنيا والآخرة.

ثامناً: الذكر:

الذكر عبادة تؤدَّى بالقلب واللسان، وهي من أعظم العبادات وأجلّها.

حِكمه ومقاصده:

١ ـ الذكر من أعظم العبادات، ومن أجله فرضت كثير من العبادات، قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

٢ ـ هو جلاء للقلوب وصقل لها، ودواء شاف لعللها ولأمراضها.

٣ ـ علامة محبة المسلم لربه واشتياقه إليه، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

٤ ـ سبب زيادة محبة العبد لربه، وقربه منه وتعلقه به.

٥ ـ علاج الغفلة والنسيان والإغراق في اللهو، وتذكير للعبد بحق الله تعالى.

تاسعاً: الدعاء:

الدعاء عبادة من أعظم العبادات، وقربة من أجلّ القربات، وهي توجُّه الضعيف إلى القوي، وطلب الأدنى من الأعلى.

حِكمه ومقاصده:

١ ـ إظهار افتقار العبد إلى الله، والحاجة إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، واستشعار الذل والضعف والنقص.

٢ ـ إدراك عظمة الله تبارك وتعالى وقدرته في تحقيق الأمور وحصولها، وأن أمره نافذ في العالم كله، وأن الكون بيده يصرفه كيف يشاء، وأنه لا يتصرف فيه سواه.

٣ ـ إدراك عظيم كرم الله تعالى وجوده في تلبية حاجة عبيده، ورحمته بهم في تحقيق حوائجهم ومصالحهم.

• • •

خلاصة الوحدة الرابعة

للعبادة في الإسلام غايات سامية وأهداف عظيمة وحكم جليلة يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الامتثال لأمر الله تعالى وشرعه وتنفيذ حكمه.

٢ ـ تحقيق عقيدة الإيمان بالغيب من خلال هذا الامتثال والتطبيق.

٣ ـ القيام بواجب الشكر لله وأداء حقه على عباده.

٤ ـ الابتلاء والامتحان بالتكليف بالعبادة والطاعة.

ولتوضيح ذلك أكثر نعرض لحكم العبادات بصورة تفصيلية:

أولاً: الصلاة:

هي عمود الإسلام، وركن الدين المتين، وشعيرة من أعظم شعائره.

حكمها ومقاصدها:

١ ـ عبودية لله تعالى وذكر له وطاعة وامتثال.

٢ ـ زاد إيماني وتزكية للروح وتطهير للنفس.

٣ ـ راحة وطمأنينة ولذة وجمال.

٤ ـ تطهير من الذنوب والمعاصي.

٥ ـ صلاح للنفس وتربية للسلوك.

٦ ـ طهارة وتجمُّل وزينة وجمال.

٧ ـ تربية على النظام وتعويد على الانضباط.

٨ ـ تنمية لروح الأخوة الإيمانية.

ثانيًا: الزكاة:

هي ركن من أركان الإسلام وهي عبادة سنوية لمن ملك نصابًا ولا تجب على الفقير الذي لا يملك النصاب.

حكمها ومقاصدها:

١ ـ عبودية لله تعالى وعلامة على إيمان صاحبها.

٢ ـ زيادة للأموال ونماء لها.

٣ ـ تطهير وتزكية لصاحبها.

٤ ـ تعويد على البذل والعطاء، وتخليص للقلوب من التعلق بالدنيا.

٥ ـ شكر لنعمة المال.

٦ ـ مواساة للفقراء والمساكين.

٧ ـ تألف وتكافل وتعاون وتراحم.

٨ ـ حث غير مباشر على تنمية المال.

ثالثًا: الصوم:

صوم رمضان ركن من أركان الإسلام وهو عبادة سنوية لازمة لمن قوي عليها واستطاعها، ولا يلزم المريض المزمن ولا الكبير العاجز عنه.

حكمه ومقاصده:

١ ـ عبودية لله تعالى ودليل إخلاص ومراقبة لله.

٢ ـ تعويد على الصبر والتحمل وقوة الإرادة.

٣ ـ التخفيف من متاع الدنيا الزائد وكسر ثورة النفس وكبح جماحها.

٤ ـ الشعور بحال الفقراء والمساكين والمحرومين.

٥ ـ استشعار نعم الله تعالى الكثيرة.

٦ ـ إدراك مدى ضعف العبد وفقره وحاجته مما يحمله على التواضع واستصغار النفس.

٧ ـ صحة للبدن وعافية للجسد.

رابعًا: الحج:

ركن عظيم من أركان الإسلام، واجب في العمر مرة واحد على المستطيع القادر ببدنه وماله.

حكمه ومقاصده:

١ ـ عبودية لله وذكر له.

٢ ـ التطهير من الذنوب والآثام.

٣ ـ تعويد على الصبر والتحمل والتضحية.

٤ ـ تذكير بالدار الآخرة ورحلة ما بعد الموت.

٥ ـ تجلي مظاهر الوحدة الإسلامية.

٦ ـ تحقيق منافع دنيوية وتبادل الخبرات بين المسلمين.

خامساً: التوكل:

هو الثقة بالله تعالى واليقين بنفاذ قضائه مع الأخذ بالأسباب دون الاعتماد عليها.

حكمه ومقاصده:

١ ـ الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه.

٢ ـ علامة على عظيم الإيمان ومعرفة الله تعالى.

٣ ـ راحة نفسية وسعادة قلبية في تعلق المسلم بربه.

٤ ـ توفيق الله للعبد وقضاء حوائجه كمكافأة على التوكل.

سادساً: الخشية:

وهي الخوف من الله تعالى ودافع على الطاعة وحائل بين العبد وبين المعصية.

حكمها ومقاصدها:

١ ـ دليل معرفة الله وجليل صفاته.

٢ ـ تَحُول بين العبد وبين المعصية وتعينه على القربات.

٣ ـ سبب تحصيل الأجر.

٤ ـ سبب للإقبال على التوبة.

سابعاً: التوبة:

وهي الرجوع عن الذنب والإقلاع عنه والندم عليه والعزم على عدم العودة إليه، والتحلل من صاحبه إن كان متعلقًا بحق الغير.

حكمها ومقاصدها:

١ ـ دليل معرفة العبد لربه وإدراك صفات الرحمة والمغفرة.

٢ ـ دليل إقرار العبد بالذنب.

٣ ـ شعور المسلم بافتقاره الدائم إلى الله تعالى.

٤ ـ سبب للفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة.

ثامناً: الذكر:

هو عبادة تؤدى بالقلب واللسان وهى من أعظم العبادات وأجلّها.

حكمه ومقاصده:

١ ـ من أعظم العبادات، ومن أجْله فرضت الكثير من العبادات.

٢ ـ جلاء للقلوب وشفاء لعللها.

٣ ـ علامة محبة المسلم لربه وشوقه إليه.

٤ ـ سبب لزيادة المحبة والتعلق بالله.

٥ ـ علاج للغفلة والنسيان.

تاسعاً: الدعاء:

عبادة من أعظم العبادات وأجل القربات، وهي توجه الضعيف إلى القوي وطلب الأدنى من الأعلى.

حكمه ومقاصده:

١ ـ إظهار افتقار العبد إلى الله والتبرؤ من الحول والقوة.

٢ ـ إظهار عظمة الله وقدرته في تحقيق الأمور وحصولها.

٣ ـ إدراك عظيم كرم الله وجوده في تلبية حاجة عباده.

أسئلة على الوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ ليس للعبادات والطاعة في الإسلام غاية وإنما هي غاية في ذاتها.

٢ ـ من حكم العبادات عمومًا الامتثال لأمر الله تعالى.

٣ ـ من حكم العبادات عمومًا تحقيق عقيدة الإيمان بالغيب.

٤ ـ ليس من حكم العبادات عمومًا القيام بواجب الشكر لله.

٥ ـ ليس من حكم العبادات عمومًا الابتلاء والامتحان بالتكليف والطاعة.

٦ ـ من حكم الزكاة خصوصًا أنها: زيادة للأموال ونماء لها.

٧ ـ من حكم الزكاة خصوصًا أنها: تعويد على البذل والعطاء.

٨ ـ صوم رمضان عبادة سنوية واجبة على عموم المسلمين ولا يسقط عن أحد منهم.

٩ ـ من حكم الحج خصوصًا أنه: يذكّر بالدار الآخرة ورحلة ما بعد الموت.

١٠ ـ إذا التقى الصفان في الحرب يصير الجهاد فرضًا كفائيًّا على الحاضرين.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ من أهم حكم العبادة ومقاصدها في الإسلام:

أ ـ الامتثال لأمر الله.

ب ـ تحقيق عقيدة الإيمان بالغيب.

ج ـ القيام بواجب الشكر.

د ـ جميع ما سبق.

٢ ـ من حكم الصلاة ومقاصدها:

أ ـ إخضاع ظاهر العبادة لله.

ب ـ العبودية لله تعالى والذكر له.

ج ـ تزكية الروح وتطهير النفس.

د ـ طهارة وتجميل وزينة.

هـ ـ ما ورد في ب، ج، د.

٣ ـ ليس من حكم الزكاة ومقاصدها:

أ ـ زيادة للأموال ونماء وبركة لها.

ب ـ تطهير، وصاحبها من الذنوب والمعاصي.

ج ـ المنّ بالعطاء ليعرف المزكّي بالجُود.

د ـ مواساة للفقراء والمساكين.

٤ ـ تذوُّق طعم الحرمان وألم الفاقة من حكم ومقاصد عبادة:

أ ـ الزكاة.

ب ـ الصوم.

ج ـ الصلاة.

د ـ الحج.

٥ ـ من حكم الحج ومقاصده:

أ ـ مراجعة النفس ومحاسبتها.

ب ـ السياحة الدينية.

ج ـ تذكير بالدار الآخرة.

د ـ التطهر من الذنوب.

هـ ـ ما ورد في أ، ج، د.

٦ ـ من الدلائل على خشية العبد من ربه:

أ ـ البعد عن المعاصي والذنوب.

ب ـ الإكثار من الأعمال الصالحة.

ج ـ جميع ما سبق.

٧ ـ ليس من حكم الذكر ومقاصده:

أ ـ جلاء القلوب وشفاؤها.

ب ـ إظهار الخشوع في العبادة.

ج ـ علاج الغفلة والنسيان.

د ـ زيادة محبة العبد لربه.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ اذكر الحكم العامة للعبادات على وجه العموم واشرح اثنين منها.

٢ ـ للصلاة حكم خاصة اذكر ثلاثاً منها بالتفصيل، مع ذكر الدليل.

٣ ـ للزكاة حكم خاصة اذكر ثلاثاً منها بالتفصيل، مع ذكر الدليل.

٤ ـ للصوم حكم عظيمة اذكر ثلاثاً منها بالتفصيل، مع ذكر الدليل.

٥ ـ للحج حكم جليلة اذكر ثلاثاً منها بالتفصيل، مع ذكر الدليل.

٦ ـ اذكر حالات تعين الجهاد على عموم المسلمين.

٧ ـ للجهاد حكم هامة ومقاصد شرعية اذكر أربعًا منها مدعمًا ما تذكره بالدليل.

٨ ـ التوكل على الله علامة على عظيم الإيمان اذكر ثلاثة من مقاصد التوكل.

٩ ـ الخشية من أبرز صفات المؤمنين اذكر ثلاثًا من مقاصدها.

١٠ ـ للرجوع عن الذنب مقاصد وحكم اذكر ثلاثًا من حكم التوبة.

١١ ـ الذكر عبادة قلبية ولسانية له حكم ومقاصد هامة اذكرها.

١٢ ـ الدعاء مخ العبادة علّل ذلك.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

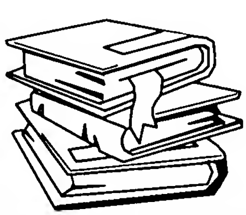
١ ـ الذكر حياة القلوب، حاول أن تجمع من آيات القرآن ما يوضح أهمية الذكر وحكمه ومقاصده، وصنفها موضوعياً للوصول إلى أكبر قدر ممكن من الحِكم.

٢ ـ الصلاة أعظم الفرائض بعد الشهادتين، ناقش مع زملائك مدى تحقيق حِكم ومقاصد الصلاة في واقع المسلمين اليوم.

● ● ●

الوحدة الخامسة

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة



الوحدة الخامسة

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة

مبررات دراسة الوحدة:

العبادة لا تنحصر في شعائر التعبد والنسك، ولا يمكن أن تقتصر على ما يمارس داخل دور العبادة إذ الحياة بجميع أنشطتها - في حس المسلم - عبادة يتوجه بها إلى الله تعالى.

ولا شك أن آفة العبادة، ترك الاتباع، والوقوع في ضلال الابتداع.

ومن أخطر ما يتعين التنبيه عليه تحول العبادة إلى عادة، وتفريغ العبادة من جوهرها وحقيقتها.

أيها الدارس العزيز سوف تتعرض من خلال دراسة هذه الوحدة لبعض المفاهيم والممارسات غير الصحيحة في العبادة، فاحرص على دراستها حتى تكون منها على حذر.

● ● ●

الأهداف التعليمية للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١ ـ تحدد بعض المفاهيم والممارسات الخاطئة في العبادة.

٢ ـ تضع علاجًا لهذه الممارسات.

٣ ـ تحدد بعض بدع العبادات.

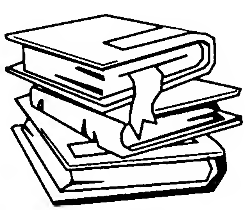
٤ ـ تجمع صورًا مختلفة عن البدع المنتشرة بين المسلمين في بعض الدول الإسلامية.

● ● ●

الوحدة الخامسة

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة

- أولاً: حصر مفهوم العبادة في الشعائر التعبدية.
- ثانياً: التعلق بغير الله.
- ثالثاً: تفريغ العبادة من جوهرها.
- رابعاً: خطر البدع على العبادات.



الوحدة الخامسة

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة

مفاهيم وممارسات خاطئة في العبادة:

حصر مفهوم العبادة في الشعائر التعبدية.

لقد مر معنا أن العبادة تشمل جميع جوانب النشاط في حياة المسلم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

لكن هذا المفهوم بدأ ينحسر في حياة كثير المسلمين وينحصر في الشعائر التعبدية المتمثلة في أركان الإسلام، من صلاة وصيام وزكاة وحج. فما كان من الأعمال بين العبد وربه اعتبروه عبادة، وما كان بينه وبين الناس، أو بينه وبين نفسه فلم يعتبروه عبادة، وإنما هو من الأعمال الدنيوية التي يمارسها الناس ولا علاقة لها بالدين. ولا سلطة للدين فيها.

وهذا المفهوم متأثر بل هو نفس مفهوم المشركين للعبادة حيث حصروها بما يمارسونه من طقوس وما يقومون به من أعمال في معابدهم ومع أصنامهم.

ويبين النبي ﷺ أن العبادة لا تقتصر على الركوع والسجود والقيام والقعود، وإنما لها جوانب عدة، فعندما نزل قول الحق تبارك وتعالى عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، قال عدي بن حاتم وهو يظن العبادة مقصورة على الشعائر التعبدية، ما عبدناهم، فقال ﷺ: «**بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**»[1].

(١) تفسير ابن كثير ص (٨٧٤).

فالحكم بما أنزل الله عبادة، والتزام تعاليم الشرع في كل جوانب الحياة عبادة؛ لأن معنى العبادة كما بينه ابن تيمية: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[1].

فالرفق عبادة والصدق عبادة، والتواضع عبادة، فكل عمل يقوم به الإنسان موافقاً شرع الله فهو عبادة.

الطاعة والتعلق بغير الله (العبادة والطاعة):

ومن الناس من استبعد معنى التأله من مفهوم العبادة، وقصره على الطاعة والخضوع، مما أوقع الناس في الخرافات، والاستعاذة بالجن والشياطين، ظناً منهم أن ذلك لا يدخل في العبادة. وبالتالي لم يحققوا توحيد الألوهية لله، بطاعته وعبادته رغباً ورهباً وحباً وتقرباً، فاستعانوا بغيره، وخافوا منهم وظنوا أنهم يملكون لهم النفع أو الضر، مع أن الله تعالى يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

ومنهم من غاب عنه جانب الاتباع في العبادة فتراهم يطيعون غير الله ويتبعونهم وإن كان في ذلك معصية لله تعالى، لذلك يقول ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» ويقول: «**إنما الطاعة في المعروف**».

ومن الناس من انصرفت همته إلى الدنيا يتهافت عليها ويتنافس غافلاً عما عند الله من خير لعباده المؤمنين، وأن السعادة كل السعادة في طاعة الله والتزام شرعه، وفي أمثال هؤلاء المتنافسين على الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، ويقول النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة**»[2].

فحصْر مفهوم العبادة في الشعائر التعبدية، وإخراج جانب التأله والاتباع

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتأتى من فتنة المال برقم (٥٩٥٥).

والشمول من مفهوم العبادة، أمر خطير يؤدي إلى أن لا تحقق العبادة الغايات المرجوة منها.

يقول المودودي: «ومن ثم فإن حصر مفهوم العبادة في معنى بعينه في الحقيقة حصر لدعوة القرآن في معان ضيقة، ومن نتائجه المحتومة أن من آمن بدين الله وهو يتصور دعوة القرآن هذا التصور الضيق المحدود فإنه لن يتبع تعاليمه إلا اتباعاً ناقصاً محدوداً»(١).

تفريغ العبادة من جوهرها (العبادة والعادة):

يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا كانت غاية الخلق هي العبادة، فلا بد أن تكون أعمال الإنسان كلها عبادة لله، وقد بينا كيف يكون ذلك بالنية حين تحدثنا عن شمول العبادة.

ولكن وللأسف فقد انقلب الأمر عند كثير من المسلمين، فبدل أن يحولوا عاداتهم إلى عبادات فقد حولوا عباداتهم إلى عادات فصارت عندهم أشبه ما تكون بطقوس وحركات لا تأثير لها.

فتجد المسلم ينطق الشهادتين ويرددها ويكررها مئات المرات ويجعلها ورداً من أوراده دون أن تترك أثراً في قلبه أو على سلوكه، ودون أن يلتزم بما تقتضيه هذه الشهادة من إقرار وقول وعمل.

وتجد المصلي يصلي لأنه تعود على الصلاة، فيقوم بحركتها دون خشوع ولا طمأنينة، وينصرف منها وهو لا يدري كم صلى، والفتاة تتحجب؛ لأن الحجاب من تقاليد المجتمع وعاداته.

فإذا خرج المسلم عن إطار المجتمع ورقابته ترك العبادة وضيعها ـ إلا ما رحم الله ـ.

وفرق بين أن يعتاد المرء العبادة فتصبح جزءاً من حياته وسلوكه وطابع تحركاته، وبين أن تصير عادة فتفقد روحها ورونقها وبالتالي لا تتحقق حكمة الشارع من تشريعها لأن المقاصد التي شرعت من أجلها العبادة لم تتحقق، وفي

(١) نقلاً عن البيانوني، العبادة في الإسلام (ص٨٩).

هذا الصنف من البشر يقول النبي ﷺ: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»(١).

البدع في العبادات:

لقد ذكرنا في خصائص العبادة في الإسلام أن العبادات ربانية المصدر توقيفية لا مجال فيها للاختراع والابتداع، فلا يُعبد الله سبحانه إلا بما شرع في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ.

يقول النبي ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي**»(٢).

وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعبادة لا بد أن تكون مأمورًا بها فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة وما لم يثبت من العبادات أنه منهيٌّ عنه كيف يحكم على أنه محظور ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون إن الأصل فى العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]»(٤).

فمن عبد الله بما لم يشرعه فليس له على عبادته أجر، وليس له إلا التعب والوزر؛ لأنه بابتداعه يخالف قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣] لأن لسان حال المبتدع أنه يرى أن في عبادات الإسلام نقصاً وهو يجبره بابتداعه، يقول الإمام مالك: «من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ قد خان الدين؛ لأن الله يقول:

---

(١) النسائي في السنن الكبرى (٢/٢٣٩)، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم برقم (١٦٨٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين (١/١٧٢).

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (١٧/٢٩).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً(١).

وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]. قال الطبري: «كل عامل عملًا يحسبه فيه مصيباً وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض وهو بفعله ذلك لله مسخط وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا»(٢). وقال ابن كثير: «أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أي: يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون»(٣).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٥].

قال ابن كثير: «فعمل الرهبان ومن شابههم ـ ممن خالف الهدي النبوي وابتدع في الدين ما ليس منه ـ لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً: للرسول ﷺ لمبعوث إليهم وإلى الناس كافة وفيهم وأمثالهم قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٥]، وروي عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه تأولها في الرهبان(٤).

ولقد شدد الإسلام في تحريم البدع لما لها من خطر على الإسلام، وكان لذلك أثره في حفظ عبادات المسلمين من التحريف والتغيير والتبديل، لأن الابتداع هو الكوة التي يتسلل منها الشيطان إلى أتباع الأديان ليفسد عليهم دينهم.

---

(١) العبادة في الإسلام، د. القرضاوي (ص١١٦).
(٢) تفسير الطبري (٣٤/١٦).
(٣) تفسير ابن كثير ص (١١٧٥).
(٤) تفسير ابن كثير ص (١٩٨٨).

فعن طريق الابتداع عَبَدَ الناس الأوثان وخرجوا عن التوحيد، وعن طريق الابتداع وقع ناس في الغلو، وتحريم ما أحل الله وتحريف الأديان وابتداع صور من العبادة ما أنزل الله بها من سلطان، كلها عَنَتٌ ومشقة، وعن طريق الابتداع وقع ناس في التفريط في الدين وأحكامه حتى خرجوا من ربقة التكليف[1].

فالبدع تنقض عرى الإسلام، ما أحيا الناس بدعة إلا وأماتوا مقابلها سنة من سنن الهدى التي وردت عن النبي ﷺ.

● ● ●

(١) للاستزادة ينظر: العبادة في الإسلام، د. للقرضاوي (ص١٥٩ ـ ١٦٢).

خلاصة الوحدة الخامسة

بدأ مفهوم العبادة ينحسر في حياة كثير من المسلمين، وينحصر في الشعائر التعبدية المتمثلة في أركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج، ولكن الحقيقة الشرعية الصحيحة غير دلك؛ إذ ينبغي أن تكون كل أفعال المسلم عبادة كالصدق والتواضع والزهد، وكل عمل يقوم به المسلم موافقًا لشرع الله تعالى فهو عبادة.

وهناك بعض أنواع من المفاهيم والممارسات الخاطئة في العبادة ومنها :

١ ـ حصرها في الشعائر التعبدية فقط.

٢ ـ الطاعة والتعلق بغير الله (الطاعة والعبادة).

٣ ـ تفريغ العبادة من جوهرها (الطاعة والعادة).

٤ ـ البدع في العبادات.

● ● ●

أسئلة على الوحدة الخامسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١ ـ العبادة تشتمل على بعض جوانب النشاط في حياة المسلم.

٢ ـ الشعائر التعبدية هي المفهوم الشامل للعبادة.

٣ ـ لا يوجد فرق بين العبادة والعادة في الإسلام.

٤ ـ من عبد الله بما لم يشرعه فليس له من عبادته أجر.

ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدّد:

١ ـ مفهوم العبادة يشتمل على:

أ ـ الشعائر التعبدية.

ب ـ الحكم بما أنزل الله.

ج ـ الالتزام بتعاليم الشرع.

د ـ جميع ما سبق.

٢ ـ جميع ما يلي يعد مخالفًا لمفهوم العبادة في الإسلام ما عدا:

أ ـ الطاعة والتعلق بغير الله.

ب ـ الرفق بالناس والإحسان إليهم.

ج ـ تفريغ العبادة من جوهرها.

د ـ البدع في العبادات.

٣ ـ أدى الابتداع في الإسلام إلى:

أ ـ الالتزام بتعاليم العقيدة.

ب ـ عبادة الأوثان.

ج ـ الوقوع في الغلو.

د ـ تحريف الأديان.

هـ ـ ما ورد في ب، ج، د.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١ ـ هناك مفاهيم وممارسات خاطئة ينبغي أن تصحح في العبادة، اذكر هذه المفاهيم إجمالاً.

٢ ـ تناول خطورة الابتداع في العبادة بالشرح والبيان.

٣ ـ «من آثار العلمانية الفصل بين شعائر التعبد ومجالات الحياة» ناقش هذه العبارة.

● ● ●

النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: لكي تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

١ ـ أعد بحثاً علمياً عن «المفاهيم التي يجب أن تصحح في مجال العبادة».

٢ ـ ناقش مع زملائك موضوع الفهم والممارسة الخاطئة للعبادة، للوصول إلى حقيقة وحجم ذلك في واقع المسلمين اليوم، مع الحرص على تعداد صور ذلك وأمثلته.

● ● ●

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●